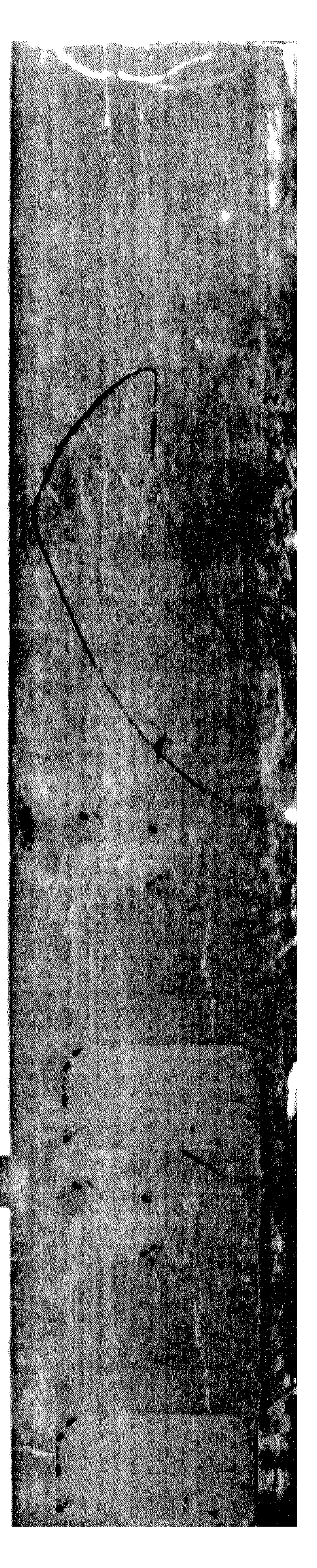
حسين حمزه بندقجي
قسم الجغرافيا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

الدّولة

دراسة تحليلية في مبادىء الجغرافية السياسية

الطبعة الثالثة
١٤٠١ ـ ١٩٨١



الناشر
ح . ح . بندقجي
ص . ب ٨٠٠٣ جدة
المملكة العربية السعودية

والتأقلم الجغرافى فى المنطقة التى يعيش فيها لأن الزمن يصبح كفيلا بأن يجعل لكل شعب على جانبى النهر عاداته وتقاليده وثقافته الخاصة به والتى تميزه عن الشعب المجاور ۰ أن ظاهرة اختيار الأنهار كفواصل طبيعية بين الدول قد تغير مع تغير العصور فلم يعد النهر سوى صلة طبيعية توحد بين الشعوب التى تشترك فى حوضه وخاصة بازدياد التعاون فى استخدام مياهه فى الرى والملاحة وتوليد القوى الكهربائية حتى أصبح النهر بمختلف فروعه بمثابة الدورة الدموية فى جسم الانسان اذا تأثر أى فرع من فروعه بزيادة أو نقصان فى كمية المياه تأثرت جميع المنطقة بالفيضانات والقحط ۰ تعتبر الأنهار اليوم من أهم وسائل الترابط والاتصال الداخلى للقارات حيث تعمل على تنمية التبادل التجارى بين أقاليم الدولة الواحدة من جهة وبين أقاليم الدول الأخرى التى تشترك فى حوضه من جهة أخرى ۰ فبفضل الأنهار زادت الحركة التجارية العالمية ليس فى الأنهار فحسب بل أيضـا فى البحـار والمحيطات ۰ فنلاحظ فى نهر الراين والدانوب والمسيسبى وسـنت لورنس ولابلاتا ازدحام السفن القادمة والمغادرة المحملة بمختلف السلع وخاصـة السلع الثقيلة كالفحم والحديد والأخشاب والمعـادن والمنتجات الضخمـة سواء كانت تلك السلع مواد أولية متجهـة نحو مراكز التصنيع أو كانت منتجات مصنعة متجهة نحو مراكز الأسواق العالمية ۰ وبالاضافة الى تنمية التبادل التجارى بين الدول فان الأنهار تعمل على تقوية روح القوميـة وتماسك الأجناس البشرية المتعددة وتقارب الثقـافات المختلفة ۰ أن معظم الحضارات قديمها وحديثها انما نمت وترعرعت على ضفاف الأنهـار ۰ فالحضارات التى قامت بالعراق بالرغم من اختلاف اسمائها وازمانهـا وأماكنها كانت مرتبطة بنهرى دجلة والفرات ۰ ولنهر النيل فضل كبير فى قيام الحضارة المصرية ولنهر الهواتجهو والياتجتسى والكنج والسند فضل فى قيام الحضارات الصينية والهندية ۰ أما فى الوقت الحاضر فان مراكز الحضارة والتجارة والثقافة انما يتركز على ضفاف الأنهار كما يوضحها موقع كل من لندن على نهر التايمز وباريس على نهر السين ونيويورك على نهر هدسن ۰

فعلى الرغم من وحدة النهر الا أن هناك العديد من المشاكل بين الدول والتى مبعثها وجود نهر من الأنهار بين دولتين أو أكثر نذكر منها :

١ - حرية الملاحة :

ان سماح الدولة الواقعة على مصب النهر للدولة الداخلية بارسـال

حسين حمزه بندقجي
قسم الجغرافيا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

الدّولة

دراسة تحليليّة في مبادىء الجغرافية السّياسيّة

الطبعة الثالثة
١٤٠١ ـ ١٩٨١

الناشر
ح . ح . بندقجي
ص . ب ٨٠٠٣ جدة
المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى ١٣٩٤ ــ ١٩٧٤
الطبعة الثانية ١٣٩٦ ــ ١٩٧٦
الطبعة الثالثة ١٤٠١ ــ ١٩٨١

رقم الايداع : ٢٥٨٤ لسنة ١٩٨١

الرقم الدولى : ٤ ــ ٠٨١ ــ ٢٦٦ ــ ١٧٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

إلى كل مؤمن بربنا   إلى كل مخلص للأمة . إلى كل محب لوطننا

وإلى كل من يعمل بصمت في خدمة هذه الأراضي المقدسة

نهدي هذا الكتاب .

حسين حمزه بندقجي

شــكر وتقــدير

بمناسبة ظهور هذا العمل المتواضع يسعدنى أن أتقدم بجزيل الشــكر وعظيم التقدير والامتنان لله عز وجل على توفيقه ثم الى كل من ساهم فى اخراجه بطريقة مباشرة وغير مباشرة ..

كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى الى المرحوم الأستاذ الدكتور عـزت النص والذى بذل مجهودا يشــكر عليــه فى الاشراف على المذكرات التى أعددتها لطلبة السنة الرابعة شعبة الاقتصاد والعلوم السياسية بكلية التجارة وطلبة السنة الرابعة شعبة الجغرافيا بكلية التربية بجامعة الرياض وطلبـة المرحلة المتوسطة بكلية الملك عبد العزيز الحربية والتى كانت الأساس الذى قام عليه هذا الكتاب كما أشكره على مراجعته واقتراحاته البناءة عند الاعداد فبتوجيهه شققت طريقى فى حقل التدريس وبتشجيعه خرج هذا الكتاب الى النــور .

واخيرا لا يفوتنى أن أسجل شكرى وتقديرى الى جميع أساتذتى الذين ساهموا فى بناء تعليمى وأخص منهم بالذكر الأستاذ المرحوم مصطفى عامر والأستاذ الدكتور محمد محمود الصياد والمشرف على دراستى العليا الأستاذ الدكتور نورمان باوند

فالى هؤلاء جميعا والى زوجتى وأبنائى الذين ضحوا براحتهم لاعطائى الوقت الكافى لاخراج هذا الكتاب أقدم اجمل تحياتى .

وفقنا الله الى ما فيه خير الانسانية جمعاء ولله الفضل من قبل ومن بعــد .

حسين حمزة بندقجى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة المؤلف

عزيزى القــارىء :

هذا هو الجزء الأول من كتاب « الدولة » دراسة تحليلية فى مبادىء الجغرافية السياسية وهو يعطى القارىء فكرة عامة عن المقومات الجغرافية للدولة • فيتناول الفصل الأول نشأة الدولة وهو ما يعرف بفترة الحمـــل والولادة • كيف تظهر الدولة الى حيز الوجود وفى أى مكان توضع البذرة الطيبة وما هى المشاكل التى تواجهها فى منطقة نواتها وكيف تختار الدولة عاصمتها • أما الفصل الثانى فيعالج مشاكل نمو الدولة وتطورها وما هى المساحة المناسبة لكل دولة • كما يناقش هذا الفصل المشاكل التى تواجهها الدولة من جراء موقعها الجغرافى والمناخ الذى يسود الاقليم الذى تنمو فيه الدولة ومظاهر السطح المختلفة وما تجلبه من خير أو شر للدولة • يتنـــاول الفصل الثالث موارد الثروة الطبيعية ومدى تأثيرها على قوة وكيان الدولة• ويعتقد الكاتب بأن الجغرافية هى التى توجه الاقتصاد وان الاقتصاد يوجـــه السياسة ويزودها بكل مقومات القوة فلولا تنوع المظاهر الجغرافية فى الدول الكبرى لما كانت دولا كبرى • أما الفصل الرابع فخصص لمشاكل الحـــدود بجميع أنواعها لأن حدود الدولة هو الاطار الذى يبين مدى اتساع الدولة وانتشارها • هذه الفصول الأربعة تناولت الجانب الطبيعى للدولة •

أما الفصول الأربعة التى تليها فقد ناقشت الجانب البشرى حيث ناقش الفصل الخامس السكان ، ليس من الجانب الديموجرافى وانما من الجوانب التى تتصل بكيان ومستقبل الدولة حيث سلط الضوء على توزيع الســكان وكثافتهم العددية وعلاقتهم بالأراضى التى يسكنونها وكيف يتم التـــوازن بينهم وبين قدرات أرضهم الانتاجية وكيف يؤثر توزيع سكان العالم على القوة الوطنية للدولة • أما الفصل السادس فقد تناول جانبى القوميات والأقليات والوحدة القومية للدولة وأثرها على مســــتقبل الدولة كما عالج مشكلة الأقليات وتبادلهم ومشكلة اللاجئين • أما الفصلان الأخيران فقد تناولا علاقة الدولة بغيرها من الدول فاستعرضنا المتغيرات فى توازن القوى العـــالمية والنظام السياسى للعالم فى الوقت الحاضر • وأخيرا ناقش الفصل الثامن

والأخير مشاكل الصراع الحضارى بين الأمم والشعوب وكيف يؤثر هذا الصراع على النشاط الاقتصادى للشعوب ·

عزيزى القـــارىء :

لا اريد أن أضع نفسى فى مقدمة المؤلفين ولا من البارزين ، فالفضل فى موارد هذا الكتاب يعود الى مئات الأساتذة الذين سبقونى ، وما قمت به هو محاولة تجميع شتات تلك المواد وتحليلها وربطها حتى يتيسر للقارىء العربى تتبع الأحداث العالمية ومعرفة ما يدور حوله من احداث · فالجديد فى هذا الكتاب أنه تناول جزءا من الجغرافية السياسية وهو مقومات الدولة نظرا لفقر المكتبة العربية فى هذا النوع من الدراسة · فاذا ما نوقشت مقومات الدولة فى كتب الجغرافية السياسية فانها لم توف حقها · فهذه محاولة أولية لابراز هذا النوع من الدراسة راجيا أن تتبعه دراسات مستفيضة فى المستقبل باذن الله ·

لقد ناقش هذا الكتاب الأسس والمبادىء الجغرافية للدولة ولم يظهر فيه أى نوع من الدراسة التطبيقية على بعض الدول · غير أن الجزء الثانى قد خصص للدراسة التطبيقية والتى سنتناولها بشىء من التفصيل · راجين الله أن يوفقنا الى ما فيه الخير والسداد ·

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ··

حسين حمزة بندقجى

الرياض ١ رجب ١٣٩٤

الفصــــل الاول

نشــأة الدولة

ان كل فرد على سطح هذه الأرض يعيش فى ظل نظام سياسى معين ، فولاء الفرد يبدأ بالحى الذى ولد فيه ثم يتدرج الى المدينة فالاقليم أو الولاية ثم الدولة . ولا يقف ولاء الانسان لأنظمته السياسية عند هذا الحد فحسب، بل يتعداه الى التزامات دولية تقع خارج جهوده السياسية . فلابد للفرد من أن يحترم قرارات المنظمات الدولية التى تنتمى اليها دولته مهما كان نوع هذه المنظمات ، سواء كانت منظمات سياسية دولية كالأمم المتحدة . أو سياسية اقليمية كجامعة الدول العربية . أو كانت منظمات اقتصادية اقليمية كالسوق الأوربية المشتركة ، أو كانت منظمات عسكرية دولية كقوات الأمم المتحـدة المكونة من جيوش الدول الأعضاء ، أو منظمات دفاعية اقليمية كحلف وارسو وحلف شمال الأطلسى والحلف المركزى وحلف جنوب شرق آسيا وغيرها .

فالدارس للجغرافية السياسية لابد وأن يركز جهوده فى معرفة الدولة ومقوماتها الرئيسية حيث أن مجال الجغرافية السياسية هو دراسة الوحدات السياسية من حيث نشأتها وتكوينها والمشكلات التى تواجهها . أو بمعنى آخر فان الجغرافية السياسية هى العلم الذى يدرس التفاعلات التى تحدث بين البيئات الجغرافية المختلفة والتنظيمات السياسية المتعددة . فمحور دراســة الجغرافية السياسية هو دراسة الأراضى التى تسود بها النظـم السياسية المختلفة . فهو بهذا يختلف عن علم السياسة والذى يركز جهوده على دراسة العلاقة بين الحاكم والمحكوم . فعلم السياسة هو علم السلطة فى مختلف الجماعات البشرية يدرس النظريات والمبادىء السياسية ومدى تفاعل الانسان معها بينما يدرس علم الجغرافية السياسية تلك النظريات ويحللها فى ضوء المعلومات الجغرافية . فعلم الجغرافيا السياسية اذا يقوم بدراسة العمليات التى يقوم بها الأفراد بها لانشــــاء وصيانة نظــــام سياسى معين فى منطقـــة معينـــــة .

أما الهدف من دراسة الجغرافيا السياسية فهو مساعدة الدول على تفهم الصعوبات والمشاكل التى تواجهها كل دولة من دول العالم . وهـــذه الدراسة بدورها قد تؤدى الى تعاون الدول المختلفة وخاصـــة تلك الدول

المتجاورة فتقوم بحل مشاكلها بالطرق السلمية وتتجنب استخدام العنف ·
كما تساعد هذه الدراسة على تعريف الدول بامكانيات بعضها البعض ·
فبهذا تستطيع الدول ان تبنى علاقات مع بعضها على أسس واضحة وسليمة ·

تعريف الدولة :

مما سبق تبين ان محور الجغرافية السياسية هى الدولة وأن الدولة او الوحدة السياسية هى عبارة عن رقعة من الارض موحدة ومنظمة سياسيا ومسكونة من قبل سكان أصليين لها حكومة وطنية ذات سيادة على جميع اطراف الدولة ولديها القوة الكافية لحماية الدولة · فهناك عوامل رئيسية لقيام الدولة ولا يمكن ان يطلق عليها لفظ دولة اذا لم تكن مستكملة لهذه الشروط ، وهذه العوامل هى :

العامل الأول :

رقعة من الأرض محددة بحدود موضحة ومعترف بها · فمن المستحيل ان تقوم دولة لمدة طويلة دون ان يكون لها مكان من الأرض تمارس عليه سيادتها وتمنع كل قوة اجنبية من التعدى على اراضيها · غير ان هناك حالات استثنائية أو حالات شاذة تتواجد فى اوقات الحروب وعندما تعتدى دولة على اراضى دولة أخرى وتحتلها فتضطر حكومة الدولة المغتصبة الى ترك اراضيها وشعبها واللجوء الى دولة صديقة مجاورة لتمارس حقوقها الشرعية فى تحرير اراضيها واجلاء القوات المعتدية عنها · والأراضى التى تمارس عليها الدولة سلطتها وسيادتها لا تقف عند حدود اليابس بل تتعداه الى الغلاف الجوى والى مسافة محدودة ومعلنة لجميع دول العالم من البحار والمحيطات ·

العامل الثانى :

وجود شعب أو سكان اصليين يعيشون على تلك الأرض عيشة دائمة على ان توجد بينهم روابط قوية تجعل منهم وحدة سياسية متماسكة · هذه الروابط جنسية او لغوية او دينية او هى اهداف ومصالح مشتركة · فالشعور الذى يسود بينهم فى أنهم يتفقون فى احد هذه الروابط يدفعهم الى الاتحاد والعيش سويا على أرض واحدة ·

العـامل الثالث :

التنظيم السياسى والذى بواسطته تمارس الدولة وظيفتها داخل وخارج حدودها السياسية ٠ هذا التنظيم لا يتم الا بواسطة شخص أو أشخاص تكون وظيفتهم الرئيسية رسم سياسة الدولة الداخلية والخارجية باتخاد القرارات اللازمة والتى يراعى فيها الخير والرفاهية للشعوب ٠ اذا لابد من وجـود سلطة عليا فى الدولة يخضع لها جميع أفراد الشعب وتكون مسئولة عن استغلال موارد البلاد وتتولى حماية الشعب من الغزو الخارجى ٠

العامل الرابع :

خلو الدولة من الالتزامات الخارجية الا تلك التى أخذتها على نفسها بمحض ارادتها ٠ وحيث أن جوهر الدولة هو الاستقلال الذاتى وحكم الشعب نفسه بنفسه فان السيادة التامة من قبل الحكومة على جميع أطراف البـلاد أمر لابد منه ٠ فلا يمكننا أن نطلق أسم الدولة على المستعمرات أو المحميات أو الدول الخاضعة للوصاية الدولية لأن شئونها الداخلية والخارجية ترسم وتدار من خارج حدودها ٠ على أننا يجب أن نراعى أن هناك دولا يطلق عليها لفظ دولة ولها جميع صفات الدولة الظاهرية ولكنها فى الحقيقة سلبت جوهر الاستقلال لأنها تستمد سياستها الخارجية من خارج حدودها ٠ هذه السيطرة الخارجية من خارج حدودها ، هـــذه السـيطرة الخارجية لم تتم نتيجـة استعمار عسكرى كما هو الحال بالنسبة للاستعمار فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وانما تأخذ أشكال ضغوط سياسية واقتصادية ٠ بالاضـافة الى ذلك هناك حالات شاذة تدخلت فيها القوات المسلحة للحكومة المستعمرة لتزيل القوى المناوئة لها وتضع حكومة جديدة تسير فى فلكها أو تأتمر بأمرها فاذا ما حققت ذلك سحبت قواتها ٠ هذا ما حصل فى المجر عام ١٩٥٦ م ٠ وفى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ م٠ عندما غزتها قوات الاتحاد السوفيتى ٠ وحدث أيضا فى جمهورية الدومينيكان عام ١٩٦٥ ٠ وفى فيتنام الجنوبية فى الستينات ٠ فالدولة ذات السيادة معناها أنها تتمتع بسلطة شرعية عليا ولا توجد أية قوة فوقها ٠ فسلطتها تسمو فوق الجميع ٠ وهى التى تفــرض ارادتها وهيبتها على الجميع ٠

العامل الخامس :

أن يكون لديها القوة الكافية لحماية الشعب ٠ فعدم وجود القوة الكافية لنشر الأمن بين أفراد المجتمع من الاعتداءات الخارجية يجعل الدولة فى حالة عدم استقرار أمام القوى المعارضة لوحدة البلاد من الداخل والخارج٠ فالدول لا تستكمل وحدتها واستقلالها اذا لم تمتلك القوة اللازمة لحمايتها٠ من أجل ذلك أصبحت الدولة المركزية أو غير المركزية والحكومات الفيدرالية فى الدول الاتحادية تمتلك وحدها القوة العسكرية الكبرى٠ فبالقوة تستطيع الدولة اذا ما دعى الأمر أن تفرض سلطة القانون ٠

نواة الدولة :

معظم الدول والامبراطوريات لا تخلق فجاة وانما تولد فى مكان ما ثم تنمو ببطء ، فعملية النمو تحتاج الى العديد من السنين الى أن تصل حدودها الى حدود دول أقوى وأكبر منها فحينئذ يتوقف نموها وتأخذ الشكل والحجم الذى استطاعت أن تصل اليه ٠ من أجل ذلك اختلفت أشكال وأحجام دول العالم ٠ غير أنه يجب أن يلاحظ أن هناك الكثير من الدول التى نمت وتوسعت ثم وقف نموها لا لضعف منها فى الحصول على المزيد من الأراضى وانما لرغبتها فى عدم ادخال أقليات كبيرة الى جسم الدولة ، كما أن هناك دولا خرجت الى حيز الوجود ليس بناء على رغبة سكانها وانما نزولا عند رغبة الدول العظمى والتى كانت تهدف الى تفكيك وحدة دولة من الدول ٠ وخير مثل على ذلك هو تقسيم كوريا الى دولتين : شمالية وجنوبية وتقسيم فيتنام الى دولتين : شمالية وجنوبية ٠ ومهما كانت الظروف التى لعبت فى اخراج أى دولة الى حيز الوجود فان معظم الدول التى تأسست انما نشأت فى أول أمرها فى منطقة صغيرة تعرف باسم منطقة النواه Core Area من هذه المنطقة بدأت الحكومة المكونة لفكرة الدولة تنطلق فى جميع الاتجاهات ٠

تتميز منطقة النواة عن غيرها من جميع أجزاء الدولة بصفات خاصة٠ فغالبا ما تشتهر بخصب أراضيها ووفرة انتاجها وحصانتها الدفاعية وموقعها الجغرافى على مفترق الطرق الرئيسية ٠ ومن مظاهر منطقة النواه أنها غالبا ما تتحول من اقتصاد يعتمد الى حد كبير على الاكتفاء الذاتى الى نوع من

التخصص الاقليمى فى انتاج السلع ٠ وبهذا فان حجم التبادل التجـــارى يزداد مع المناطق المجاورة فيرتفع مستوى المعيشة فى منطقة النواه عن المناطق المجاورة ٠ وبتطور الاقليم ونمو شبكة المواصلات فان منطقة النواة تزدهر ويكثر عدد سكانها فتتحول الى منطقة صناعية ، ونتيجة لهذا التطور وهذا النمو والازدهار فان الفرد الذى يترك قريته وينتقل الى منطقة النواه ليعيش فى مجتمع صناعى متقدم يصبح لديه طموحا وتطلعات الى استغلال الثروات التى جمعها ٠ وبما أن المنطقة لا تحقق رغباته فانه يتطلع الى الاقاليم المجاورة لاستغلالها بالحصول على المواد الخام والأيدى العاملة الرخيصة وفتح أسواق جديدة للمنتجات المحلية ٠ ومن هنا يبدأ التوسع نحو ضم الأقاليم المحيطة بمنطقة النواه ٠ غير أن هناك حالات تتطلع فيها الأقاليم المجاورة الى الانضمام الى منطقة النواه وذلك نظرا لارتفاع المستوى الاقتصادى فى منطقة النواه ورغبتهم فى النمو والتطور ٠ وهناك العديد من الأمثلة والنماذج التى يمكن تقديمها لتمثل منطقة النواه نورد هنا ثلاثة نماذج تمثل ثلاث بيئات جغرافية مختلفة احداها البيئة الصحراوية وخير ما يمثلها المملكة العربية السعودية، ثم البيئة الجبلية وتمثلها سويسرا وأخيرا بيئة السهول فى المنطقة المعتـدلة وتمثلها بولندا ٠

(أ) المملكة العربية السعودية :

اذا عدنا قليلا الى الوراء فاننا نجد أن الجزيرة العربية كانت مقســمة بين عدد من القبائل لكل قبيلة مركزها الخاص أو نواتها ٠ ثم جاء الاسلام بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم فتوحدت رايته وكانت مكة هى ذلك المركز أو هى منطقة الانطلاق ٠ وبانتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة انتقلت معه منطقة النواه ، وبهذا يمكن اعتبار المدينة المنورة هى منطقة نواه الدولة الاسلامية لأن الرسول صلى الله عليه وسلم افتتح مكة منها وجعلها قبلة للمسلمين وبعد وفاة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام توسعت الدولة الاسلامية وانتشرت فضعفت وتفككت مكونة العديد من الدويلات وكان لـكل دولة نواتها ٠ فالدولة الأموية تأسست فى دمشق ثم انتقل الحكم منها الى الدولة العباسية ، وهذه تعددت مناطق نواتها بين الأنبار والمدائن وأخيرا الى بغداد وبعد سقوط الدولة العباسية كثرت الدويلات وامتدت نحو شمال أفريقيا الى أسبانيا والى أن وقع معظمها تحت سيطرة الدولة العثمانية والتى انطلقت من وسط آسيا الصغرى ٠ ثم جاءت الحرب العالمية الأولى وقام الملك حسين

ملك الحجاز ليعيد توحيد الجزيرة العربية ومنطقة الشام . غير أن السياسة الانجليزية ـ الفرنسية حالت بين العرب وتحقيـــق أهدافهم وقسمت الدول العربية ، فاستولت فرنسا على سوريا ، وأعطيت لبنان كامل استقلاله والذى كان يتمتع باستقلال ذاتى قبل ذلك . كما قسمت بريطانيا مناطق نفوذها الى العراق وامارة شرق الأردن وفلسطين . اما الجزيرة العربية فقد ترشح ليقوم جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن ال سعود بتوحيدها . وبما أن المملكة العربية السعودية قد قامت على اسس دينية فلقد اختيرت مكة لتكون العاصمة الدينية للدولة السعودية . علما بان منطقة الانطلاق او منطقة نواة الدولة السعودية كانت الرياض والمنطقة المحيطة بها . ولهذا فان الانتقال الى منطقة النواة السعودية كان امرا لابد من تحقيقه . وبالفعل لم تمض سنوات كثيرة حتى تأسست العاصمة السياسية بمدينة الرياض ونقلت اليها المصالح الحكومية ، وبهذا اصبح للمملكة العربية السعودية عاصمتان ، احداهما سياسية وهى منطقة النواة فى الرياض والاخرى دينية تاريخية فى مكة .

وهنا يجب ان نقف قليلا لنستعرض مراحل تكوين المملكة العربيـــة السعودية . فاذا بحثنا عن الظروف التى سبقت قيام الدولة السعودية نجد أن الجزيرة العربية قد عادت الى الحياة القبلية والتى كانت تسود بها قبل مئات من السنين وكانت مقسمة بين قبائل ودويلات وامارات متعددة من بين هذه القبائل آل قبيلة درع والتى كانت تقيم فى بلاد الدروع وفى القطيف . لقد انتقلت قبيلة آل درع الى منطقة اليمامة ووادى حنيفة وجعلوا مركزهم الرياض ، وكان من قبيلة آل درع رجل يدعى مانع المريدى حيث ذهب وقومه الى مكان يشرف على وادى حنيفة وعلى اثنى عشر كيلو مترا من الرياض وأقام هناك . فيما يعرف اليوم باسم الدرعية . لقد حكم مانع الدرعية وتعاقب أبنائه من بعده الى أن جاءت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والذى جاء من العيينة عام ١١٥٨ واتفق مع امير الدرعية محمد بن سعود على نشر دعوة الاسلام الصحيح والجهاد فى سبيل الله . وكان النصر حليفهم حيث انتشرت الدولة السعودية فى مطلع القرن الثانى عشر الهجرى او الثامن عشر الميلادى الى كل من نجد وعمان وحضرموت وعسير وسواحل تهامة والحجاز وبادية الشـــام .

وهذا الانتشار والتوسع افزع الدولة العثمـــانية والتى كانت تخشى تأسيس دولة عربية اسلامية تنافسها على الخلافة . من أجل ذلك اوعزت

الحكومة العثمانية الى محمد على حاكم مصر بمحاربة السعوديين • فجهز حملة بقيادة ابراهيم باشا ووصلت الى نجد واحتلت الدرعيـة عام ١٨١٨ هجرية • وبهذا فان الدولة العثمانية اتخذت موقفا عدائيـا ضد الدولة السعودية الناشئة واخذت ترسل لها الجيوش من مصر والشـام والعراق لمحاربتها والقضاء عليها حتى نجحت أخيرا بواسطة آل رشيد والذين يحكمون الجزء الشمالى من الجزيرة العربية وكان آخر حاكم هزموه وأخرجوه هو الامام عبد الرحمن بن فيصل والد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية حيث التجأ الى الكويت •

غير أن جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود والمشهور بشجاعته وحدة ذكائه وصبره على الشدائد يتوانى فى أن ينتقم لوالده ويعيد ملك آبائه وأجداده وخاصة وأنه كان يقاسى من آلام الغربة والتشرد • لقد خرج جلالة الملك عبد العزيز من الكويت وعمره ينـاهز السادسة والعشرين • حيث وصل الى الرياض فى ٣ شـوال عام ١٣١٩ هجرية والموافق ١٥ يناير عام ١٩٠٢ ميلادية ، واستولى عليها وقتل حاكمها « عجلان » والذى وكان ينوب فى حكم الرياض عن آل رشيد • ومنذ ذلك العام أصبحت الرياض نواة المملكة السعودية حيث انطلق جلالة المغفور له الملك عبد العزيز نحو الشمال والجنوب والشرق والغرب •

أما الدويلات والامارات والقبائل التى كانت تحتل الجزيرة العربية فى وقت انطلاقة تأسيس المملكة العربية السعودية فهى :

١ ـ الحجاز وكان يحكمه الهاشميون ، وكانوا يخضـعون للدولة العثمانية •

٢ ـ عسير وكان يحكمه الادارسة ، وكانوا فى حروب مستمرة مع الدولة العثمانية •

٣ ـ نجد وكان يحكمه آل رشيد ، وكانوا موالين للأتراك وكانت لهم مطامع توسعية نحو الكويت •

٤ ـ الاحساء وكانت تحكمه الدولة العثمانية بواسطة وال تركى •

٥ ـ وادى السرحان (قريات الملح) وكان يحكمه آل شعلان من قبيلة الرولة وهى بطن من قبيلة عنزه ٠

٦ ـ عدن وحضرموت ومسـقط وعمان والبحرين والكويت ، هذه الدويلات الساحلية كانت تحت سيطرة الاستعمار الانجليزى وكان جل هم الانجليز فى ذلك الوقت هو تأمين طرق التجارة بين الهند وأوروبا ٠

٧ ـ أما العراق والشام وفلسطين والأردن وعسير واليمن ، فكانو تحت سيطرة الدولة العثمانية ٠

٨ ـ يمكن أن نضيف الى ما تقدم أنه كان للروس مطامع توسعية فى ايران ومنطقة الخليج ٠

٩ ـ كما كان للألمان مخططات للوصول الى الخليج عن طريق مد سكة حديد بغداد ـ برلين ٠

١٠ ـ وكان لايطاليا مطامع فى البحر الأحمر ٠

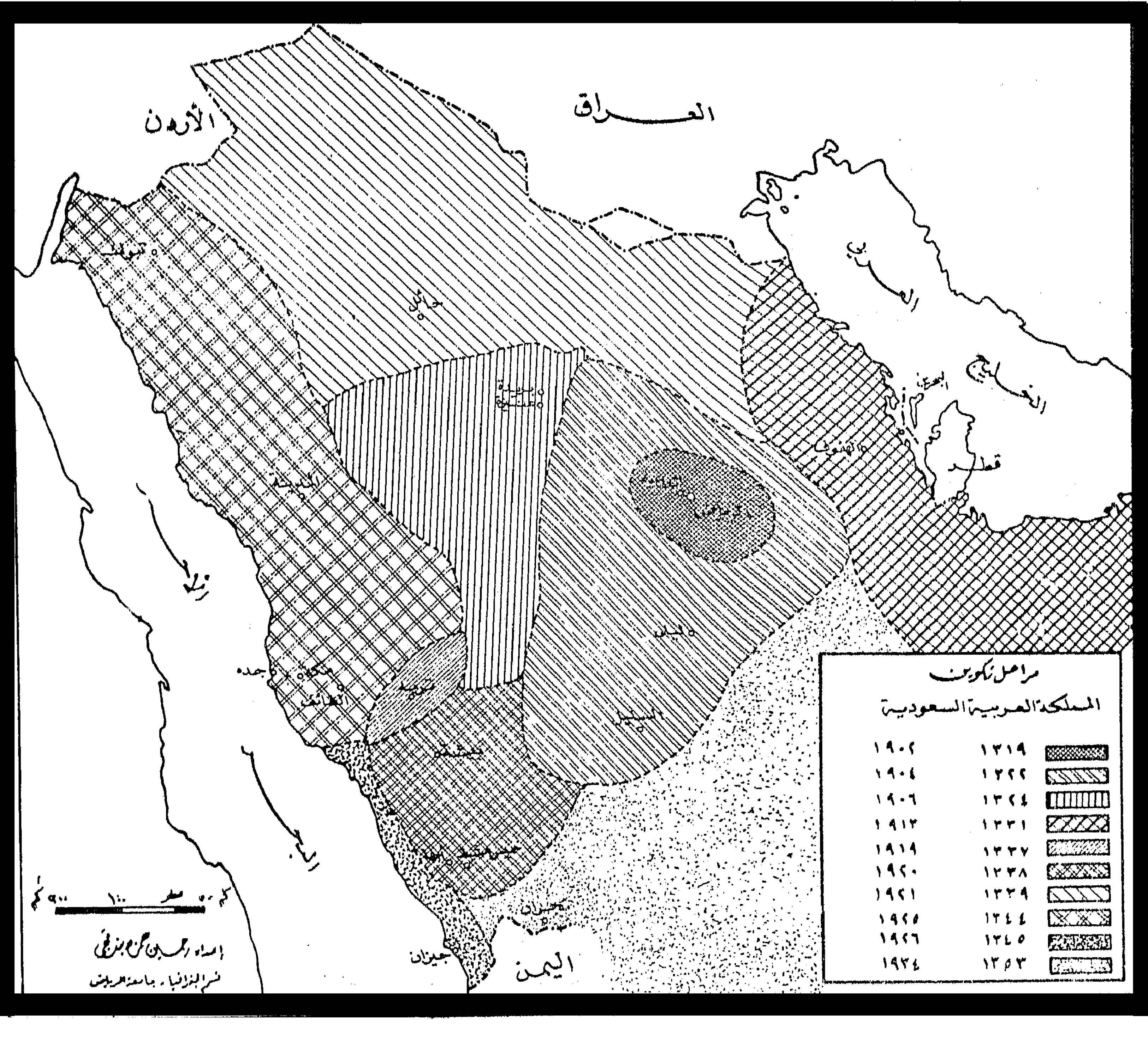
لقد انطلق جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من الرياض ووحد الجزيرة العربية تحت راية الاسـلام وحسب الجدول الزمنى التالى :

(أ) فتح الرياض فى عام ١٣١٩ هجرية الموافق عام ١٩٠٢ ميلادية ٠

(ب) فتح الخرج وشقراء والاقلاح فى الفترة ما بين عام ١٣١٩ ـ ١٣٢١ هجرية الموافق عام ١٩٠٢ ـ ١٩٠٤ ميلادية ٠

(ج) فتح القصيم واستخلصه من آل رشيد وهزم الأتراك فى الفترة ما بين عام ١٣٢١ ـ ١٣٢٣ هجرية الموافق عام ١٩٠٤ ـ ١٩٠٦ ميلادية ٠

(د) فتح الاحساء وأخضعها لحكمه فى الفترة ما بين عام ١٣٣٠ ـ ١٣٣١ هجرية الموافق عام ١٩١٣ ـ ١٩١٤ ميلادية ٠



العراق
الأردن
اليمن
جيزان
جده
قطر
مراحل تكوين
المملكة العربية السعودية
١٣١٩ ١٩٠٢
١٣٢٢ ١٩٠٤
١٣٢٤ ١٩٠٦
١٣٣١ ١٩١٣
١٣٣٧ ١٩١٩
١٣٣٨ ١٩٢٠
١٣٣٩ ١٩٢١
١٣٤٤ ١٩٢٥
١٣٤٥ ١٩٢٦
١٣٥٣ ١٩٣٤

شكل (١)

(هـ) فتح تربه والخرمه عام ١٣٣٧ هجرية الموافق عام ١٩١٩ ميلادية ٠

(و) فتح منطقة عسير عام ١٣٣٨ هجرية الموافق عام ١٩٢٠ ميلادية ٠

(ز) فتح حائل والجوف عام ١٣٣٩ هجرية الموافق عام ١٩٢١ ميلادية ٠

(ح) فتح الحجاز عام ١٣٤٤ هجرية الموافق عام ١٩٢٥ ميلادية ٠

(ط) فتح تهامه عام ١٣٤٥ هجرية الموافق عام ١٩٢٦ ميلادية ٠

(ى) أعلن اسم المملكة العربية السعودية فى ٢١ جمادى الأولى عام ١٣٥١ هجرية الموافق ٢٢ سبتمبر عام ١٩٣٢ ميلادية ٠

(ك) ضم نجران وبقية أجزاء المملكة عام ١٤٥٢ هجرية الموافق عام ١٩٣٤ ميلادية ٠

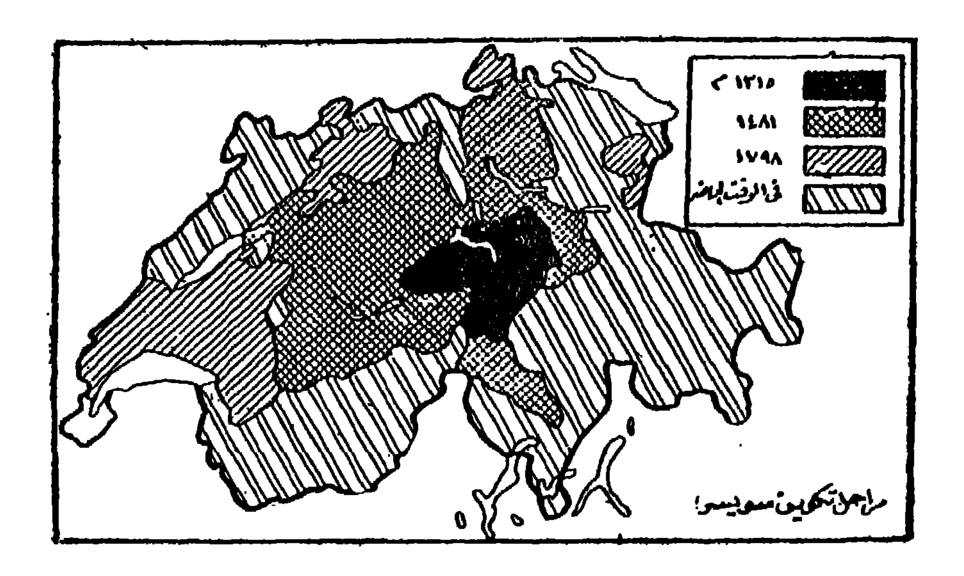
وهكذا استغرق توحيد المملكة العربية السعودية ما يقرب من الثلاثين عاما ٠ (شكل ١) ٠

(ب) سويسرا : (١)

عندما افتتح ممر سنت جوثار St. Gothard بسويسرا فى أوائل القرن الثالث عشر كممر تجارى ، نمت التجارة بين سكان أواسط جبال الألب مما أدى الى تكدس الثروة فى أيديهم ٠ فالتجارة جاءتهم بالثروة والأفكار السياسية والتى تعتبر غريبة على سكان الجبال ٠ هذه الثروة دفعت الى الجبلين السويسريين الى السيطرة على التجارة والدفاع عنها ٠ كما دفعتهم أيضا الى توسيع مناطق نفوذهم على المناطق التى حولهم ليحصلوا على أكبر فائدة من التجارة المارة بأراضيهم ٠ ولهذا فلقد كانت منطقة النواة السويسرية هى الأقاليم الأربع حول بحيرة لوسرن والواقعة على الطريق المؤدى الى ممر سنت جوثار ٠ هذه نقطة انطلاق الاتحاد السويسرى ٠ وبما أن شعارهم كان فى ذلك الوقت هو « الحرية » وبما أن مستوى المعيشة لديهم كان أعلى من المناطق المجاورة لهم فقد تجمعت الأقاليم

1. Norman J. G. Pounds "Political Geography" McGraw-Hill Company Inc. New York 1963. p. 173.

المجاورة وانضمت واحدة بعد الأخرى الى الاتحاد السـويسرى كما نراه اليوم . وبنمو الدولة السويسرية وانتشارها قلت أهمية ممر سنت غوتار حتى أصبح قليل الفائدة وانتقل مركز الثقل نحو الهضبة السويسرية حيث الظروف الطبيعية ملائمة لانشاء المدن ومد السكك الحديدية وبذلك قامت مدن كثيرة مثل زيورخ Zurich وبـرن Bern ولوزان Luzen وغيرها كمراكز اقتصادية هامة فى الاتحاد السويسرى . ويحسن بنا أن نذكر أن التحول من منطقة النواة الى مناطق أخرى أفضل منها من ناحية الظروف الطبيعية بعد تطور الدولة أصبح أمرا ليس بالغريب . (شكل ٢) .



(شكل رقم ٢)

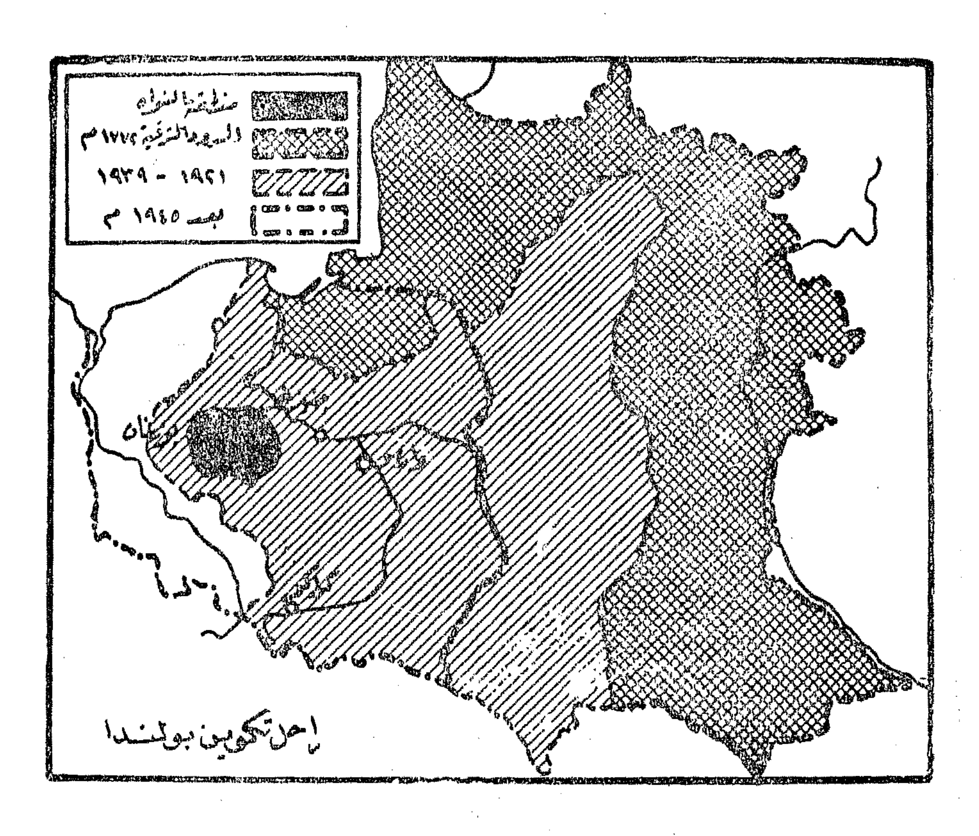
(جـ) بولنـــد : (١)

تكونت منطقة النواة البولندية بين نهرى الأودر Oder والفسـتولا Vistula . لقد كان هذا الاقليم يتميز بخصب تربته ووفرة انتـــاجه الزراعى بالاضافة الى أنه كان محميا بواسطة المستنقعات التى تحد نهر

---

(١) المرجع السابق صفحة (١٨٣) .

الأودر ونهر فالته Walta ونهر نوتيك Notec . وعندما توفر الانتاج الزراعى والحماية الدفاعية تطور الاقليم من الناحية الحضارية عن الاقاليم التى تحيط به مما أدى الى نمو عدد كبير من المدن كمدينة بوزنان Poznan ومدينة جنيزنو Gniezno وغيرها . وكانت التجارة تأخذ طريقها نحو الشمال الى البحر البلطى ونحو الجنوب الى نهر الدانوب، وقامت أول عاصمة فى بولند فى منطقة النواة الأولى يجنيزنو وعرفت هذه المنطقة باسم بولند العظمى (ويلكوبولسكا Wielkoplska) وبتجمع الثروة فى أيدى البولنديين اندفعوا نحو التوسع فنقلوا عاصمتهم الى بوزنان نحو الغرب ثم الى كراكاو Karkow نحو الجنوب وأخيرا الى وارسو Warsaw نحو الشمال الشرقى . فالسعودية وبولندا وسويسرا تشابهت حالتهما فى تعدد العواصم فى كل منهما بعد نموهما . (شكل ٣) .



(شكل رقم ٣)

مما تقدم يظهر لنا أن معظم دول العالم قد نشأت فى مناطق معينة وهى ما سميناها بمناطق النواه وفى معظم الأحوال نجد أن منطقة النواه هى المنطقة المسيطرة على بقية أقاليم الدولة ولكن هناك حالات يتعدد فيها أكثر من اقليم لكل منه منطقة نواته ، وهنا يجب أن يلاحظ أن اجتماع مناطق النواه يعتمد الى حد كبير على مدى تقارب الثقافة بين تلك الأقاليم • فأحيانا يفشل الاتحاد اذا افتقر الى نقاط الالتقاء كما هو الحال بالنسبة لسكان كندا اذ يسعى الكنديون الناطقون باللغة الانجليزية الى الاتحاد مع الولايات المتحدة الأمريكية والتى يتكلم سكانها اللغة نفسها بينما يسعى الكنديون الناطقون باللغة الفرنسية الى الانفصال والاستقلال ويرجع السبب فى ذلك الى أن لكل فئة ثقافتها ومنطقة نواتها المميزة والتى تقف حائلا أمام انسجامهـــا مع الحضارة الأخرى وبالتالى فان عدم التوافق قد يهدد اتحادها •

وعلى غرار كندا نذكر على سبيل المثال الدول التالية : (١)

الدولة	منطقة النواه	الدولة	منطقة النواه
يوغسلافيا	زغرب Zagreb		قستالة Castile
	الصرب Oldscrbta	أسبانيا	أراجوان Aragon
اتحاد جنوب أفريقيا	كيب تاون Cape Town		قطالونيا Catalonia
	دربن Durban	رومانيا	سهل الافلاق Waliacrian
	إقليم الفلد Veld		ترانسلفانيا Transylvania
	كويتو Qulto		المنطقة الفلمندية Flemings
اكوادور	غواياكيل Guayaquil	باجيكية	المنطقة الوالونية Waloons

(١) المرجع السابق صفحة ١٨٥ •

وعلى العكس من ذلك نجد دولا أخرى كالولايات المتحـــدة الأمريكية والبرازيل واستراليا ونيوزيلندا تتمتع بالوحدة والاستقلال على الرغم من تعدد القوميات داخل أراضيها ، وربما رجع السبب فى ذلك الى أن القوميات المختلفة فى هذه الدول تتمتع بثقافة وحضارة موحدة ٠

لاحظنا فيما سبق أن هناك عددا من الدول التى نقلت عواصمها من مناطق نواتها حسب الظروف التى مرت بها فالصين مثلا نقلت عاصمتها من مكان الى آخر بين وادى الهوانجهو Wei-Ho ووادى اليـــــــانجتسى Yang-Tze الى أن استقرت أخيرا فى بكين : وكذلك الهند فان منطقة نواتها الأصلية فى وسط وادى نهر الكنج ولكن دخول المستعمر اليها خلق مراكز جديدة على الساحل الشرقى وفى كلكلتا وعلى الساحل الغربى فى بومباى غير أنها أعادت عاصمتها قريبا من منطقة نواتها الأولى بعد حصولها على الاستقلال ٠

وأخيرا هناك مجموعة من الدول ليست لها مناطق نواه على الاطلاق لأنها خرجت الى حيز الوجود بواسطة عوامل خارجية (الاستعمار) دون الرجوع الى رغبة تلك الشعوب فى الاستقلال فمثلا البانيا ظهرت على الخريطة من فوق طاولة مؤتمر لندن عام ١٩١٣ م ٠ وظهرت غانا نتيجة اتفاق تم بين بريطانيا وفرنسا والمانيا لاقتسام المستعمرات الأفريقية ٠ ولقد تكررت هذه العملية فى كل من آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط ٠ فبعض دول هذه المناطق خرجت الى حيز الوجود دون أن يكون لها مناطق نواه أو دون أن ترغب شعوبها فى الانفصال وتكوين دول مستقلة ٠ غير أن العامل التاريخى قد أوجد شعورا بالقومية لدى شعوب هذه الدول فاتخذوا من عواصم دولهم المصطنعة مناطق تجمعوا حولها ٠

عاصمة الدولة :

لقد تغير دور العاصمة مع تغير التاريخ البشرى فلقد كانت منطقة نفوذ الدولة أصغر مما هى عليه الآن وربما يرجع السبب فى ذلك الى تأخر وسائل المواصلات لقد كانت سلطة الحكام على الأجزاء البعيـــدة من مركز الحكم ضعيفة جدا حتى أن نظام جباية الضرائب والتى كانت مثار اهتمام حكام القرون السالفة لم يكن دقيقا وكان من الصعب نقل ماجبى من الضرائب الى

مقر الحاكم ، ولهذا كان لا بد للحـــاكم من أن ينتقل من اقليم الى آخر ٠ وعندما ينتقل الحاكم لا بد وأن ينتقل معه وزراؤه وموظفوه تتبعهم عربات محملة بسجلات الدولة ٠ ولم تكن هناك عاصمة دائمة بالمعنى الذى نعرفه اليوم بل كانت العاصمة هى حيثما نزل الحاكم ٠ وهكذا نجد أن الحكام لم يستقروا فى مكان واحد مدة طويلة ٠ غير أنه سرعان ما أصبحت السجلات كثيرة العدد ٠ وأصبح من المتعذر نقلها من مكان الى آخر ٠ من أجل ذلك تركت سجلات كل اقليم فيه ٠

أن الطبيعة البشرية تميل الى الاستقرار لهذا أحب الحكام مدنهم التى ترعرعوا فيها واتخذوها عواصم لهم يقضون فيها معظم أوقاتهم ٠ ونتيجة لهذا الاستقرار فلقد تركزت أعمال الدولة فى العاصمة ٠ وخاصة بعد أن أنشئت البرلمانات وتعددت وظائف الحكومة فأصبحت مرتبطة بمصالح كثيرة يتعذر نقلها من مكان الى آخر اذا ما انتقلت الحكومة ٠ وهكذا تطـــورت العواصم بسرعة كبيرة حتى أصبحت العاصمة فى كثير من الأحوال تمثل أكبر مدينة فى الدولة ٠ ففى الخمسة والعشرين دولة أوربية كما نراها اليوم أصبحت العاصمة أكبر مدينة فى الدولة فيما لا يقل عن ثلاثة وعشرين دولة ولم تشذ عن هذه القاعدة سوى سويسرا وألمانيا الغربيـــة ٠ وأما الأولى فعاصمتها برن Bern وهى عاصمة لحكومة فدرالية محايدة ٠ أما بون Boon عاصمة ألمانيا الغربية فهى عاصمة مؤقتة اذ أن ألمانيا بشطريهـا الشرقى والغربى تنتظر الوحدة والعودة الى عاصمتها الســـابقة برلين ٠ أما بالنسبة للعواصم الآسيوية فلم تشذ عن هذه القاعدة سوى كل من تركيا والهند والصين ٠ ويعود السبب فى ذلك الى عوامل تاريخية ٠ وبالرغم من ذلك فان عواصم هذه الدول تأتى فى المرتبة الثانية ، أما القـارة الافريقيـة وأمريكا اللاتينية فان عواصمها بدون استثناء أكبر المدن فى جميع الدول ولا يستثنى من هذه القاعدة سوى العواصم الفدرالية ٠

لماذا يتركز السكان فى العاصمة ؟

لقد أجاب على هذا السؤال الأستاذ مارك جيفرسون (١) عندما قام

1. Mark Jefferson; "The Low of the Primate city". Geographical Review XXIX No. 2 (1939) p. 226.

بدراسة تركيز السكان فى المدن الرئيسية فوجد أن النـــــاس يتوجهون الى العواصم من أجل الالتحاق بالجامعات ودراسة الموسيقى والفن والعمل فى الصحافة والتجارة • ومن أجل كسب العيش • وكما وجد أن الأفراد يتركون مدنهم الصغيرة لأن الفرص المتاحة لهم فى المدن الصغيرة محدودة • ففى العواصم العديد من الفرص التى تجعل الفرد يجنى أرباحا أكثر من تلك التى يحصل عليها فى مدينته الصغيرة أو قريتـــــه أى أن فرص البيع والشراء والكسب فى المدن الكبرى أكبر منها فى المدن الصغرى ، من أجل ذلك نجد فى العاصمة أنشط التجار وأعظم المواهب وأمهر الصناع فى كل علم وفى كل فن • كما نجد فى العاصمة الشباب الطامح والباحث عن الشهرة والمال• وبهؤلاء الرجال تنمو العاصمة لأنها تضم رجالا من كل جزء من أجزاء الدولة بل أنها تضم أولئك الذين تركوا منـــازلهم وأهلهم بدافع قومى لا للكسب فحسب بل للمشاركة فى بناء صرح الدولة • من أجل ذلك نجد أن العاصمة قد تمثل جميع القوميات المتواجدة فى البلاد ، وحيث أن الفرد الذى ترك مدينته أو قريته وحضر الى العاصمة لم يفقد صلته بمسقط رأسه فان العاصمة تعتبر المدينة الموحدة بين أجزاء المدن والاقاليم داخل الدولة • من أجل ذلك يقال أن العاصمة هى روح الأمة وعقلها لأنها تجتذب شباب الأمة وعلماءها• يمكن أن يضاف الى ما تقدم بأن تجمع السكان بالعواصم اما يرجع الى سهولة الاتصال بالحكام ومن أجل تسهيل مهمتهم وقضاء مصالحهم • من هذا المنطلق يمكن أن تعرف العاصمة بأنها المكان الذى تمارس فيه الدولة جميع أو أحد سلطاتها الثلاث وهى السلطة التشريعية • والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية •

أما بالنسبة لموقع العاصمة فانه يتوقف على عدة عوامل أهمها :

١ ـ أنها غالبا ما تقع فى منطقة النواة بعد أن تستكمل البلاد وحدتها ويرجع السبب فى اختيار هذا الموقع الى أن منطقة النواة تعكس العـــادات والتقاليد والقيم الروحية والتاريخية للدولة ، فباريس عاصمة فرنســـا ، وبرلين عاصمة ألمانيا ، وروما عاصمة ايطاليا ، والرياض عاصـمة المملكة العربية السعودية وغيرها ، كل هذه الدول اختارت مناطق نواتهـــا لتكون عاصمة لها • ومن الملاحظ أن بعض هذه الدول تقاسى من هذا الموقع التاريخى نظرا لاتساع مساحة المدينة وكثرة عدد السكان وانتشار الصناعات المختلفة مما يعرض العاصمة الى مشاكل جمة كعدم نقاء الجو وعدم نقاء ميــــاه

شكل (٤)

الشرب ، تود لو أنها تستطيع ان تنقل عاصمتها الى مدن أخرى أحسن حالا . وقد حدث هذا للندن وباريس وروما الا أنه أصبح من الصعب تغيير هذا الموقع نظرا لارتباط ذلك المكان بقيم تاريخية قديمة يفتخر بها شعب تلك الدولة . غير أن بعض الدول التى أهملت هذا العامل التاريخى غيرت مواقع عواصمها بحيث تتلاءم ومتطلبات العصر الحديث وحتى تستطيع الدولة أن تستفيد من المؤثرات الحضارية التى تأتيها من الخارج ، ومن بين هذه الدول بورما حيث نقلت عاصمتها من مدينة مندلاى Mandalay الى مدينة رانجون Rangoon . وتايلاند التى نقلت عاصمتها من مدينة أيوتا Ayutthaya الى مدينة بانكوك Bangkok أما الهند فقد نقلت عاصمتها من باتنا Batna بالقرب من دلهى الى مدينة كلكتا Calcuta نزولا عند رغبة المستعمر البريطانى والذى قدم من هذه البوابة . ولكن سرعان ما أعادتها الى نيودلهى بعد استكمال استقلالها . أما الاتحاد السوفيتى فقد نقل بطرس الأكبر عاصمته فى بداية القرن الثامن عشر من موسكو الموقع التاريخى الى مدينة سانت بطرسبرج (لننجراد) الطاقة المطلة على الغرب رغبة فى الاتصال بدول أوربا الغربية ، ولكن ما لبث أن تغير هذا الوضع بعد ظهور الثورة الشيوعية وعادت العاصمة الى موقعها التاريخى القديم وهو موسكو (شكل ٤) .

٢ - يراعى المركز المناسب لسهولة المواصلات بين أجزاء الدولة المختلفة . هذا الموقع اما أن يكون متوسطا فى قلب الدولة كموقع مدريد عاصمة أسبانيا وأنقرة عاصمة تركيا والرياض عاصمة المملكة العربية السعودية أو أن يكون على نهر من الأنهار الملاحية كموقع فيينا عاصمة النمسا والتى تعتمد على نهر الدانوب فى تجارتها الخارجية وموقع بلغراد عاصمة يوغوسلافيا عند ملتقى نهر مورافا بنهر الدانوب وموقع الخرطوم عاصمة الجمهورية السودانية عند ملتقى النيل الأبيض من مع النيل الأزرق وموقع باريس عاصمة فرنسا عند ملتقى نهر السين بنهرى الواز Oise والمارن Marne .. وهكذا . وأما أن تكون العاصمة على أحد البحار النشطة تجاريا وهنا يصبح الاهتمام بالتوجيه الجغرافى للدولة نحو الخارج وغالبا ما يختار المستعمر هذا الموقع ليكون على اتصال بالمستعمرات عن طريق البحر مثل الجزائر عاصمة الجزائر وسايجون عاصمة فيتنام الجنوبية وريودى جانيرو العاصمة السابقة للبرازيل وبوينس ايرس عاصمة

الأرجنتين • وقد لاحظنا سابقا بأن روسيا قد غيرت عاصمتها من موسكو الى مدينة لننجراد عندما أرادت أن توجه نفسها نحو الثقافة الغربية •

٣ ـ أحيانا يفضل المركز التجارى الموقع الممتاز سواء كانت العاصمة تقع على منطقة سهلية خصبة أو فى منطقة صناعية ، فمثلا باريس ولندن يتوسطان أقاليم خصبة وكذلك الحال بالنسبة لأوسلو عاصمة النرويج وبيروت عاصمة لبنان والقاهرة عاصمة جمهورية مصر العربية • ويرجع السبب فى اختيار هذا الموقع أن العاصمة دائما تنمو ويتكاثر عدد سكانها حتى تصبح أكبر مدينة فى الدولة وحيث أن سكان العاصمة فى حاجة الى المنتجات الزراعية والرعوية لاستهلاكهم اليومى لذا فان من واجب المناطق التى تحيط بالعاصمة أن تمدها بحاجتها من الخضار والفواكه واللحوم والألبان • فاذا كان موقع العاصمة بعيدا عن السهول الخصبة فانه يصبح من الضرورى استيراد متطلبات سكان العاصمة من مناطق بعيدة وهذا قد يرفع أسعار السلع الضرورية فى العاصمة • وقد يتوقف وصول تلك السلع التى لا تستغنى عنها أية أسرة اذا كانت الموارد تأتى من خارج حدود الدولة أوقات الأزمات الدولية فى المنطقة فتتعرض العاصمة لمشاكل توفير المواد الغذائية كالخضار والفواكه واللحوم والألبان • من أجل ذلك يراعى أن تكون العاصمة فى منطقة سهلية خصبة تمد العاصمة بكل أو بمعظم حاجتها من الغذاء (شكل ٥) •

٤ ـ أن عامل الحماية والدفاع يعتبر من أهم العوامل فى اختيار موقع العاصمة • فمما لاشك فيه أن كل دولة تولى جل اهتمامها الى مشاكل الدفاع عد نفسها فى أوقات الحروب اذ أن سقوط العاصمة فى أيدى أعدائها قد يترك آثارا سيئة فى نفوس الشعوب • من أجل ذلك تحاول الدول أن لا تكون عاصمتها قريبة من الحدود ولهذا أيضا قامت الحكومة التركية بنقل عاصمتها من مكان الى آخر حسب الظروف التى مرت بها الدولة • لقد كانت العاصمة فى مدينة برسا Bursa حتى عام ١٣٢٦ م ثم انتقلت الى ادرنة Edirne نتيجة لتوسع الامبراطورية العثمانية نحو الغرب فى منطقة البلقان وأوربا الشرقية وبقيت العاصمة فى أدرنة حتى عام ١٤٥٣ م حيث انتقلت الى اسطنبول نتيجة لامتداد الامبراطورية العثمانية نحو وادى الفرات ووادى النيل وشمال أفريقيا وشرق أوربا •

ولكن مالبثت الامبراطورية العثمانية أن تقلصت بعد الحرب العالمية

شكل (٥)

الأولى ، فقام مصطفى كمال أتاتورك بنقل العاصمة الى أنقرة عام ١٩٢٣ م ٠ فى وسط هضبة الأناضول حيث تتركز القومية التركية ٠ وربما يرجع السبب فى نقل العاصمة الى أنقرة هو أن مدينة اسطنبول أصبحت مدينة دولية تكثر فيها القوميات المتنوعة وخاصة اليونانية ، كما أصبح مركز العاصمة غريبا على جسم الدولة بعد تقلص الامبراطورية العثمانية ٠ ولهذا الهدف أيضا قامت الحكومة البرازيلية بنقل عاصمتها من مدينة ريودى جانيرو Rio De Janeiro الى برازيليا Brasilia فى منطقة السفانا الواقعة فى الداخل الدافع الرئيسى لهذا التغيير هو أبعاد العاصمة من مكان يكثر فيه الاجانب وتضيع فيه الصبغة القومية للبلاد الى مكان يتميز بالصبغة القومية البرازيلية ٠ ولعل من أسباب انتقال العاصمة السياسية للمملكة العربية السعودية من مكة المكرمة الى مدينة الرياض يرجع الى هذه الأسباب بالاضافة الى أسباب أخرى ذكرناها سابقا ٠

وتتميز العاصمة عن غيرها من المدن بعدة ميزات أهمها أنها مقر الحكومة الرسمى حيث تتركز بها مبانى المصالح الحكومية المختلفة ومساكن الحكام والقضاة والمسئولين عن ادارة شئون الدولة ٠ وفى الغاصمة يجتمع رؤساء الدول المختلفة وممثلوها كما تتركز معظم المصالح الاقتصادية مثل البنوك والشركات الأجنبية لتكون على اتصال دائم بالحكومة وعلى مقربة منها لحمايتها فى أوقات الأزمات السياسية كما تتجمع فى العاصمة النقابات والمنظمات العلمية والصناعية والتجارية لتكون على صلة وثيقة بالدولة ومع بعضها البعض ٠ كما يتركز فى العاصمة رؤساء الطوائف الدينية وخاصة فى تلك الدول التى قامت على أسس دينية كالمملكة العربية السعودية والباكستان ٠ ويجتمع فى العاصمة زعماء الأقليات فى الدولة كزعماء الصرب والكروات فى يوغسلافيا وزعماء الكنديين الناطقين باللغة الفرنسية والناطقين بالانجليزية فى أوتاوا بكندا ٠ وهكذا فالعاصمة هى المدينة التى تباشر فيها الحكومة أعمالها الرسمية وتتركز فيها الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية ومنها ترسل الوزارات والهيئات الحكومية ممثليها الى جميع مدن الدولة ٠

أن معظم عواصم العالم تتمثل فى مدينة واحدة تختص بجميع الوظائف السابقة غير أن هناك حالات شاذة فى بعض الدول ٠ فهولندا مثلا اختارت أمستردام لتكون العاصمة الرسمية للدولة بينما نجد أن أمور الدولة تقرر

بواسطة البرلمان الهولندى فى مدينة لاهاى ، وكذلك بوليفيا فان عاصمتها الرسمية مدينة لاباز Lapaz بينما نجد أن أمور الدولة تدار من مدينة سوكر Sucre ولجمهورية جنوب أفريقيا وضع شاذ ، فلهذه الدولة ثلاثة عواصم بدلا من واحدة • وهنا نجد أن السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية تتوزع بين هذه المدن على التوالى كيب تاون Capetown وبلوم فونتين ، Bloemfontin وبريتوريا Pretoria أما الغرض من هذا التقسيم فهو ارضاء القوميات المتعددة التى تعيش فى جنوب أفريقيا فى كل من كيب تاون والأورنج الحرة والترنسفال •

وأخيرا هناك نوع آخر من العواصم وهى العواصم الفدرالية المحايدة بين الولايات التى تمثلها • ففى الولايات المتحدة الأمريكية اقتطعت مائة ميل مربع من ولاية فرجينيا Virginia ومائة ميل مربع من ولاية ماريلاند Maryland لتكون مدينة واشنطن .Washington D.C العاصمة الفدرالية على شرط أن تكون محايدة حتى أن سكانها ليس لهم ممثلون فى الكونجرس الأمريكى • ومما تجدر الاشارة اليه أنه عندما اختيرت واشنطن كعاصمة للولايات المتحدة لم تكن حدود أمريكا فى ذلك الوقت تتعدى جبال الابلاش الواقعة شرقى الولايات المتحدة فى الوقت الحاضر • وبالرغم من أن موقعها فى الحاضر لا يمثل منطقة الوسط فى الولايات المتحدة الأمريكية كما كان وقت انشائها الا أنه أصبح من الصعب نقل العاصمة الى مكان آخر داخل القارة الأمريكية نظرا لتدخل العامل التاريخى الذى سبق شرحه • أما فى كندا فلقد كانت المنافسة شديدة بين الكنديين المتكلمين باللغة الفرنسية والكنديين الناطقين باللغة الانجليزية • ففى عام ١٨٥٨ م تقرر أن يمكث البرلمان أربعة فصول فى مدينة تورنتو Toronto وأربعة فصول فى مدينة كويبك Quebec نظرا لأن الطرفين لم يتفقا على موقع محايد • وأخيرا اقترح أن يعقد البرلمان فى قرية تقع على حدود المنطقة المتكلمة باللغة الانجليزية والمنطقة المتكلمة باللغةالفرنسية وجاء الدستور الكندى عام ١٨٦٧م ليحدد موقع العاصمة فى تلك القرية وهى ما تعرف اليوم بمدينة أوتاوا Ottawa العاصمة الفدرالية الكندية • أما استراليا فقد قامت المنافسة فيها بين سدنى Sydney ومدينة ملبورن Melbourne لاجتذاب العاصمة الى كل منهما غير أن الدستور الصادر فى عام ١٩١١ م قد نص على أن تكون العاصمة فى منطقة محايدة وبناء على ذلك اختيرت مدينة كانبرا

وكانبرا Canberra كعاصمة فدرالية ٠ وعلى غرار واشنطن واوتاوا وكانبرا اختيرت مدينة المكسيك كعاصمة فدرالية للولايات المكسيكية ومدينـــــة بوينس ايرس Buenos Aires كعاصمة للارجنتين ٠ ومدينـــة نيودلهى كعاصمة للهند ٠

الفصـــل الثـــانى

نمو الدولة وتطورها

توسع الدولة :

ليس من المغالاة أن نذكر أن معظم دول العالم لم تصل الى حجمهـا الراهن الا بعد أن اقتطعت أجزاء من الأراضى المجاورة لها ٠ هذه العمليـة تعرف بعملية النمو والتى قد تستغرق عددا من القرون للتكامل ٠ ان موضوع نمو الدولة وتطورها يعتبر من الموضوعات التى أثيرت فى المناقشات العلمية والتى كتب عنها العديد من النظريات وقد يطول البحث لو حاولنا مناقشتها بشىء من التفصيل ، ولكن سنتناول نظريتين أحدهما ظهرت فى ألمانيا والأخرى فى فرنسا ٠

أما النظرية الأولى فقد أثارها الأستاذ فردريك راتزل (١) عام ١٨٩٦ م وقد لاقت ردود فعل كثيرة فى الأوساط العلمية والسياسية وخاصـــة وأن اراءه كانت بمثابة دليل للسياسة الألمانية التى جرت العـــالم الى حربين عالميتين ٠ لقد نشر راتزل مقالته عن قوانين النمو للدولة عام ١٨٩٦ م ٠ والتى تتلخص فى أن الدولة مثل الكائن الحى الذى يولد وينمو ويكبر وأن رقعة الأرض التى تحتلها الدولة لا تنمو الا بنمو الثقافة والحضارة والتقدم العلمى ٠ فكلما انتشر سكان الدولة المتقدمة ثقافيا كلما حملوا معهم ثقافتهم٠ وبهذا فان الأراضى التى ينزلون بها خارج حدودهم هى التى تزيد من مساحة دولتهم ٠ وهنا يجب ملاحظة أن ألمانيا دولة مزدحمة بالسكان وأن ســكانها كانوا يهاجرون الى أراضى الدولة المحيطة بها ٠ فراتزل يرى أن نمو السكان يجب أن يتم قبل نمو الدولة لأن السكان هم الذين يحتلون الأراضى التى سوف تتوسع فيها الدولة ٠ ويرى أن عملية النمو والتوسع يجب أن تتم ببطء بأن يضاف الى جسم الدولة أجزاء صغيرة من الأراضى بحيث يمكن استيعابهـا وحتى تتفاعل الأرض ومن عليها على حد تعبيره فاذا امتزجتــا ـ التربة

1. Friedrich Ratzel "Die Gestze Des Raumlichen Wachstunder Staaten" Petermans Mitteilungen Vol. 42 (1859).

ترجمة أمين محمود عبد الله « دراسات فى الجغرافيا السياسية للعلم المعاصر » « مكتبة الانجلو المصرية » القاهرة ١٩٦١ م صفحة ٣٤ ٠

والسكان ـ فى بقعة ما فعندئذ يبدأ التوسع فى ضم قطعة أخرى صغيرة أيضا وهكذا • لقد نظر راتزل للحدود السياسية على أنها الاطار المغلف للدولة وأن حدود الدولة تبين مدى اتساع الدولة وما وصلت اليه من نمو • فالدولة اذا فى نموها ينبغى أن تهتم بنوعية الأراضى التى تضمها فلا تضم سوى الأراضى ذات القيمة الاقتصادية كأن تكون سهولا خصبة أو أنهارا يستفاد منها أو مناطق ساحلية تطل على بحار دولية نشطة أو أن تكون الأراضى غنيـــة بالثروات المعدنية • فنظرية راتزل تحدد أن توسع الدولة يجب أن لا يتم الا اذا وجدنا ازدحاما سكانى وكانت هناك حاجة ماسة للحصـــول على الغذاء • أى أن هناك حاجة ملحة للتوسع لأن شهية الدولة التوسعية سوف تزداد كلما استطاعت الدولة أن تضيف أراضى جديدة • فالتوسع ســوف يقوى الرغبة فى التوسع •

فنظرية راتزل تتلخص فى أن الدولة كالكائن الحى يولد وينمو ويتعرض للفناء • وأن للشعب الحق فى أن يضغط على حدود الدولة ويوسعها اذا كانت أراضيه لا تكفى سكانه غير أن التوسع والانتشار مرتبط بمدى سمو حضارة الدولة لأنه لم يحصل قط فى التاريخ البشرى أن جماعة بدائية وغير متحضرة كان لها سلطة كبيرة واسعة النفوذ • ويرى راتزل أن الدولة الصغيرة فى طريقها الى الانقراض وأنها سوف تصبح أجزاء من دول كبيرة قوية تحتل القارات الرئيسية • حقيقة أن لنظرية راتزل بعض الصحة فالدولة تتوسع طالما أراد حكامها ذلك وكانت لديهم القوة الكافية لتحقيق أهدافهم أما اذا افتقرت الدولة الى القوة أو نالها ضعف فى قواها فانها سرعان ما تفقـــد المناطق التى توسعت فيها ولدينا من الأمثلة الشىء الكثير فهذه الامبراطوريات الكبيرة كامبراطورية النمسا والمجر والامبراطورية العثمانية والامبراطورية البريطانية كل هذه الامبراطوريات أصبحت دولا صغيرة بعد أن كان يطلق عليها فى يوم من الأيام اسم الدول العظمى •

أما النظرة الثانية فان رائدها هو العالم الفرنسى المشهور « جان جاك روسو (١) » • الذى ينظر الى نمو الدولة من ناحيتين هما :

---

1. Jean Jacques Rousseau "Contract Social" Qoted in C. E. Vaugham ed. "The Political Writing of Rousseau". Cambridge University Press, Cambridge (1915) Book 11 ch. 9.

١ ـ اتساعها الجغرافى ٠

٢ ـ ازدحامها السكانى ٠

ويرى جان روسو أن حجم الدولة يتوقف الى حد كبير على النسبة بين مساحتها وازدحام سكانها ، فيقول أن الرجال هم الذين يصنعون الدولة غير أن الأرض هى التى تمدهم بالغذاء ٠ فالحجم المثالى للدولة هو ذلك الحجم الذى تصل اليه الدولة عندما تكون أراضيها قادرة على امداد سكانها بالمواد اللازمة لهم أو عندما يصل الشعب الى نقطة يستطيع منها أن يستغل كل ما تنتجه أراضيه فاذا وصلت الدولة الى هذا المستوى فهى بذلك تكون قد وصلت الى أقصى قوتها وتطورها ٠ ولكن عندما تصبح الأرض واسعة بالنسبة لعدد السكان الذين يقطنونها فان مشكلة الدفاع عنها تصبح من أهم المشـــاكل التى تواجه الدولة : هذا من جانب ٠ ومن جانب آخر فعندما تكون الأرض غير كافية لمتطلبات السكان فان الدولة تصبح تحت رحمـــــة جيرانها الذين يمدونها بما ينقصها من زاد وهذا قد يدعو الدولة الى العدوان والتوسع عندما تتوفر لديها القوة الكافية حتى تستكمل مستلزماتها ٠ فالأراضى لا تحتل الا اذا كان هناك من يسكنها ٠ فالدولة المثالية فى نظر « روسو » هى تلك الدولة التى ليست كبيرة بحيث يصعب الدفاع عنها ، وليست صغيرة بحيث تحتاج الى من يدافع عنها ٠ لقد كتب « جان جاك روسو » مقالته هذه فى وقت كانت فرنسا تناقش ما اذا كان من المستحسن أن تضم اليها اقليم سافوا Savoy أم لا وكانت لأسئلة الدائرة فى ذلك الوقت ما اذا كان اقليم سافوا سيجعل من فرنسا دولة واسعة يصعب ادارتها وهل كانت فرنســـا فى حاجة الى ذلك الاقليم ٠ لقد حاول « روسو » أن يشرح العلاقة بين حجم الدولة وعدد السكان فقال أنه كلما كبرت الدولة فان العلاقات الاجتماعية بين سكانها تتفكك وتصبح ادارة الرقعة الواسعة الكبيرة من الأمور الصعبة نظرا لبعد المسافة والتى قد ينتج عنها انخفاض فى كفاءة الاداريين ٠ هذا بالنسبة للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر ٠

أما بالنسبة للقرن العشرين ونتيجة لتطور وسائل المواصلات البـــرية والبحرية والجوية وتقدم وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية فان حكم المناطق الواسعة أصبح أمرا لا يشكل صعوبات كبيرة للمسئولين ٠ بل العكس فان حجم الدولة ومساحتها الكبيرة أصبح مقياسا هاما لقوتها وأهميتها ٠

فكلما كبرت المساحة زادت موارد الثروة الاقتصادية ٠ وهذا بدوره يعطى الفرصة لتنوع الانتاج ٠ كما يعطى الدولة مركزا أفضل فى نموها الاقتصادى والسياسى ٠ فاتساع مساحة الدولة يعتبر المجال الحيوى الذى تواجه به الدولة زيادة عدد سكانها فى المستقبل وخاصة اذا كانت تلك الأراضى من النوع الذى تتوفر فيه وسائل الانتاج ٠ أما صغر مساحة الدولة فقد يكون عائقا لتقدمها الاقتصادى والاجتماعى وهذا بدوره قد يجبر السكان على الهجرة وخاصة اذا كانت تلك الدولة الصغيرة تضم بقاعا جبلية قليلة الانتاج مثل لبنان واليونان وبعض دول أمريكا الوسطى ٠ فلو دققنا النظر فى عـدد اللبنانيين الذين يعيشون خارج لبنان لوجدناهم أضعاف أولئك الذين يعيشون بداخلها ولو كان كل أفراد الشعب اللبنانى يعيشون بداخل لبنان لما كانت دولة صغيرة ٠ ومما يجدر ملاحظته أن المساحة وحدها لا تكفى لتكامل قـوة الدولة فقد تتمتع الدولة بمساحات كبيرة والجزء الأكبر من هذه المساحة عبارة عن أراضى صحراوية قاحلة أو سهول جليدية غير منتجة تقف عقبة فى مد شبكة المواصلات والتى بدورها تعرقل عملية الدفاع عن البلاد ٠

أما اذا كانت الدولة ذات المساحة الكبيرة تتمتع بموارد طبيعية متعددة وكثافة سكانية مناسبة وقدرة تقنية عالية فان ذلك سوف يكون نعمة عـلى البلاد وخير مثل لهذه الدولة هى الولايات المتحدة والاتحاد الســـوفيتى ، فكلتاهما تتمتع بأراضى شاسعة تتنوع فيها الظروف المناخية والنباتية وهذا بدوره ينعكس على تنوع الانتاج الزراعى والرعوى بالاضافة الى تنوع الثروة المعدنية ومصادر القوى المختلفة ٠ فبالرغم من أن كثافة الســـكان فى كلتا الدولتين ليست عالية الا أن تقدمهما التقنى قد ساعدهما على اســـتغلال مواردهما الطبيعية على أفضل وجه ٠ وعلى النقيض من ذلك نجد الهنـــد والصين يتمتعان بالمساحة الواسعة وعدد السكان الوفير الا أنهما يفتقـــران الى التقدم التقنى والتنظيم الادارى ٠

أما اذا كانت الدولة تمتلك أراضى واسعة ولكنها فقيرة فى عدد سكانها وتقدمها التقنى فان قوتها ومكانتها الدولية تصبح أقل من الدول ذات المساحة الواسعة والمتقدمة علميا وتقنيا ٠ فمثلا كندا والبرازيل واستراليا والمملكة العربية السعودية والجزائر تمتلك مساحات شاســـعة من الأراضى الا أن امكانياتها الاقتصادية محدودة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والاتحـاد السوفيتى ٠ فمعظم الأراضى الكندية تحتلها الغابات الصـــنوبرية والأراضى

المتجمدة معظم العام ٠ بينما تحتل الغابات المدارية معظم الأراضى البرازيلية٠ وتحتل الصحارى جزءا كبيرا من استراليا والمملكة العربية السعودية والجزائر ، وعلى غرار هذه الدول نجد أن جمهورية مصر العربية تزيد مساحتها على مليون كيلو متر مربع بينما يتركز سكانها فيما لا يزيد عن ٣٪ من مساحتها الكلية ٠ أما بقية الأراضى فانها تبدو حاليا غير ذات قيمة اقتصادية كبيرة وأن عدد سكانها آخذ فى الزيادة يوما بعد يوم ٠ ففى هذه الدول نرى أن كبر المساحة لا يجلب للدولة سوى المتاعب ورفع تكاليف مد الطرق وصيانتها ٠ فالقيمة الحقيقية لمساحة الدولة لا تقاس بعدد الكيلو مترات أو الأميال المربعة بقدر ما تملكه من مصادر الثروة الطبيعية وتقدم الأمة ورقيها ٠

قد يكون لهذه النظريات بعض الصحة فهذه المانيا حاولت أن تكون دولة كبيرة على حساب جيرانها من الدول ولم يمض وقت طويل على هزيمة المانيا فى حربين عالميتين حتى ظهرت دولة اسرائيل فى العالم العربى منتهجة اسلوب المانيا فى نظرية التوسع ٠ لقد ولدت عام ١٩٤٨ م ، ولم يأت عام ١٩٦٧ حتى تضاعفت أراضيها ولا زالت تخطط لاضافة أراض جديدة من جنوب لبنان ومن الأراضى السورية ٠ غير أن اسرائيل طبقت نظرية راتزل بطريقة مختلفة فى ترتيب شروط النمو حيث بدأت باحتلال الأراضى ثم زيادة عدد السكان بواسطة طلب المزيد من المهاجرين اليهود من جميع أنحاء العالم٠ علما بأن الثقافة التى ينشرونها هى الثقافة الغربية لأن الثقافة الغربية هى الثقافة المتفوقة فى الوقت الحاضر على بقية الثقافات داخل اسرائيل ٠ ولأن عدد القادمين من أوربا بشطريها الشرقى والغربى يزيد من عدد القادمين من الشرق ٠ فاذا ما وصل المهاجرون وازدحمت بهم البلاد دفعوا بحدودهم بالاعتداء على الدول المجاورة واحتلوا أراضيها ٠ وهنا تصبح الخطوة الأولى بعد الاحتلال هو تغيير معالم الأرض حتى يصبح الطابع الغالب على الأراضى هو الطابع اليهودى وليس الطابع العربى ٠ لقد اتبعت اسرائيل نصيحة راتزل فى النمو ببطء وذلك باضافة أجزاء صغيرة الى جسم الدولة كل عشرة سنوات حتى يتمكنوا من استيعابها وهضمها وحتى لا يصابوا بالتخمة باضافة أراضى كبيرة لا يستطيعون استيعابها بل تسبب لهم مشاكل جمة كما أنهم يراعون نوعية الأراضى التى يضمونها بأن تكون لها قيمة اقتصادية مثل السهول الزراعية فى كل من الضفة الغربية ومرتفعات الجولان

والمناطق الغنية بالمعادن فى سيناء • علما بأن اسرائيل قامت بانشـــــاء خطوط أنابيب لنقل البترول من خليج العقبة والى البحر المتوسط لتســاهم فى التجارة الدولية للبترول وتحصل على جزء كبير من البترول الذى كان يمر بقناة السويس ، وبهذا يصبح للأراضى التى ضمتها قيمة اقتصادية •

أما اذا استثنينا كلا من المانيا واسرائيل فان نظـــرية توسع الدولة ونموها وعلى الأقل منذ الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الحاضر يصبح أقل أهمية بل أن تفكك الدول وانفصالها تصبح الظاهرة الجديدة التى أعقبت الحروب العالمية • فعدد أعضاء الأمم المتحدة قد يجاوز المائة والأربعين دولة مستقلة وأن هذا العدد آخذا فى الزيادة نتيجة لحركات التحرر والاستقلال • وتعتبر معظم دول العالم متوسطة وصغيرة الحجم ، فعدد الدول العمـــلاقة محدود للغاية اذ لا يزيد عن ست دول هى الاتحاد السوفيتى ، والصين ، والولايات المتحدة الأمريكية ، وكندا ، والبرازيل ، واستراليا • ثم تلى هذه المجموعة دول أصغر منها مثل المملكة العربية السعودية ،السودان ،والجزائر، والأرجنتين • تليها جمهورية مصر العربية ثم ليبيا وتشاد واتحاد جنـــوب أفريقيا ، وايران ، واندونيسيا ومنغوليا ، والمكسيك ، وهكذا تستمر الدول آخذة فى الصغر حجما الى أن تأتى الدول القزمية فى نهاية القائمة لتضم ســـــنغافورة ، ولوكسمبرج وأندورا Andora (١) ولشتنشـــتين Liechtenstein ، وسان مارينو San Marino وموناكو Monaco والفـــاتيكان Vatican City • (شكل ٦) (١) •

شكل الدولة :

يعتبر شكل الدولة من أهم المواضع المدرجة فى جدول أعمـال مؤتمر السلام بعد الحرب العالمية الثانية وخاصة وأن السبب المباشر لقيام الحرب العالمية الثانية كان شكل ألمانيا الشاذ نتيجة لمنح بولندا ممرا بريا عبر الأراضى

---

(١) اندورا تخضع للنفوذ الاسبانى •

لشتنشتين : تقع غرب النمسا •

سان مارينو : تقع فى شرق ايطاليا •

موناكو : تخضع للنفوذ الفرنسى •

الفاتيكان : وهى جزء من مدينة روما بايطاليا •

نماذج للدويلات القزمية في العالم

شكل (٦)

الألمانية ليوصلها ببحر البلطيق مما جعل الأراضى الألمانية تنشطر الى شطرين٠ تلى ذلك حرب ضارية بين الهند وباكستان كان الهدف منها تعديل شـــكل باكستان الشاذ ٠ وبالنظر الى خريطة العالم السياسية نجد أن أشكال الدول تنقسم الى مجموعات :

(أ) مجموعة الدول المندمجة Compacted States

تتميز الدول المندمجة بتماسك اجزائها بحيث لا تفصل اجزائها بعضها عن بعض مناطق بحرية أو بها تنوءات تدخل اجسام دول اخرى أو بها جيوب لدول مجـــاورة أو ان تكون أجزاء من اراضيها معزولة وراء أراضى دولة أخرى ونجد أن حدود الدولة المندمجة ليست طويلة بالنسبة لمساحتها وهذا ما يسهل عملية الدفاع عنها والمحافظة على وحدتها واستقلالها ٠ فالشـكل المثالى للدولة المندمجة هو الشكل الدائرى أو المربع كشكل فرنسا وسويسرا وجمهورية مصر العربية وبلجيكا ورومانيا والمجر والمكسيك والمملكة العربية السعودية هذا الشكل يساعد الدولة على مد شبكات المواصلات واتصـــال العاصمة بجميع أطراف الدولة وهذا بدوره أيضا يساعد على حفظ الأمن وسرعة الدفاع عن الوطن ٠ اما الدول التى تتميز بوجود بروز أو نتوء فى جسمها فانها فى كثير من الحالات تتعرض للعديد من المشاكل مع جيرانها ٠ وربما يرجع السبب فى اعطاء دولة من الدول نتوء هو :

١ ـ أن تفصل بين منـــاطق نفوذ دولتين كبيرتين كنتوء واخان Wakhan Strip بافغانستان والذى وضع ليفصل بين الاتحاد السوفيتى فى الشمال ومناطق النفوذ البريطانى فى الجنوب ٠

٢ ـ أن يحرم دولة من الوصول الى البحر كنتوء بروسيا قبل الحرب العالمية والذى كان يفصل بولندا من الوصول الى البحر البلطى ٠

٣ ـ أن يوصل دولة داخلية حبيسة بالبحر كالممر البولنـدى (ممر دانزج) الذى اقتطع من الأراضى الألمانية ليصـــــل اراضى بولندا ببحر البلطيق ٠

٤ ـ أن يصـــــل دولة بنهر دولى كنتو كابريفس Coprivi's

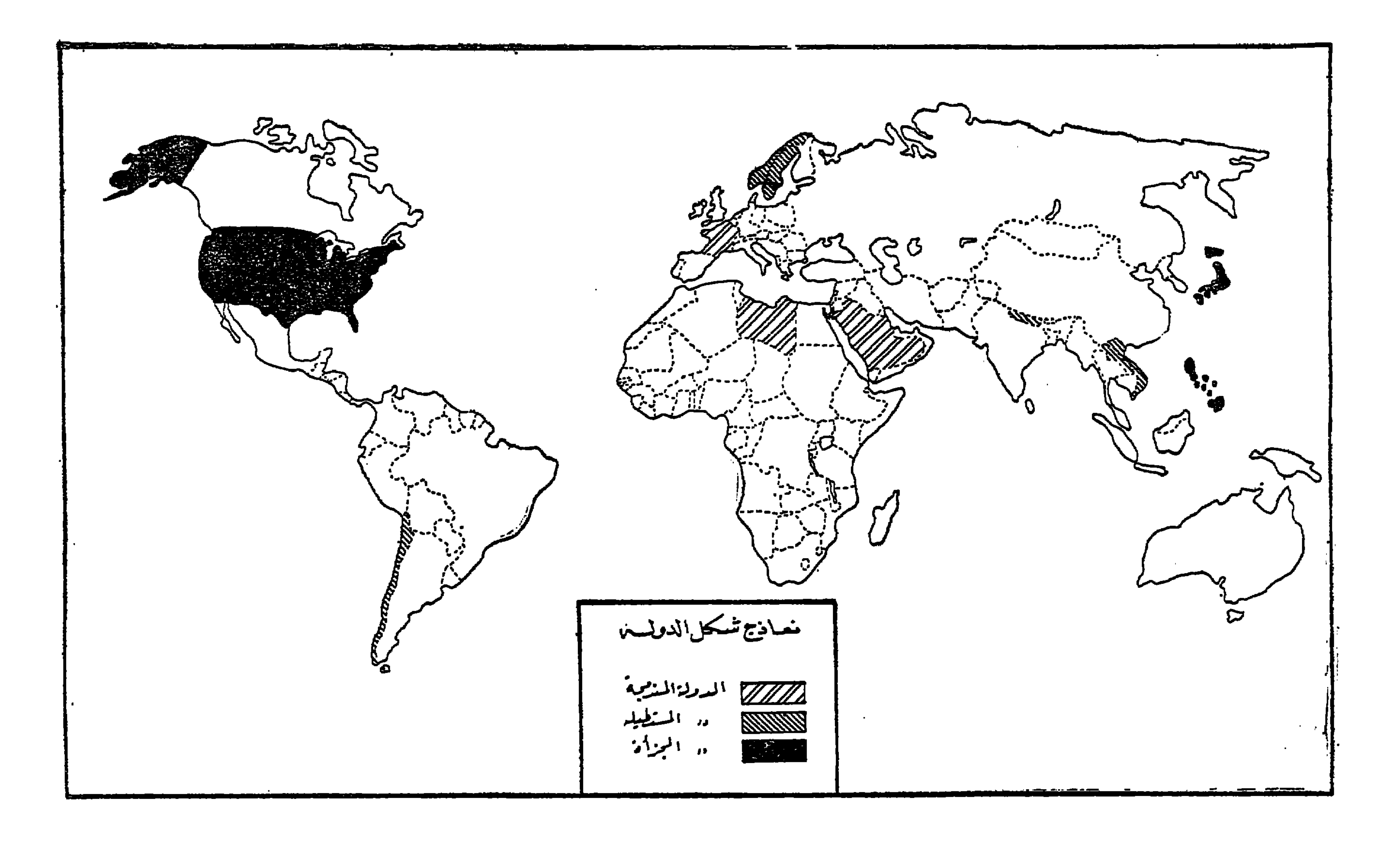
والذى يصل بين أفريقيا الجنوبية الغربية (ناميبيا) بنهر الزمبيزى ٠

حقيقة أن الممر البولندى كان من بين الأسباب التى قادت الى قيام الحرب العالمية الثانية أما بقية النتوءات فلم تثر مشاكل دولية حتى وقتنا هذا ولكن لا يعنى ذلك أنها لن تكون مصادر أزمات دولية فى المستقبل (شكل ٧) ٠

(ب) مجموعة الدول المستطيلة Attentinated States

تواجه الدول المستطيلة العديد من المشاكل أهمها طول حدودها وصعوبة مراقبتها والدفاع عنها ٠ فالصلة بين العاصمة وبقية أجزاء الدولة قد لا تكون وطيدة وخاصة اذا كانت هناك عقبات طبيعية كوجود سلاسل جبلية عالية تقطع أجزاء الدولة ٠

تنقسم الدول المستطيلة الى نوعين ، أحدهما دول تمتد على طول السواحل مثل فيتنام بقسميها الشمالى والجنوبى وجمهورية تشيلى والأرجنتين والنرويج ٠ هذه المجموعة من الدول وخاصة النرويج وشيلى تعانى من عدم وجود خطوط سكك حديدية تغطى الدولة من أقصاها الى أقصاها ٠ فاذا كانت بعض الدول المستطيلة لديها بعض الطرق البرية التى تصل أجزاء الدولة فان البعض الآخر يفتقر الى هذه الميزة ٠ فمعظم الدول الساحلية تعتمد على الملاحة البحرية فى الاتصال بين أجزاء الدولة ٠ وهذه الوسيلة تعرض وسائل المواصلات للدول المعنية الى مخاطر البحار والمحيطات والتى تخضع لحالة البحر والظروف المناخية ومشاكل المد والجزر٠ أما القسم الثانى من الدولة المستطيلة فهى الدولة الداخلية مثل لاوس وتشيكوسلوفاكيا والنمسا ٠ هذه الدول تتميز بوجود الحواجز الجبلية والتى تمتد على طول تلك الدول كما يترتب عليه عرقلة وسائل المواصلات وهذا بدوره ينعكس على شعور الشعوب التى تتألف منها هذه الدول ٠ لقد أدت الحواجز الجبلية فى تشيكوسلوفاكيا الى فصل الشعبين المتكون منهما الدولة وهما التشيك والسلوفاك والى عدم انسجامهما رغم مضى مدة من الزمن منذ توحيدهما والتى كانت كفيلة بأن يندمجا ويكونا شعبا واحدا ٠ ولقد حدث فى النمسا مثل ما حدث فى تشيكوسلوفاكيا حيث طالب الاقليم الغربى من النمسا والمعروف باقليم فورارلبرج بالانفصال على النمسا والانضمام الى الاتحاد السويسرى نظرا لبعد المسافة بينه وبين عاصمة النمسا (فيينا) وقربه من الاتحاد السويسرى ٠


نماذج شكل الدولة
الدولة المندمجة
،، المستطيلة
،، المجزأة

(جـ) مجموعة الدول المجزأة أو الممزقة Frangmented States

من المعروف أن تماسك أجزاء الدولة فى مكان واحد يعتبر من أهم مقومات وحدة الدولة والسيطرة على أراضيها وسهولة ادارتها • غير أن هناك عددا من الدول المكونة من أراضى متناثرة مثل المملكة المتحدة واليابان ونيوزيلندا ويمكن أن نقسم الدول المجزأة الى قسمين :

المجموعة الأولى : وتتـــكون من عدد من الجزر والتى تطول حدوها وبالتالى فانها تواجه مشكلة عدم القدرة على الدفاع عن نفسها بالاضافة الى صعوبة تحديد مياهها الاقليمية حيث أن ضيق المسافة بين الجزر ووقوعهـا على طرق التجارة الدولية يجعل الدول البحرية الكبرى تطـــالب بتدويل الممرات الدولية حتى لا تقف الحدود الاقليمية للدولة حجر عثرة فى سبيل التجارة الدولية • هذا من جانب ، ومن جانب آخر فان القوات العسـكرية للدولة سوف تتوزع على جميع سواحل الجزر فى حالة الاعتداءات الخارجية وهذا ما يضعف قدرة الجيش لأن وحدته فى مكان واحد تجعل منه قوة •

لقد حمل لنـــا التـــاريخ العديد من الأمثلة على تطور القوى البحرية وسيطرتها فلقد كانت الدانمرك تمتلك جزءا من الجزر البريطانية وجزءا من جنوب السويد بالاضافة الى عدد من الجزر • كما كانت مملكة الانجلو نورمان تحتل جنوب انجلترا وشمال فرنسا وكانت السويد تسيطر على البحر البلطى بجميع سواحله واستولت اليابان على الشواطىء المقابلة لها فى كل من كوريا والصين وكانت بريطانيا تستعمر جزءا كبيرا من العالم • لقد تقدمت هذه القوى البحرية فى وقت كان فيه الاتصال البرى مصحوبا بالمتاعب بينما كان البحر أسهل وأيسر وسيلة لتحركات القوات البحرية • وكانت اقتصاديات هذه الدول تعتمد على البحر وتجارته وكانت سلطتهم السياسية والحضارية تحمل بواسطة البواخر • غير أنالظروف قد تغيرت فى القرن العشرين وأصبحت القوى البحرية فى طريقها الى الانقراض • فلقد طرد الفرنسيون الانجليز من شمال فرنسا • وطرد السويديون من شرق وجنوب البحر البلطى • وفقد اليابان كل الأراضى التى احتلتها على الشاطىء الآسيوى •

أما المجموعة الثانية من الدول المجزأة فهى تلك الدول التى تتكون من جزئين أو أكثر بحيث تفصلها عن بعضها أراضى لدول أخرى • لقد لاحظنـا

أن من أسباب قيام الحرب العالمية الثانية مشكلة بروسيا والتى قسمت الى قسمين يفصل بينهما الممر البولندى فى الفترة ما بين عام ١٩١١ م وعام ١٩٣٩ م ٠ وبالرغم من أن الألمان قد أعطوا حق الترانسيت فى الممر البولندى ليتصلوا باقليم بروسيا المفصول عنهم الا أنهم كانوا غير راضين عن وجوده كلية ٠ وأدعوا أن الممر قد أضعف حكمهم لاقليم بروسيا الشرقية واستغلوا هذا الفصل لاثارة الشعور القومى الألمانى وتهيئته للحرب العالمية الثانية ٠

أما المثل الثانى فهو تقسيم شبه القارة الهندية ٠ قد يبدو لبعض الناس أن انفصال الهند عن باكستان انما هو وليد رغبة الشعبين فى الانفصال عن بعضهما لكن الكاتب يعتقد بأن فكرة الفصل ما هى الا فكرة اســـتعمارية أوعز بها الى بعض زعماء المسلمين والهندوس فرحبوا بها وتبنوها فباركها الاستعمار وعمل على تسهيل مهمتها علما بأن مستوى التعليم بين غالبيـة أفراد الشعب الهندى من المسلمين والهندوس كان منخفضا بحيث لا يسمح لهم بالتفكير فى المستقبل البعيد ٠ فقبل أن يغادر الاستعمار الانجليزى شبه القارة الهندية قسمها بين الهند والباكستان بحيث جعل الدولة الباكستانية تنقسم الى باكستان الشرقية وباكستان الغربية يفصل بينهما تسعمائة ميل من الأراضى الهندية ٠ أما الاتصال البحرى فقد يطول عن ذلك اذ تبلغ المسافة بين شيتا جونج Chitta Gong وكراتشى حوالى ثلاثة آلاف ميل ، هذا التقسيم فرض على الباكستان مشاكل جمة مما أضعف أحاسيس وعواطف الشعب الباكستانى فى كلا الجانبين للولاء للدولة ٠ وعمق الخلاف بين كل من باكستان الشرقية والغربية ٠ حتى انتهى أخيرا الى فصلهما عام ١٩٧١ م الى دولتين مستقلتين ٠ هناك أيضا العديد من الدول المجزأة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والتى تتكون من ثمـــان وأربعين ولاية متكتلة وولايتين مفصولتين أحدهما ولاية ألسكا ويفصلها عن بقية الولايات الأراضى الكندية وثانيهما ولاية هاواى ويفصلها المحيط الهادى وحيث أن الولايات المتحـدة فى أوج عظمتها وقوتها فانها لا تعانى مشـــاكل من جراء هذا التقسيم ٠ أما اذا ضعفت الحكومة الفيدرالية فان مشاكل انفصال الولايات البعيـــدة سوف تظهر ٠

الموقع الجغرافى للدولة :

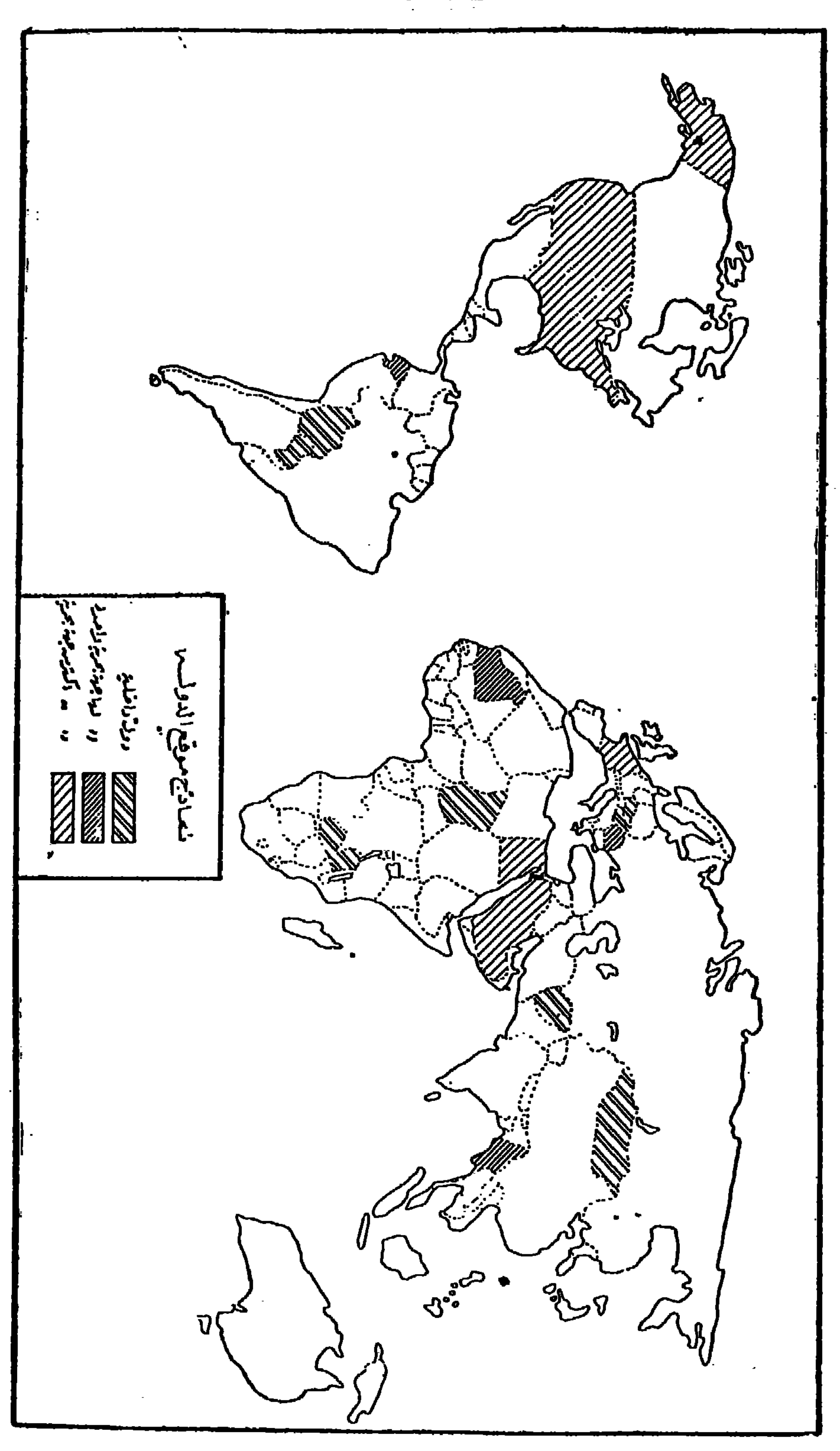
للموقع الجغرافى أهميـــة فى كيان الدولة وتحديد مركزها الدولى ٠

فبعض الدول تقع فى جهات تلائم نموها وازدهارها بينما نجد البعض الآخر يواجه مشاكل جمة نتيجة لموقعه الجغـــرافى • بل كثيرا ما يكون الموقع الجغرافى سببا فى اثارة الحروب بين الدول • فالدولة التى تقع فى نصف الكرة الشمالى تتمتع بمميزات لا توجد لدى زميلتها فى نصف الكرة الجنوبى فهى تقع فى القسم الأكبر من اليابس أى بالقرب من الأسواق العالمية وموارد الثروة الطبيعية والنشاط التجارى ومصادر الحضارة المتطورة بالاضـافة الى سهولة اتصالها بالعالم الخارجى وكذلك الدول التى تقع فى المنـاطق المتعدلة المناخ كدول غرب أوربا تتمتع بظروف مناخية مناسبة للنشاط البشرى بعكس الدول التى تقع فى المناطق الاستوائية الشديدة الحرارة والعـالية الرطوبة أو التى تقع فى المناطق الشديدة الحرارة والجفاف • هذا بالنسبة لموقعها على خطوط العرض المختلفة •

اما بالنسبة لموقع الدول على البحر فله آثار كبيرة وهامة فى تطور الدولة ونموها وفى تقوية مركزها الدولى أو اضعافه • فالدولة التى تقع على البحر أوفر حظا من ناحية تجارتها الخارجية واتصالها بالعـــالم الخارجى من الدول التى تقع بعيدة عنه • فالدولة التى ليس لها حدود بحرية تشعر دائما بأنها معزولة وتعمل كل جهدها فى سبيل الوصول الى البحار الدولية المفتوحة للتجارة طوال العـــام • ان هذا الموقع الداخلى قد يدفع الدول الداخلية الى منازعات وحروب مع الدول التى تفصلها عن البحر • فمما لا شك فيه أن موقع المملكة العربية السعودية وفرنســـا وايطاليـا والمملكة المتحدة والنرويج أفضل من موقع ســـويسرا وتشيكوسلوفاكيا والمجر والنمسا والتى وضعها هذا الموقع الجغرافى تحت رحمة جيرانهـــا وسماحها لها بالاتصــــالات الخارجية بالرغم من أن القوانين الدوليـــة بعد الحرب العالمية الثانية فرضت على الدول البحرية السماح لتجارة الدول الداخلية بالمرور عبر أراضـــيها • فاذا أردنا ضرب امثلة عن المـــوقع الجغرافى الممتاز فان موقع الجزر البريطانية واليابان يأتى فى المقدمة• ونظرة الى خريطة العالم نجد أن هناك منطقة واسعة من السـهول تمتد فى شمال أوربا يحدها من الشمال المحيط القطبى الشمالى وصلاحيته للملاحة والاتصال المائى محدود كما يحدها من الشرق والجنوب نطاق من الســلاسل الجبلية العالية والهضاب والصحارى مما يجعل هذه المنطقة السهلة معزولة عن البحار

الدافئة إلا من جهة واحدة وهى الجهة الغربية وعلى هذه البوابة الغربية تقع الجزر البريطانية ٠ فهى بهذا الموقع الجغرافى الممتاز استطاعت أن تسيطر على التجارة الداخلية والتجارة الخارجية وخاصة وأن على هذا الجزء من العالم تعيش أرقى شعوب العالم تقدما والذى ينعكس على ارتفاع القــدرة الشرائية لهذه الشعوب ٠ بالاضافة الى ما تقدم نجد أن بريطانيا تقع عــلى أنشط بحار العالم ٠ كل هذه العوامل مجتمعة أعطت المملكة المتحدة مكانتها البحرية منذ زمن بعيد ٠ أما اليابان فان لها جميع مميزات المملكة المتحدة ماعدا أن القوة الشرائية فى شرق آسيا ليست عالية كأوربا غير أن أمام اليابان أسواقا عالمية كبيرة فى المستقبل اذا ما تقدمت الصين وارتفعت قوتها الشرائية واستطاعت اليابان أن تغزو أسواقها ٠ وعلى العكس من المملكة المتحــدة واليابان نجد سويسرا أو المجر والنمسا وتشكوسلوفاكيا وأفغانستان وانيبال والنيجر وبوليفيا وبرجواى ، وغيرها ٠ فهذه الدول تقاسى من العزلة وارتفاع أجور النقل وتحكم جيرانها فى تجارتها الخارجية (شكل ٨) ٠

فالدول التى تطل على أكثر من بحر أحسن حالا من تلك التى تطل على بحر واحد ٠ فلو قارنا بين المملكة العربية السعودية وفرنسا من جانب وكل من ألمانيا والسودان من جانب اخر لوجدنا أن المملكة العربية السعودية تطل على كل من البحر الأحمر والخليج العربى وأن فرنسا تطل على البحــر الشمالى والمحيط الأطلسى والبحر المتوسط فكلا الدولتين تسهمان مساهمة فعالة فى تجارة هذه البحار المفتوحة طوال العام ٠ وعلى العكس من ذلك نجد أن ألمانيا والسودان ليس لهما سوى جهة بحرية واحدة ٠ فألمانيا تطل على البحر البلطى الذى تتوقف فيه الملاحة جزءا من السنة الأمر الذى يضع عراقيل أما التجارة الألمانية ٠ والتى لا تواجهها التجارة الفرنسية أو التجارة السعودية٠ وكذلك الحال بالنسبة لجمهورية السودان فهى أيضا لا تطل على البحر الا بجهة ضيقة ٠ فاذا عرفنا أن مناطق الانتاج الرئيسية فى السودان لا تقــع قريبة من هذا المنفذ بل تقع فـى الداخل وأن سلاسل الجبال الساحلية تشكل حائطا أما مد شبكة المواصلات بين مناطق الانتاج والبحر الأحمر لأدركنا مدى الصعوبات التى تواجهها التجارة الخارجية للسودان ٠ فالســواحل الطويلة وان كانت تشكل مصاعب دفاعية فى أوقات الحروب الا أنها فى صالح الدولة أيام السلم ٠ كما أنه يجب أن نلاحظ موقع السواحل فاذا كانت تلك السواحل تقع على بحار تنشط فيها الحركة التجارية مثل المحيط الهندى فانها


نماذج موقع الدولة
دولة داخلية
" لها واجهة بحرية واحدة
" " أكثر من واجهة بحرية

شكل (٨)

تكون أكثر فائدة من السواحل التى تقع على بحار داخلية ، كبحر قـزوين والبحر الميت أو المحيط المتجمد الشمالى ٠

ولموقع الدول الصغيرة بين الدول الكبيرة والقوية آثار لا يمكن اغفالها فاذا كانت الدولة تقع بين دولتين عملاقتين متحاربتين فان أراضيها غالبا ما تكون ميدانا للقتال فبولندا اختفت من خارطة العالم أكثر من مرة وذلك نتيجة لموقعها بين كل من ألمانيا والاتحاد السوفيتى ٠ وكذلك الحال بالنسبة لبلجيكا فلقد غزتها القوات الألمانية رغم اعلان حيادها فى الحرب العـالمية حتى تتمكن القوات الألمانية من الدخول الى الأراضى الفرنسية ٠

يمكن أن يضاف الى العوامل السابقة موقع الدولة فى وسط منطقة التوتر الدولى من العالم ، فالدولة التى تقــع فى أوربا أو منطقة الشرق الأوسط أو جنوب شرقى آسيا تكون عرضة للمشاكل الدولية أكثر من زميلاتها الدول البعيدة فمعظم الدول الأوروبية قاست من جراء الحـــربين العالميتين السابقتين كما أن دول منطقة الشرق الأوسط تمر بهذه الأدوار فى عصرنا الحاضر ، فلقد واجهت دول الشرق الأوسط أربعة حروب منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن ٠ بينما لا نجد مشاكل كثيرة بالنسبة لدول أمريكا الجنـوبية أو استراليا ونيوزيلندا ، فهـــذه الدول بعيدة عن مناطق الاضــطرابات الدولية ٠

وأخيرا الدول التى تقع فى مواقع استراتيجية تصبح عرضة لاهتمام الدول الكبرى واستعمارها ٠ فموقع جمهورية مصر العربية وجمهورية اليمن الجنوبية وسنغافورة ومالطة وجبل طارق وبنما كان له أكبر الأثر فى تعرضها للغزو الأجنبى والاستعمار الطويل وأن كان بعضها قد حصل على الاستقلال الا أنها لم تنته من المشاكل الدولية ٠ فجمهورية مصر العربية بالرغم من حصولها على الاستقلال منذ زمن طويل الا أن مشاكل قناة السويس تتابعها حتى يومنا هذا وكذلك الحال بالنسبة لجمهورية بنما ، فمنذ أن حفرت القناة وهى تحت سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية وليس من المتوقع أن تعود الى شعب بنما فى القريب العاجل ٠

مناخ الدولة :

يتدخل المناخ بشكل مباشر أو غير مباشر فى تحديد قيمة الدولة وكيانها

السياسى فبالرغم من تطور الفكر البشرى فى العصر الحديث الا أن الانسان لم يستطع أن يسيطر على المناخ سيطرة تامة ٠ فحتى يومنا هذا ليس فى مقدور الانسان أن يحول اتجاه العواصف المدمرة والتى تهب على دولة من الدول أو مدينة من المدن ٠ كما أنه لم يستطع أن يخفف أو يزيد من كميات الأمطار الساقطة عليه ٠ فكثيرا ما تؤدى قلة الأمطار الى انتشار المجاعات مما تجعل الدولة فى حاجة الى مساعدات الدول الأخرى لانقاذ أرواح سكانها ٠

وهذه الظاهرة غالبا ما تنتشر فى الدول التى تقع على حافات الصحارى مثل الهند وباكستان واستراليا ٠ وبالرغم من أن الاتحاد السوفيتى يعتبر من أولى الدول المنتجة للقمح ويحتل المرتبة الثانية بين الدول المصدرة له الا أننا نراه فى بعض السنين يستورد القمح وذلك بسبب حدوث الجفاف كما قد تؤدى زيادة كميات الأمطار الساقطة على دولة من الدول الى تلف المحصول وانتشار الأوبئة والمجاعات فتعرض الدولة الى شفقة ورحمة الدول الغنيـة ٠

هذه الظاهرة تتميز بها الدول الواقعة فى المناطق الموسمية حيث تتذبذب الأمطار من عام الى أخر كدول جنوب شرقى آسيا ٠ حقيقة أن الانسان لم يقف مكتوف اليدين أمام قوى الطبيعة بل استطاع أن يغير جو المنزل الذى يعيش فيه والمكتب الذى يعمل به والفصل الذى يدرس فيه الا أن أيا كان نوع هذا التغيير فما هو الا تغيير محدود وسيظل النظام الذى وضعه الخالق سائدا ٠ سيظل الجفاف السمة الغالبية على الصحارى ، وستظل الأمطار الغزيرة والرطوبة الصفتين الغالبتين على المناطق الاستوائية الى ما شاء الله لهـا البقاء ٠

ان سيطرة الانسان المحدودة على قوى الطبيعة جعلته يلائم بين المناخ وبين مطالبه الضرورية من مأكل وملبس ومسكن ٠ ويعتبر مدى سيطرته وتحكمه فى قوى الطبيعة مقياسا لما وصل اليه من رقى وتقدم ٠ فعلى الرغم من ذلك التقدم وذلك الرقى فان المناخ يحدد نوع الطعام الذى يجب أن يتناوله سكان الاقليم المختلفة على سطح الأرض ٠ من أجل ذلك كانت المواد الدهنية والسكرية ضرورية لسكان الدول التى تقع فى المناطق الباردة وكان الأرز عماد الطعام عند سكان الدول التى تقع فى الجهات الموسمية وان التمر واللبن غذاء

رئيسى لسكان الصحارى الحارة • كما يحدد المناخ نوع الملابس الذى يجب أن يرتديها الانسان فى كل جزء من أجزاء العالم • فسكان دول المناطق الحـارة يكتفون بشىء بسيط من الملابس يسترون بها عوراتهم • بينما يتطلب سـكان المناطق الباردة استخدام الملابس الصوفية الثقيلة • ويتدخل المناخ فى طريقة تصميم مسكن الانسان • فحيث تكثر الأمطار يتعذر بناء المنازل من اللبن والطين • بعكس المناطق الصحراوية التى تقل فيها الأمطـار بل حتى تكاد تنعدم • كما تبنى المنازل بسقوف غير مستوية فى مناطق سقوط المطر الغزير حتى لا تتجمع عليها المياه والثلوج • وهكذا يحدد المناخ نوع الحياة التى يجب أن يعيشها الانسان ونوع نشاطه الاقتصادى • فهو الذى يحدد نوع النبات الذى ينمو فى الدولة ونوع الثروة الحيوانية التى تسود فى البلاد • وهكذا بدوره يحدد نوع النشاط الاقتصادى للسكان • فمن الصعوبة بمكان أن ينجح القمح تجاريا واقتصاديا وبشكل واسع فى المناطق الاستوائية ذات الحرارة العالية والأمطار الوفيرة طول العام • أو أن ينمو شجر المطاط فى المناطق القطبية • فلكل سلعة ظروفها الطبيعية والبشرية التى تلائمها •

ولهذا أصبح للمناخ الفضل الأكبر فى التخصص الاقليمى والذى ترتب عليه التبادل التجارى بين دول العالم • بالاضافة الى آثار المناخ الهامة فى التجارة فان له آثار واضحة فى حركة النقل البرى والجوى والبحرى • وكثيرا ما نجد موانى مقفلة فترة من العام نتيجة لوقوعها على بحار تتجمـد فى فصل الشتاء كموانى الدول المطلة على البحر البلطى والبحيرات العظمى• وللعواصف والزوابع والأعاصير آثار لا يمكن اغفالها على مطارات دول العالم وطرقها البرية •

وللمناخ آثار هامة فى جلب الاستعمار واستقراره ، فمثلا عندما وصل المستعمر الأوربى الى أفريقيا اختار الجهات المرتفعة ذات المناخ المعتـــدل واستقر بها : بينما طرد الافريقيين الى الجهات الحارة الرطبة والتى لايستطيع أن يعيش فيها الرجل الأوربى • ففى اتحاد افريقيا وروديسيا وكينيا والجزائر شجعت الظروف المناخية المهاجرة الأوربى على البقاء فى البلاد • ولهذا نجد العنصر الأوربى منتشرا فى هذه الدول ذات الأراضى المرتفعة والمناخ المعتدل بينما لا نجده فى الأراضى المنخفضة ذات الحرارة العالية والرطوبة المرتفعة• كما لانجد المستعمر الأوربى مستقرا فى الأرض الصحراوية والتى تتميز بمناخ

قارى • ولهذا حصلت الدول الواقعة فى المناطق غير الملائمة للرجل الأوربى على استقلالها دون أية صعوبات •

وللمناخ اثار هامة على العمليات الحربية ، فلولا الثلوج الكثيفة التى يتميز بها الاتحاد السوفيتى لما استطاع أن يهزم الجيوش الفرنسية تحت قيادة نابليون بونابرت • ولما تحققت هزيمة الألمان فى الحرب العالمية الثانية • ولولا المناخ الموسمى الذى تتميز به منطقة جنوب شرق اسيا لما استطاع الفيتناميون هزيمة الجيش الفرنسى وحصولهم على استقلالهم • ولما طالت الحرب بينهم وبين الجيش الأمريكى • بينما لم تدم الحرب فى الأراضى الصحراوية فى العالم العربى أكثر من أيام معدودات •

مظاهر سطح الدولة

تتدخل التضاريس بشكل كبير فى تقدير قيمة الدولة • فالأراضى المستوية تساعد الىحد كبير الامكانيات الاقتصادية للدولة• اذ أنها أكثر الجهاتصلاحية للتطور الاقتصادى والاجتماعى • لهذا نجد أن معظم النشاط الاقتصادى فى العالم انما يتركز فىالجهات السهلية والتى تعتبر فىالوقت نفسه مراكزللتجمع السكانى ، اذا لم يكن هناك ظروف مناخية تعوق ذلك ، من اجل ذلك كانت المساحة السهلية المنتجة ونسبتها للمساحة العامة عاملا أساسيا فى نمو الدولة • وعلى العكس من ذلك نجد الجهات الجبلية • فهى وان كانت غنية بثروتها المعدنية الا أنها أقل صلاحية للتوطن البشرى • ولهذا نجد الدول الجبلية فقيرة فى انتاجها الزراعى ، ففى اليابان مثلا نجد الأراضى السهلية والصالحة للانتاج الزراعى محدودة • لهذا نجد اليابان تخوض الحرب العالمية الثانية وكل همها كان الحصول على مساحات من الأراضى السهلية المنتجة بالاضافة الى ايجاد أسواق لتصريف منتجاتها الصناعية • وكذلك الحال بالنسبة للجمهورية اللبنانية واليونانية فضيق الأراضى الزراعية فى هاتين الدولتين دفع بسكانهما الى الهجرة الى الدول ذات الأراضى الزراعية الواسعة • مثل الأرجنتين والبرازيل والولايات المتحدة الأمريكية •

وتؤثر التضاريس تأثيرا مباشرا وغير مباشر فى حياة سكان الدولة • اما التأثير المباشر ، فتظهر آثاره فى درجة اتحاد الدولة أو تفككها • وفى نوع

نظام الحكم الذى يجب أن تتبعه الدولة فسهولة السطح هى التى تصهر الشعوب المختلفة وتجعلهم يعيشون فى سلام دائم · بينما نجد أن تعقد السطح يعوق الاختلاط ويمنع توحيد الدولة · ففى الحالة الأولى نجد التقارب بين سكان الدولة مما يجعلهم يتبادلون الثقافات ليكونوا ثقافة واحدة تميزهم عن غيرهم · كما أن العادات والتقاليد تمتزج لتكون شخصية مستقلة لتلك الدولة وخير مثل يمكن أن يذكر هو امتزاج الشعوب المختلفة فى الأراضى الأمريكية وظهور شخصية جديدة مكونة من عادات وتقاليد مختلفة تعرف اليوم لدى جميع دول العالم بالشخصية الأمريكية · وكذلك الحال بالنسبة لانتشار الثقافة العربية فى الأراضى الممتدة من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى هذه المساحة الشاسعة تتميز بشخصية المستقلة · يطلق عليها دائما بالشخصية العربية وان اختلفت المسميات الاقليمية · هذا الانصهار البشرى أو الاختلاط السكانى لا يتم الا فى الأراضى السهلية ، أما التضاريس العائقة لتوحيد الدولة فانها تجعل الأقليات يشعرون بالوحدة والانفصال ويطالبون بالاستقلال · وهذه الظاهرة تظهر جليا فى المناطق الجبلية الوعرة التى لا تشجع على امتزاج الشعوب بعضها ببعض ولا تشجع على تبادل الثقافات · فسكان الجبال غالبا ما تكون لهم عاداتهم وتقاليدهم وديانتهم التى يعتزون بها · فاذا لم تتفهم الدولة الظروف الطبيعية والبشرية التى يعيشها سكان الجبال وحاولت أن تصل الى فهم كامل لمطالبهم فانها بلا شك تواجه مصاعب جمة فى سبيل وحدة البلاد · وخير مثل يمكن أن يؤخذ فى هذا المقام هو العلاقة المتوترة بين سكان السهول فى الجمهورية العراقية وبين الأكراد سكان الجبال · لقد حافظ الأكراد على ثقافتهم ولغتهم مما جعل لهم شخصية مستقلة عن بقية سكان العراق · واذا لم يتم التفهم الكامل لمشاكل الأكراد فان سوء التفاهم سوف يزداد سوءا ·

وعلى الرغم من أن المناطق الجبلية لا تساعد على وحدة الدولة وتماسكها فى كثير من الأحوال كما أنها تعوق تنفيذ القوانين وسيادة الأمن والطمأنينة فى البلاد الا أنها تساعد على الدفاع عن الدولة اذا ما تعرضت لغزو خارجى · فالجزائر استطاعت أن تقاوم الاستعمار الفرنسى وأن تجليه عن اراضيها مستخدمة الطبيعة الجبلية للبلاد · كما أن الجبال تجبر الدولة فى بعض الأوقات أن تتبع نظام الحكم الفدرالى بحيث يعطى كل اقليم من الأقاليم الجبلية سلطة حكم نفسه بنفسه وارسال مندوبيه الى العاصمة الفدرالية ·

فصعوبة الاتصال بين الأقاليم الســـويسرية أدى الى أن تختـــار الحكومة السويسرية النظام الفدرالى ٠

اما بالنسبة للتاثير غير المباشر فانه ياتى عن طريق النبات ونوع الثروة الحيوانية ٠ فالنباتات تتدرج على الجال تبعا لاختلاف ارتفاعها فوق سـطح الأرض وتبعا لتعرضها لأشعة الشمس وكمية الأمطار الساقطة ٠ فالجانب الأكثر تعرضا للشمس والأغزر مطرا نجده أوفر نباتا من الجانب الآخـر من المرتفعات ٠ فلو قارنا بين السفوح الشمالية والجنوبية لجبال الهملايا فى شمال الهند لوجدنا أن الجهـــة الشمالية تتميز بوجـــود منطقة الاستبس الصحراوية بينما نجد الجهة الجنوبية غنية بغاباتها الموسمية ٠ بالاضـــافة الى أن الغابات تتنوع تنوعا رأسيا باختلاف الارتفاع الى أن تصل الى خط الثلوج الدائمة وبعدها تختفى الأشجار تماما ٠ من أجل ذلك نرى أن للتضاريس آثار قوية فى تقدم الدولة ونموها أو فى تخلفها واضمحلالها ٠

الفصـــل الثـــالث

موارد الثروة الطبيعية

١ ـ الموارد الزراعية :

لا شك فى أن أهم الأسس الجغرافية لقوة الدولة هى توافر الثروات الطبيعية فمن الصعب أن يحكم الانسان على قوة دولة ما دون أن يقـــدر مصادر الثروة الموجودة والمستغلة بها ٠ وهناك العديد من الثروات فمنهـا ما يوجد فى باطن الأرض ومنها ما يوجد على سطح الأرض ومنها ما يوجد فى أعماق البحاروالمحيطات والبحيرات الداخلية وتلك التى تتواجد فى الغلاف الغازى ٠ فالجنس البشرى يعيش على سطح هذا الكون معتمدا على ما يجود به سطح القشرة الأرضية فهو بهذا يعتمد على خصب التربة وهذا أيضا يعتمد على كميات المياه المتوفرة ٠ فمعظم طعام الجنس البشرى انما يأتى عن طريق التربة ٠ من أجل ذلك كانت التربية أحد المصادر الرئيسية فى قوة الدولة ، فاذا ما توافرت المياه اللازمة للزراعة والتربية الخصبة فان الدولة سوف يكون لديها نوع من الاكتفاء الذاتى على الأقل فى الموارد الضرورية لاطعام السكان٠ وهى بهذا لا تواجه المشاكل الاقتصادية التى يترتب عليها نقص فى الغذاء ، فكثير من الدول يضعها نقص المياه والتربة فى موقف الضعيف لأنها بدون شك سوف تلجأ الى الدولة الغنية تطلب منها المساعدة كما أن نقص المياه ونقص انتاج التربة يدفع السكان المتزايدين فى دولة ما الى طلب المعونة من الدول المجاورة والدول الغنية فى العالم كبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وبذلك فان هذه الدولة وأمثالها لا تكون فى مركز القوة بين زميلاتها من الدول القوية ٠

ان أول مسئولية تتحملها الدولة هو توفير الغذاء لجميع أفراد شعبها وخاصة وقت الحروب والأزمات ٠ فاذا ما عجزت الدولة عن توفير الغـذاء اللازم لسكانها وقت السلم فبالأحرى أنها لا تستطيع توفيره وقت الحـروب وخاصة عندما تقف وسائل الاتصال وتصبح الطرق التجارية تحت رقابة المتحاربين ٠ كل هذا يدعو العديد من الحكومات الى تخزين كميات من المواد الغذائية لأوقات الأزمات ٠

من أجل هذا نرى صوامع الغلال تنتشر فى معظـــم الدول المتقدمة ، فالولايات المتحدة لديها من مخزون القمح ما يكفى استهلاك سكانها لمدة عامين· حقيقة أنه لا توجد دولة لديها اكتفاء ذاتى فى المواد الزراعية · لأن الظروف الطبيعية لا تتوفر جميعها فى مكان واحد وفى دولة واحدة مما يجعلها تنتج الأنواع المختلفة من الغذاء ، غير أن هناك دولا تنتج من بعض أنواع الغـذاء أكثر مما تحتاج اليه فيصبح لديها فائض تصدره للدول الأخرى · وهى فى نفس الوقت فى حاجة الى سلع اخرى يصعب انتاجها بطرق اقتصادية· من هذا المنطلق يمكن أن نعمم ونقول أن فرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية لديها من الموارد الزراعية ما يتقارب مع خط الاكتفاء الذاتى نظرا لاتساعها وتعدد أنواع المناخ والظروف الطبيعية الأخرى فيها · ولـكن لا تستطيع هذه الدول انتاج السلع التى تنمو فى المناطق الاستوائية والتى لا تتمثل لديها · فمثلا قصب السكر لا ينمو فى هذه الدول ونتيجة لذلك فان السكر المستخرج من القصب يصعب الحصول عليه اذا لم يستورد من مناطق انتاجه الأصلية · حقيقة أن هذه الدول يمكنها أن تعيش دون أن تستورد مواد غذائية من خارج حدودها اذا دعتها الضرورة الى ذلك غير أن الدول التى تستطيع أن تستغنى عن العالم الخارجى قليلة جدا ويمكن اعتبارها فى حكم الأقلية ·

معظم دول العالم اليوم تعتمد اعتمادا كبيرا على الغذاء المستورد غير أن درجة اعتمادها تختلف من دولة الى أخرى ، فالمملكة المتحدة تستورد حوالى نصف حاجة سكانها من الغذاء بالرغم من أن جميع أراضيها الزراعيةالرئيسية والجانبية قد استلغتالاستغلال اللازم · وهذه النسبة تختلف فى كل من بلجيكا وسويسرا والمانيا الغربية والسويد فهى جميعا تعتمد على استيراد المواد الغذائية ولكن بنسب مختلفة · لهذا يمكن أن نستنتج بأن كل دولة من دول العالم صغيرها وكبيرها فى حاجة الى استيراد جزء من غذائها ولا ضير فى ذلك فى أوقات السلم · ان المشكلة الغذائية لا تصبح هامة الا فى أوقات الحروب · ففى أثناء الحربين العالميتين حاولت الغواصات الألمانية أن تمنع وصول الغذاء الى المملكة المتحدة وكانت هذه سياسة الحلفاء أيضا فى أن يقطعوا خطوط التموين الألمانية · وهذه ليست ظاهرة جـــديدة فلقد حاصر البريطانيين نابليون وقطعوا عنه خطوط تموينه · من أجل هذا يلاحظ أن كل دولة تبذل قصارى جهدها فى اقامة المشاريع الزراعية التى تعطيها نوعا من

الاكتفاء الذاتى للغذاء ٠ غير أن هذا الهدف لا يتحقق بسهولة نظرا لاختلاف الظروف الطبيعية والمناخية ونظرا لاختلاف مستوى المعيشة بين الدول ، هذا بالنسبة للغذاء أو التربة وما تنتجه من غذاء ٠

٢ ـ الموارد المعدنية :

ان القشرة الأرضية غنية بالمعادن على اختلاف أنواعها وأشكالها وعليها يعتمد الانسان فى رفاهيته وقدرته على الدفاع عن نفسه ووطنه ٠ وتضم المعادن الحجارة والحصا والحصباء والرمال والطمى التى بواسطتها يبنى الانسان مسكنه بقدر تقدمه ، فقد يبنى كوخا من الطين وقد يقيم قصورا وناطحات للسحاب ٠ وتشمل المعادن أيضا الفوسفات والنترات والبوتاس ، وعليها يعتمد الانسان فى تسميد أرضه واستخراج طعامه ٠ ومن المعادن الفحم بأنواعه والبترول ومشتقاته وهى التى قامت عليها المدنية الصناعية فى القرنين التاسع عشر والعشرين ٠ وعلى كل هذه المواد الخام وغيرها تتوقف قوة الدولة وعظمتها لأن الصناعات الحديثة وخاصة صناعة الأسلحة تعتمد على المعادن بشكل أو بآخر ٠ فلا توجد صناعة من الصناعات يمكن أن تستغنى عن الحديد والنحاس والألمنيوم والقصدير والزنك والرصاص ٠ هذا اذا علمنا أن بعض المعادن كاليورانيوم يدخل ضمن المعادن الاستراتيجية الهامة ٠ فالدولة التى لا تملك هذه المعادن الهامة لا شك وأنها تشعر بالضعف أمام اخواتها من الدول الصناعية ٠

لا يوجد جزء من العالم الا وينتج شيئا من الطعام ٠ ويمكن التعميم بأن معظم دول العالم تنتج على الأقل نصف كمية الغذاء اللازمة لسكانها وبامكانيتها فى حالات الطوارىء أن تزيد هذه النسبة ، غير أن المعادن تختلف عن المواد الغذائية فى أنها تتوزع توزيعا غير عادل اذ لا توجد دولة واحدة على سطح الأرض سواء كانت متقدمة اقتصاديا أو أنها تسير فى طريق التقدم تنتج جميع احتياجاتها من المعادن ٠ أو بمعنى آخر لا توجد دولة واحدة لديها اكتفاء ذاتى فى الثروة المعدنية ٠ فبالرغم من أن الحديد يتواجد بشكل واسع على سطح الأرض الا أن هناك بعض المعادن كالنيكل والمنجنيز والقصدير والنحاس والألمونيوم لا يتواجد الا فى دول معدودة ٠ فمصادر الثروة الزراعية تختلف عن مصادر الثروة المعدنية من جانبين ، أحدهما أن الأراضى الزراعية اذا وجدت العناية الكافية فان انتاجها سوف يستمر الى أجل غير محدود ٠

أما بالنسبة للمعادن فان ما يؤخذ من الأرض يصعب أن يعود اليها ٠ وأن المناجم مهددة بالنضوب فى يوم من الأيام ٠ هذه الحقيقة قد تؤدى الى عدم الاستقرار أو عدم الاطمئنان على مصادر الثروة المعدنية بالنسبة للدولة التى تعتمد على معدن واحد فى اقتصادياتها ٠

أما بالنسبة لمصادر الطاقة كالفحم والبترول فانها أيضا تتوزع على عدد من دول العالم وعدم التوازن بين الدول المنتجة والدول المصدرة للطاقة قد ينتج عنه مشاكل عديدة ٠ فاذا كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وألمانيا الغربية وبولندا والصين من الدول التى يمكن أن تعتمد على انتاجها المحلى من الفحم ، فان الدول الاسكندنافية ودول الشرق الأوسط ودول أمريكا اللاتينية وأفريقيا لاتوجد لديها الكميات الكافية من الفحم لصهر الحديد والصلب ٠ وما قيل عن الفحم يمكن أن يقال عن البترول فاذا ما تواجد البترول بكميات على طول جبال الروكى وجبال الأنديز فى العالم الجديد وجبال الأورال وجبال القوقاز ومنطقة الشرق الأوسط بكاملها فان البترول يقل تواجده فى معظم دول أوربا وأفريقيا واستراليا والجزء الشرقى من أمريكا الشمالية حيث ترتفع الكثافة السكانية فى العالم ٠ من أجل ذلك كان اعتماد أوربا على بترول الشرق الأوسط وكان اعتماد أمريكا الشمالية على بترول منطقة البحر الكاريبى شديدا ٠ لأن البترول يعتبر من المصادر الهامة للصناعة والمواصلات والحصول عليه بصفة مستديمة من الأمور الهامة بالنسبة لقوة الدولة ٠ فحاجة أوربا الى بترول الشرق الأوسط يحتم عليها أن تهتم بأمور الشرق الأوسط ويجعل علاقتها بدول المنطقة علاقة خاصة الى أن تحل الطاقة الذرية محل البترول وهذا أمر لا يحتمل أن يكون قريبا ٠ واذا ما تطورت الذرة فانها ستكون فى يد دول محدودة للغاية ٠

ترتفع أهمية المعادن فى أوقات الحرب وعند الحاجة الى انتاج كميات كبيرة من العدد الحربية كما أن وقوع المعادن الاستراتيجية وقت الحرب فى أيدى الأعداء يعتبر من الأمور الخطرة ٠ فاحتلال اليابان لمناجم القصدير فى الملايو وقطع الاتصال للحصول على حديد السويد من قبل الألمان واحتلال مناجم الزئبق فى ايطاليا ويوغسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية كان من الأمور التى واجهها الحلفاء ٠ وأن ميزان القوى بين المعسكرين الشرقى والغربى فى الوقت الحاضر يعتمد الى حد كبير على تواجد هذه المعادن فى كل منهما ويبين الجدول التالى توزيع المعادن بين الدول :

جدول رقم ١ توزيع المعادن فى العالم

المعـدن	الدول والوحدات السياسية الرئيسية المنتجة	عدد	نسبة انتاجها
الألمنيوم	جاميكا ٠ سورينام ٠ فرنسا ٠ جيانا ٠ بريطانيا ٠ الولايات المتحدة الأمريكيـــة ٠	٥	٧٠٪
الكروم	جنـــوب افريقيا ٠ الفلبين ٠ روديسيا ٠ نيوزيلانده ٠ تركيا ٠	٥	٧٤٪
الكوبالت	روديسيا ٠ نيوزيلندا ٠ زائيرى	٣	٧٠٪
النحاس	الولايات المتحدة ٠ المكسيك ٠ كندا روديسيا ٠ زائيرى	٥	٧٧٪
الرصاص	استراليا٠ الولايات المتحدة٠ المكسيك٠ كندا	٤	٤٧٪
المنجنيز	الاتحاد السوفيتى ٠ الهند ٠ البرازيل ٠ جنوب افريقيا ٠ غانا	٥	٧٩٪
النيكل	كندا ٠ نيوكاليد ٠ كوبا ٠	٣	٦٨٪
موليبدينوم	الولايات المتحدة	١	٨٩٪
القصدير	ماليز ٠ أندونيسيا ٠ بوليفيا ٠ الصين ٠ زائيرى ٠ تايلاند	٦	٨٢٪
التنجستن	الصين ٠	١	٥٥٪
فانيديوم	الولايات المتحدة ٠	١	٩٠٪
الزنك	الولايات المتحدة ٠ كندا ٠ استراليا ٠	٤	٤٧٪

من الجدول السابق يتضح أن بعض الدول تستأثر بانتاج معظم المعادن ما عدا الحديد الذى يتواجد بشكل كبير فى عدد من الدول وربما يرجع السبب فى كثرته الى تواجد أنواع مختلفة منه فالولايات المتحدة تعتبر منتجة رئيسية لخمس من المعادن الأساسية بينما يستأثر الأتحاد السوفيتى بسبعة منها • أما ألمانيا الغربية والمملكة المتحــدة واليابان فبالرغم من أهميتها الصـــناعية واستهلاكها لكثير من المعادن الا أنها لا تنتج الكثير من المعادن الرئيسية •، ومن الصعب تقدير أهمية المعادن فى قوة الدولة لأن هناك من يعتقد بأن معظم الحروب التى قامت فى القرنين الماضيين انما قامت من أجل الحصول على المعادن ومن الصعب أن نحكم أن الحرب الألمانية الفرنسية لعام ١٨٧١ م انما قامت من أجل حصول ألمانيا على حديد اللورين أو أن تعتبر حرب السويس لعام ١٩٥٦ م انما قامت من أجل أن تضمن بريطانيا مرور بترول الشرق الأوسط الى أراضيها أو أن نعتبر تدخل الكتلة الشرقية والكتلة الغربية فى الحرب الأهلية بزائيرى من أجل غنى اقليم كاتنجا بمعادنه الاستراتيجية • غير أننا يمكن أن نقول بأنه اذا لم تكن هناك مطامع اقتصادية فمن المستبعد أن تكون هنـــاك حروب بين دول العالم من أجل ذلك نرى أن هناك نوعا من التسابق بين الدول الصناعية المتقدمة فى سبيل الحصول على المعادن الاستراتيجية الكامنة فى أراضى الدول النامية وربما يرجع هذا التسابق الى عدم اخلال التوازن بين القوى العالمية • ففى أثناء الحرب العالمية الثانية بذل الحلفاء جهودا جبارة حتى قطعوا عن ألمانيا معظم المعادن الاستراتيجية التى كانت تمد الريخ الألمانى بالقوة • فلقد كانت حوالى ٩٥٪ من المصادر المعدنية لألمانيا تأتى من شبه جزيرة ايبريا التى عمل الحلفاء على قطعها عن ألمانيا رغم أن مصادر الثروة المعدنية للحلفاء لم تكن من هناك • لقد اضطر الحلفاء الى شراء جميع المعادن التى كانت ألمانيا فى حاجة اليها من كل من أسبانيا والبرتغال وجميع الدول المصدرة اليها حتى تقف الصناعة الألمانية أمام باب مغلق • من أجل ذلك رفعوا أسعار المعادن فى الأسواق العالمية لكى يستطيعوا الحصول على أكبر جزء من المعادن المتجهة الى ألمانيا وحتى يضعفوا قوة ألمانيا الشرائية : لذلك تتدخل الحكومات كى يكون لدى أصحاب المصانع المعادن اللازمة لهم لمدة شهر على الأقل وخاصة اذا كانت تلك المعــادن تستورد من دول أجنبية لأن خطوط التموين فى البحـــار والمحيطات تكون عرضـــــة للمراقبة من قبل الدول المتحاربة •

تحتاج معظم المعادن الى أجهزة دقيقة ومعقدة لطحنها وتنقيتها وتشكيلها

واذا وجدت فى مكان معين فانها تحتاج أيضا الى وسائل لنقلها الى منـاطق تصنيعها · وهذه الوسائل تحتاج الى المعادن أيضا ، وهنا يجب أن نضـع فى أذهاننا أن أى قرار يتخذ من قبل أية دولة من الدول للقيام بأية عملية من العمليات الحربية فانه يحتاج الى تأييد من مصادر الثروة فى البلاد أولا وقبل كل شيء ، وبدون هذا التأييد فانه قد يستحيل تحقيق النصر فمن غير الممكن ان لم يكن من المستحيل أن تقوم دولة من الدول فى عصرنا هذا بعمليات حربية دون أن يتوفر لها العديد من مصادر الثروة الطبيعية · أن عمليات الدفـاع والهجوم تستوجب توفر هذه المواد وبأقصى سرعة ممكنة لأن الحرب فى هذا العصر لا تنتظر طويلا ·

الموارد الصناعية :

ان كل دولة لابد وأن تمر بمراحل التطور الصناعى ، وهنا يجب أن نلاحظ أنه ليس كل صناعة تزيد من قوة الدولة وتجعلها فى مركز تستطيع أن تفرض ارادتها أو أن تقاوم ما فرض عليها من ضغوط· فقد لا تكون لصناعة السيارات الصغيرة آثار كبيرة بالنسبة لقوة الدولة مثل ما تكون لصناعة السـيارات الكبيرة والتى قد يستفاد منها فى نقل المؤن والذخائر الى مراكز المواجهـة العسكرية · ولكن يجب أن يضيع عن أذهاننا أن المصنع الذى يقوم بصناعة أجهزة الراديو والتليفزيون قد يتحول الى صناعة أجهزة المرسلات والمستقبلات والرادار والتى يمكن أن تكون أكثر اهمية فى قوة الدولة من صناعة السيارات الصغيرة · لقد رأت الكثير من الدول المتقدمة أن مفتاح القوة السياسية العالمية هو الصناعة ، فالصناعة ترفع قدرة العامل الانتاجية وبذلك ترتفع مقدرة الدولة الصناعية فاذا ما تساوى عدد السكان فى دولتين فلا شك وأن تلك التى تطورت صناعيا سوف يكون لها القوة السياسية ·

تتميز الدولة الصناعية بميزتين رئيسيتين أحدهما ارتفاع مســتوى المعيشة فى البلاد لأن انتاج الرجل الذى يعمل على الآلة أكبر من انتاج الرجل الذى يعمل بدونها · وهذا سوف ينعكس على الدولة · لأنها سوف تفرض الضرائب على ذوى الدخل العالى وتبنى بهذه الأموال جيوشا قوية تحمى بها كيان الدولة · كما أن الدولة سوف تسخر الأموال المتجمعة لديها فى ايجاد أسباب الرفاهية والحياة الكريمة لكل فرد من أفراد الشعب · أما الميزة الثانية من الصناعة فتأتى عن طريق بناء المصانع المنتجة للاسلحة والذخيرة التى

تحتاجها البلاد وقت الازمات فكلما كانت الدولة متقدمة صناعيا كلما كان اعتمادها على غيرها فى المواد الحربية قليلا · وليس من الضرورى أن تنشأ المصانع الحربية بشكل كبير فى أيام السلم طالما أصبح بالامكان وبمجهود بسيط تحويل الانتاج السلمى الى انتـاج حربى وقت اللزوم ·

يعتقد الكثيرون أن بناء مصانع الحديد والصلب سوف يعطى الدولة منزلة بين الدول وخاصة الدول الأكثر تخلفا فلربما تقوم العديد من المصانع الهامة فى الدول المتقدمة دون أن يشعر بها سكان تلك الدولة · أما الدول المتخلفة فانها تقوم بالدعاية لأى نوع من الصناعة تقوم بها حتى يترك ذلك فى نفوس الشعوب الشعور بالتقدم والعمل من أجـل التطور · وحتى ولو كان المشروع الصناعى لا يقوم على أسس اقتصادية مدروسة · وبهذا يمكن أن نقسم الصناعة حسب أهميتها الى صناعة الحـــديد والصلب والصناعات الهندسية ، بناء السفن ، والصناعات الكيميائية ، بما فى ذلك صناعة الأسمدة ومواد البناء والصناعات الكهربائية · أما صناعة الغزل والنسيج وصناعة المواد الغذائية والسلع الاستهلاكية فانها تأتى فى النهاية من حيث الأهمية ، ومما لا شك فيه أن الدول المتقدمة اقتصاديا غالبا ما توازن بين انتاج المواد الاستهلاكية وبين انتاج المواد الانتاجية ·

واذا افترضنا أن قيمة الدولة وقوتها انما تعتمد الى حد كبير على مدى تقدمها الصناعى فانه يصبح من المحتمل أن نضع بعض الأسس التى تميز بين الدول ونقسم الدول بموجبها · غير انه من المؤسف أنه لا توجد وســيلة للتميز بين الدول سوى عدد العاملين فى الصناعة وهذه لا تعطينا مقياسـا صحيحا للتميز لأن نسبة استخدام العمال للاجهزة الحديثة والمعقدة غيــر معروفة · أما اذا اخذنا ما تنتجه المصانع كمقياس للتميز ، فان هذا لا يفيدنا كثيرا لأننا لا نعرف القيمة التى صرفت على الانتاج أو عدد العمال الذين ساهموا فى الانتاج كما أنه يصبح من الصعب أن نميز بين انتاج الصناعات الهامة كالحديد والصلب وبين انتاج مصانع الغزل والنسيج ، وحتى فى الصناعة الواحدة يصبح من الصعب التمييز ما اذا كان الانتاج من النوع الردىء أم من النوع الجيد · كيف نستطيع معرفة ما اذا كان انتاج الدولة من المخصبات أو أنها تنتج المتفجرات ، وبهذا أصبح من المستحيل أن نرتب الدول حسب أهميتها الصناعية ·

هنـاك وسيلة أخـــرى لقيـاس الدولة وذلك عن طريق ما تســـتهلكه من طاقة لأن هنـاك علاقة بين اســـتهلاك الطاقة وبين الدخل القـــومى للدولة ٠

يقول الأستاذ برونوسكى (١) أن الدولة الغنية فى استهلاك الطاقة هى الدولة التى يعيش سكانها حياة رفاهية ويعمرون طويلا أما الدولة الفقيرة فى استهلاك الطاقة فانها فقيرة فى كل شىء ٠ ونعود مرة أخرى هنا الى انه من الصعب الحصول على مقدار استهلاك الطاقة فى عدد كبير من دول العالم ٠ وبالتالى من الصعب أن نميز بين الدول ٠ غير أن الأســـتاذ ف٠ كليفور جيرمان (٢) قد حاول التمييز بين قوة الدولة بالرجوع الى أكثر من عامل مثل مساحة الدولة وعدد سكانها وكثافتهم والقدرة التكنولوجية وعـــدد العاملين فى الصناعة ومدى توفر المواد الغذائية داخل الدولة وأجور عمـال صناعة الحديد والصلب ومدى استهلاك الطاقة بجميع أنواعها ومدى الزيادة أو العجز فى الحديد والصلب وفى البترول والمعادن وحجم القوات المسلحة٠ من تحليل هذه العوامل مجتمعة واعطاء كل عامل عدد من النقاط خـــرج الأستاذ جيرمان بالترتيب التالى :

---

1. S. Jacob Bronowaki Qoted in Norman J. G. Pourds. Political Geography McGraw-Hill Company Inc. New-York, 1963.p.161.
2. F. Clifforp Ferman "A Tentative Evaluation of World Pewer" Journal of Conflict Resoution. Vol. 4 (1960) p. 138.

عـــدد	الــــدولة	عدد النقاط
١	الولايات المتحدة	٦ر٤٥٩
٢	الاتحاد السوفيتى	٦ر٣٢١
٣	المملكة المتحدة	١ر٢٥٧
٤	الصــــين	٩٩٩
٥	المانيا الغربية	٦٦٢
٦	كنـــدا	٤٩٨
٧	اليابان	٤١٠
٨	فرنســا	٣٨٣
٩	الهنــــد	٣٧٣
١٠	بولنـــدا	٣٢٤
١١	استراليا	٣١٧
١٢	البرازيل	٣٠٣
١٣	تشيكوسلوفاكيا	١٩٦
١٤	ايطـــاليا	١٩٢
١٥	المانيا الشرقية	١٧٤
١٦	الأرجنتين	١٢٧
١٧	اتحاد جنوب أفريقيــا	١٢٢
١٨	الســـويد	١١٦
١٩	بلجيكا	١١٢

بالرغم من أن هذه العوامل مجتمعة قد توضح لنا أكثر من عامل واحد الا أن كل واحد من هذه العوامل قابل للنقد أيضا كما أنها متغيرة بين سنة وأخرى ٠

٤ ـ وسائل المواصـــلات :

من أهم عوامل تقدير قوة الدولة أن تكون هناك شبكة مواصـــلات تستطيع الدولة بواسطتها نقل الناس والمعدات من مكان الى آخر فى سهولة ويسر ، فبدون وسائل المواصلات يصعب نقل المواد الخام الى مراكز الصناعة

---

1. Norman J. G. Pourds "Political Geography" Mc Grow-Hill Company Inc. New York (1963) p. 296.

والمواد المصنوعة الى الأسواق . ويصبح الدفاع عن الدولة من اكبر المشاكل التى تواجهها الدول اذا لم يكن هناك وسيلة لنقل الجيوش والمعدات والمؤن بين أجزاء الدولة . ويمكن القول بأن هناك خطوطا من الطرق والسكك الحديدية تعتبر استراتيجية من الدرجة الأولى وضعت من أجل التسهيلات الحربية ولم يؤخذ فى انشائها أى حساب للجانب الاقتصادى . فاذا نظرنا الى الطرق العديدة التى مدتها حكومة الهند فى جبال الهملايا والى الحدود الهندية الصينية لوجدنا أن الهدف من بناء هذه الطرق هو عسكرى أكثر منه اقتصادى .

وما قيل عن الهند يمكن ان يقال عن العديد من دول العالم حتى أنه لا تكاد تخلو دولة من الدول من وجود بعض الطرق الاستراتيجية . وهناك تسابق بين الدول الكبرى للسيطرة التامة على المضايق الدولية كجبل طارق وقناة السويس وباب المندب وسنغافورة وذلك لضمان استمرار التجارة الدولية والحصول على المواد الخام من الدول النامية الى الدول المتقدمة اقتصاديا . هذا من جانب .. ومن جانب آخر فان الطرق الداخلية تعتبر من الأمور الهامة لوحدة الدول القومية فعلى الدولة أن تربط عاصمتها بجميع أطراف الدولة بشبكة من المواصلات والطرق والا أصبحت فى عزلة عما يدور فى أطرافها ولا يتم نمو الدولة وانتشارها وسيطرتها على كل جزء منها الا اذا كانت هناك شبكة من الطرق المعبدة أو السكك الحديدية أو عدد من المطارات التى تهبط فيها الطائرات يوميا . فاتحاد كل من كندا واستراليا والولايات المتحدة ما كان يتم لولا أن مدت الطرق المعبدة وخطوط السكك الحديدية الى جميع أجزاء الأراضى الفيدرالية . ولم يستطع الاتحاد السوفيتى أن يسيطر على أراضيه لو لم يمد الخط الحديدى الممتد من موسكو غربا الى جبال الأورال وسيبريا وحتى الساحل الشرقى على المحيط الهادى عند مدينة فلاديفوستك . ومن ثم أخذت عدة تفرعات لهذا الخط لتكون نواة وحدة الاتحاد السوفيتى . وكذلك الحال بالنسبة للصين حيث أخذت خطوط السكك الحديدية تنتشر فى البلاد . أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فقد كانت خطوط السكك الحديدية هى الرمز الذى نشأت حوله الوحدات السياسية . غير أن شبكات الطرق المعبدة أخذت تنافس شبكات خطوط السكك الحديدية نظرا لأن انشاء الطرق البرية أسرع وأرخص . هناك العديد من الطرق البرية التى تقطع القارات من أقصاها الى أقصاها فى جميع القارات فمثلا هناك طريق برى يربط مدينة جدة على

الساحل الغربى بمدينة الدمام على الساحل الشرقى للجزيرة العربية ، وهناك طريق برى يربط جمهورية مصر العربية شرقا بالجزائر ومراكش غربا مارا بليبيا وتونس ليقطع شمال أفريقيا من الشرق الى الغرب ٠

أما بالنسبة لحفر القنوات وانشاء الطرق المائية فهى من أهم الوسائل التى تدعو الى تقدم الدول ٠ وذلك لأن النقل المائى يعتبر من أرخص أنواع النقل وخاصة أنه يستعمل لنقل البضائع الثقيلة والكبيرة الحجم ٠ غير أن هذا النوع من النقل لا يتم الا فى مناطق تحددها الطبيعة الجغرافية كطبيعة السطح وكميات المياه ووجود الأنهار والبحيرات ٠ وتأتى أهمية القنوات فى ربط الانهار الدولية وخاصة الملاحية منها فطريق نهر سنت لورنس يعتبر من أهم الطرق المائية والذى يربط البحيرات العظمى بالمحيط الأطلسى مما جعل البواخر الكبيرة تستطيع الوصول الى الموانىء المطلة على البحيرات داخل القارة الأمريكية فى كل من كندا والولايات المتحدة ٠ وللقنوات العديدة فى كل من ألمانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا ولكسمبرج وبريطانيا أهميـــة كبرى لكونها ساعدت على تطور اقليم غرب أوربا صناعيا وحضاريا وقد أمكن ربط نهرى الراين والدانوب بقناة لتصبح أوربا وحدة جغرافية قوية وتصبح الملاحة النهرية فيها كالدورة الدموية فى جسم الانسان ، فشبكة الأنهـــار العديدة كالراين والرون والدانوب والأودر والفستولا والدينبر تربط جميع أجزاء القارة الأوربية بعضها ببعض لتجعل منها وحدة اقتصادية وربمـــا سياسية فى المستقبل ٠ فهذه الأنهار العديدة المرتبطة ببعضها بواسطة القنوات جعلت حركة الملاحة وانتقال المواد الخام والوقود والمواد المصنوعة مستمرة طول الليل والنهار وفى الفصول المختلفة ٠ مما أدى الى ارتفاع مســـتوى المعيشة فى هذا الجزء عن غيره من أجزاء العالم ٠

٥ ـ رءوس الأموال :

وأخيرا يمكن أن نضيف الى مصادر الثروة الاقتصادية رءوس الأموال المستغلة فى البلاد الأجنبية فكثيرا ما استخدمت الأموال المستغلة فى الدول النامية كوسيلة للضغط على الدول المستغلة بها ٠ فالدولة الصغيرة والتى تعتمد على رءوس الأموال الأجنبية فى بناء كيانها الاقتصادى غالبا ما تفقد مركزها السياسى أو مركز القوة السياسية أمام الدول الكبرى ٠ فاذا ما تهددت مصالح الدولة القوية فى البلاد النامية فانها تقوم بغزوها عسكريا ٠ وهذا

ما حصل بالنسبة لجمهورية مصر العربية عام ١٩٥٦ م عندما غزتها كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل نتيجة لتأميم قناة السويس ·فالاستعمار الاقتصادى انما يأتى عن طريق استغلال رءوس الأموال · فأندونيسيا لم تخضع للسيطرة الهولندية الا بعد خضوعها لرءوس أموال شركة الهند الشرقية الهولندية · ولم تكن للهند لأن تخضع للاستعمار البريطانى لولا رءوس اموال شركة الهند التجارية ·

تعتبر بريطانيا والولايات المتحدة من أكبر الدول التى تستثمر أموالها فى الدول الأجنبية فمعظم الأموال الامريكية تعمل فى دول أمريكا اللاتينيـة وأفريقيا ودول الشرق الأوسط وأوربا والشرق الأقصى · لقد قامت الولايات المتحدة باعادة بناء أوربا بعد الحرب العالمية الثانية وذلك بواسطة مشروع مارشال ومشروع النقطة الرابعة ، غير أن الهدف من هذه المشاريع الاقتصادية هو ربط اقتصاد الدول النامية باقتصـــاد الدول الرأسمالية بصفة عامة وبالاقتصاد الامريكى بصفة خاصة · وبهذا تصبح هذه الدول حليفة لأمريكا· أما بقية دول العالم والتى لديها رءوس أموال تعمل فى الدول الأجنبية فهى بريطانيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وسويسرا واليابان · غير أن معظم رءوس الأموال المستغلة لا يمكن مقارنتها برءوس الأموال الامريكية والبريطانية · كما لا يمكن اغفال استغلال الأموال الأجنبية لما لها من تأثير سياسى على كيان وأمن الدولة وقوتها ·

الفصـــل الرابع

حــــدود الدولة

لمحة تاريخية :

أن فكرة الحدود السياسية ما هى الا ظاهرة من ظواهر المدنية الحديثة فلم تعرف الحدود فى مطلع التاريخ البشرى كما نعرفها فى الوقت الحاضر ٠ لقد كانت الدولة عبارة عن وحدات صغيرة تحصن نفسها من الغارات بأسوار قوية وعالية كان الهدف منها الحماية وليست تحديد مناطق النفوذ ٠ فقد أقام الصينيون سور الصين العظيم ليحميهم من غارات المغول والتتار الذين كانوا يغيرون عليها من وقت لآخر وأقام الرومان حوائط ممـــاثلة عند الأطراف الشمالية لانجلترا لصد غارات الأسكتلنديين وأقاموا الأسوار بين نهر الراين ونهر الدانوب لصد غارات الرعاة الصقالبة ، وهكذا تطور الانسان فى سلم المدينة فأخذ يترك منــــاطق محــايدة بينه وبين جيرانه عرفت بالتخوم Frontiers حيث انتقى الانسان الفواصل الطبيعيـــة والتى يصعب اجتيازها الا من نقاط معينة أقام عندها مراكز للمراقبة والدفاع فى الدرجة الأولى ثم تحصيل الضرائب أو المكوس على التجارة المارة بتلك المراكز فى الدرجة الثانية هذه المراكز عرفت فى التاريخ الاسلامى باسم الثغور ٠ لقد كانت الامبراطورية الرومانية تربط التخوم بداخل الدولة بطرق معبدة بالحجارة ليسهل عليها سير الجيوش والعربات المحملة بالمؤن والذخائر عرفت باسم الطرق الرومانية القديمة ومن هنا جاء الممثل المشهور بأن كل الطرق تؤدى الى روما ٠

أما عند التقاء حضارتين متجاورتين فقد أقيمت دويلات لتكون مناطق أو دول عازلة حتى لا تتصادم الحضارتان مع بعضهما مثل دولة الغساسنة فى شرق سوريا التى كانت تخضع للدولة البيزنطية ودولة الحيرة التى كانت تخضع للفرس وبهذا يمكن أن نعمم ونقول بأن مناطق التخوم تتفق ومناطق الاتصال بين الحضارات المختلفة أو بين القوميات الكبرى وهنا يجب أن نلاحظ أنه قد تنمو فى مناطق التخوم قوميات جديدة معتمدة على اختلاط الحضارتين ٠ ومن أمثلة ذلك كوريا ومنشوريا ومنغوليا التى تفصل الصين عن الاتحاد السوفيتى ودول الهند الصينية وتايلاند وبورما التى تفصل بين

الهند والصين ودول البحر البلطى وشرقا أوربا التى تفصل بين الاتحاد السوفييتى وغرب أوربا على اعتبار أن دول السوق الأوربية المشتركة سوف تكون وحدة اقتصادية سياسة شاملة فى المستقبل ۰ أما بالنسبة للحضارة العربية فقد وجدت فواصل طبيعية تفصلها عن الحضارات المحيطة بها مثل الصحراء الكبرى فى شمال افريقيا والتى تفصل الحضارة العربية عن الحضارة الافريقية السوداء ويفصل البحر المتوسط الحضارة العربية فى شمال افريقيا عن الحضارة الأوربية أما جبال زاجروس وطوروس فتفصل بين الحضارة العربية والحضارتين الايرانية والتركية ۰

ولما كان عدد سكان العالم آخذة فى الزيادة يوما بعد يوم وهذا بدوره ينعكس على حاجة الدول الى المزيد من الأراضى لاستغلالها فى اطعام الأفواه الجديدة التى تتزايد كل يوم ۰ فقد دفعت هذه الحاجة الدولة الى استغلال مناطق التخوم أو تلك المناطق المحايدة التى كانت تتدرج فيها سيادة الدولتين المتجاورتين ۰ ولهذا تغير مفهوم الحدود فى العصر الحديث ۰ وبهذا يمكن تعريف الحدود الدولية بأنها تلك الخطوط التى ترسم على الخرائط وتوضح على الطبيعة لتعين أين تنتهى سيادة دولة من الدول وأين تبدأ سيادة الدولة المجاورة ۰ أو بمعنى آخر هو الخط الذى يفصل سيادة وحدة سياسية عن سيادة وحدة سياسية أخرى ۰ فالحدود السياسية تفصل الدول المستقلة بعضها عن بعض وتحيط أراضى الدولة الواحدة وتبين أين تمارس سلطات الدولة نفوذها الشرعى ۰ ويعنى هذا أنه ليس لأية دولة الحق فى أن تفرض الضرائب أو تحافظ على الأمن أو تنزل قواتها العسكرية خارج حدودها السياسية الا فى بعض الحالات الاستثنائية والتى تعطى فيها الدولة هذا الحق أما بواسطة معاهدة دولية كأن تكون الدولة عضوا فى أحد الأحلاف العسكرية أو بواسطة ضمان من القانون الدولى أو المنظمات الدولية ۰ فللدولة داخل حدودها الحق فى أن تمنع جيرانها أو أية دولة أخرى من عبور أراضيها أو التحليق فى سمائها دون أن تتم اتفاقيات بذلك ۰ ولهذا أصبحت الحدود واضحة المعالم شديدة المراقبة وأصبحت الدول تفرض ضرائبها على آخر متر من ذلك الخط الذى تتلاقى عنده سيادة الدولتين ۰

وظائف الحدود :

تشارك جميع أجهزة الدولة فى مراقبة الحدود حيث تقوم الوزارات

المعنية بالمشاركة فى الاشراف على جميع السلع والأفراد القادمين والمغادرين عبر الحدود السياسية • لقد ناقش الأستاذ الدكتور محمد فاتح عقيل (١) وظائف الحدود بشىء من التفصيل ولا يسعنا فى هذا المقام الا أن نلخص النقاط الرئيسية التى وردت فى كتابة مشكلات الحدود السياسية فيما يلى :

أولا : الدفاع عن الدولة وتوفير الأمن للشعب :

وهذه تشترك فيها للعديد من المصالح الحكومية للدولة مثل :

الحجر الصحى : وهو مراقبة ومنع دخول الأمراض والأوبئة الخطـرة على حياة السكان ، ولهذا فان دور وزارة الصحة هو انشاء المعازل الصحية والتى يوضع فيها القادمون الى البلاد والذين يشك فى أنهم ينقلون معهم بعض الأوبئة الفتاكة • من أجل ذلك تساعدت الدول فى انشاء نظام دولى لاصدار شهادات صحية دولية يجب على كل مسافر أن يحملها حتى لا يتعرض الى الحجر الصحى عند قدومه الى موانىء الدولة القادم اليها •

الحجر الزراعى : وهو منع دخول الآفات الزراعية والتى تهدد اقتصاد الدولة الزراعية فمعظم الدول المتخصصة فى نوع من الانتاج الزراعى والتى يعتمد عليه اقتصادها القومى تحاول أن تحافظ على جودة انتاجها حتى يمكنها أن تنافس به منتجات الدول الأخرى فى الأسواق العالمية وفى حالة دخول أى مرض زراعى الى نتاج الدولة فانه سوف يسبب خسائر كبيرة • كما يسىء الى سمعة منتجاتها وهذا بدوره يؤثر على هبوط سعر السلعة • من أجل ذلك تحافظ الدول الزراعية على مراقبة المنتجات الزراعية على طول حدودها • بالاضافة الى ذلك قد تنقل بعض الموارد الزراعية أمراضا فتاكة الى البلاد • فكثيرا ما نرى منع استيراد بعض الفواكه من الدول التى تنتشر فيها الكوليرا مثلا لأن بعض الفواكه تساعد على نقل هذه الأمراض ، وهنا يأتى دور وزارة الزراعة فى مراقبة مداخل الدولة •

مراقبة ومنع دخول الأشخاص الخطرين على الأمن : كالمجـــرمين والمهربين والمخربين • تمنع وزارة الداخلية خروج المجرمين الخطرين من بلادها الى الدول الأخرى حتى لا يسيئوا الى سمعة البلاد • أما بالنســبة

---

(١) محمد فاتح عقيل « مشكلات الحدود السياسية » • منشأة المعـــارف • الاسكندرية ١٩٦٧ م صفحة ٤٤ •

للمهربين فمن واجب الدولة أن تحمى اقتصاد البلاد فقد يسبب تهريب بعض السلع التى تنتج فى البلاد الى تدهور صناعاتها المحلية وقد يترتب على ذلك الرجوع بالوطن الى الوراء بدلا من مساعدته فى التطور الاقتصادى وخاصة وأن الصناعة فى حاجة الى حماية الدولة فى أول عهدها والى أن تتحسن وتصبح قادرة على منافسة المنتجات المستوردة من خارج البلاد ٠

منع دخول الأفكار والمعتقدات : ممثلة فى الصحف والمجلات والكتب التى تنشر مبادىء ضارة تشكك فى المعتقدات السماوية أو المبادىء والأفكار التى تربط بين أجزاء الدولة ٠ من أجل ذلك تلاحظ وزارات الأعلام فى الدول الاسلامية والدول الرأسمالية تحارب المبادىء الشيوعية الهدامة كما تمنع الدول الشيوعية الصحف والمجلات والكتب الصادرة فى العالم الحر حتى لا يحطوا الفرصة الى شعوبها لمعرفة محاسن العقـــــائد السماوية كالدين الاسلامى مثلا والذى قد يخرجها من الظلمات الى النور ٠

ثانيا : حماية الانتاج الاقتصادى :

توضع الجمارك على البضائع المنافسة للانتاج المحلى ، وفى هذه الحالة قد لا تمنع الدولة دخول المنتجات المنافسة كلية وانما تقلل من دخولها بحيث يصبح سعرها مرتفعا من سعر الانتاج المحلى مما يجعل المستهلك يفضـل السلعة المحلية ٠ من أجل ذلك تعقد الاتفاقيات التجارية بين الدول حيث تسهل الدول الموقعة على هذه الاتفاقيات دخول بضائعها الى بعضها البعض ٠ كما تحمى الدولة سكانها من الاعتداءات الخارجية فى حالة استخراجهم لمصادر ثرواتهم فى الميـــاه الاقليمية سواء كانت موارد معدنيــة أو بتروليـــة أو سمكية ٠

ثالثا : تنظيم التبادل الاقتصادى بين الدول :

من أهم المشاكل التى تواجه الدول وخاصة تلك الدول التى تقع فى مناطق المراعى هو تنظيم حركات القبائل المتحركة خلف قطعان ماشيتها بين دولتين أو أكثر وخاصة اذا كان الاقليم يقع فى المناطق الجافة أو شبه الجافة حيث لا تسقط الأمطار بانتظام من ناحية الزمان والمكان من أجل ذلك سمحت الدول بأن تسهل حركة انتقال الرعاة الى مناطق المراعى وحيث تســـقط الأمطار ويظهر الكلاء ، هذا بالنسبة للدول الواقعة على أطراف الصحارى ،

أما الدول الواقعة فى المناطق الجبلية التى تمر عليها الحدود فان اجراءات شبيهة بذلك قد اتخذت لتسهيل حركة الهجرة الصيفية للرعاة حيث يصعد الرعاة بقطعان ماشيتهم الى الجبال فى أثناء فصل الصيف ويهبطون الى الوديان فى أثناء فصل الشـــــتاء اذ أن الرعاة لا يهتمون بوجود الحدود السياسية · فقد ينتقل الراعى من دولة الى أخرى دون أن يعلم أنه خرج من حدود أراضى الدولة الأولى الى حدود وأراضى الدولة الثانية ، كل ما يهمه هو البحث عن الكلاء وموارد المياه ·

يمكن أن يضاف الى ذلك حركة العمال بين الدول الصناعية ، فأحيانا توضع الحدود فى وسط مناطق صناعية مزدحمة بالسكان أو تقطع المدن الصناعية الكبرى مما يجعل العمال ينتقلون من مدينة الى أخرى للعمل فى المصانع عبر الحدود الدولية · وتسهيلا لحركتهم فان كثيرا من الدول تصدر بطاقات خاصة يستخدمونها فى تنقلاتهم عبر الحدود مثل انتقال العمال بين الولايات المتحـــدة الأمريكية وكندا حول البحيرات العظمى ، وبين الدول الأوربية الصناعية حول مصب نهر الراين ·

يمكن أن يدخل ضمن تنظيم التبادل الاقتصادى حقوق الدول الداخلية فى نقل صادراتها ووارداتها عبر أراضى الدول الواقعة على البحار · من أجل ذلك أنشأت الدول نظام حق الترانسيت أو نظام تجارة المرور وبه يصبح للدولة الداخلية الحق فى استخدام أجزاء من موانىء الدول البحرية بحيث تاتى السلع القادمة الى الترانسيت ثم ينتقل بعدها الى عربات مقفلة ومختومة لتتجه نحو الحدود والى الدول المجاورة ·

رابعا : مراقبة وتنظيم انتقال الأفراد :

مما لا شك فيه أن انتقال الأفراد والجماعات بين الدول أصبح من الأمور التى يجب معرفتها ومراقبتها فكل دولة تحدد مدة بقاء الأجانب بها فاذا كان الزائر قادما الى دولة لغرض ما فان بقاءه ينتهى بنهاية ذلك الغرض ، فمثلا نلاحظ أن الأفراد القادمين من أجل الحج يجب أن يغادروا المملكة العربيـــة السعودية بعد انتهاء موسم الحج وأن كل من يؤدى حاجا بدون اقامة دائمة فى المملكة يتعرض للجزاء · من أجل ذلك فان على الحجاج مغادرة البلاد بانتهاء موسم الحج · كما أن على الطلاب الذين يدرسون فى الجامعـــات

والمعاهد الأجنبية أن يعودوا الى أوطانهم اذا ما انتهت دراستهم ، لأن مدة اقامتهم محدودة بعدد سنوات الدراسة أو بحصولهم على المؤهل العلمى ، لذلك كانت ادارة الجوازات والجنسية ومكاتب الهجرة تتابع أولئك الذين انتهت مدة اقامتهم لتقوم بترحيلهم الى أوطانهم كما أن مهمة رجال الحدود مراعاة أنظمة البلاد وعدم السماح لأى قادم من الدخول الى البلاد اذا لم يحصل على تأشيرة دخول مسبقة ، الا اذا كانت هناك اتفاقيات دولية بين دولة وأخرى أو دولة وعدد من الدول يسمح بموجبها لأفراد الدول الموقعة على الاتفاقية بدخول البلاد بدون تأشيرة أو اعطائهم تأشيرة الدخول على الحدود ٠

أنواع الحدود :

يمكن أن نقسم الحدود الى قسمين حدود طبيعية وحدود اصطناعية ٠ غير أننا قبل أن نناقش هذه التقسيمات المختلفة يجب أن نلاحظ أن هناك أقساما فرعية يجب أن نضعها فى حسابنا حينما نناقش هذه التقسيمات الرئيسية ٠ هذه الأقسام هى :

حدود سبقت سكنى الانسان ، أى أنها رسمت قبل أن تعمر المنطقة مثل حدود الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وحدود ولاية الاسكا التابعة للولايات المتحدة وحدود كندا ٠

حدود وضعت بعد أن سكن الانسان الاقليم ، وهذه غالبا ما يراعى عند تحديدها رغبة الشعوب القاطنة على جانبى الحدود بقدر المستطاع كحدود معظم الدول الأوربية وكحدود الهند وباكستان ٠

حدود فرضت على الشعب فرضا ، وهذه لم يراعى فى رسمها الفوارق الثقافية والحضارية ورغبة الشعوب ٠ ويمكن أن تقسم الى قسمين :

حدود فرضت فرضا وقبل بها الشعبان المتجاوران كالحدود بين سوريا ولبنان والأردن والعراق ٠

حدود فرضت فرضا ولكن الشعبين على جانبى الحدود لم يقبلا بها وهى ما تعرف باسم خطوط الهدنة أو خطوط وقف اطلاق النار ، كالحدود بين

العرب واسرائيل والحدود بين فيتنام الشمالية والجنوبية والحدود بين كوريا الشمالية والجنوبية والحدود بين الهند وباكستان فى منطقة كشمير ٠

أولا : الحدود الطبيعية :

لقد عرف الانسان بأنه حيوان اجتماعى ومفكر سياسى لا يجب أن يعيش منفردا أو منطويا على نفسه ولكن بالرغم من ذلك فلقد اختار الحواجز الطبيعية لتكون موانع بينه وبين من لم ير أن يكون داخل مملكته السياسية٠ فالحدود السياسية هى من صنع الانســـان فى الدرجة الأولى ٠ غير أن الانسان غالبا ما يبحث عن العقبات الطبيعية كالجبال والأنهار والبحـــار والصحارى والمستنقعات لتكون حدوده ٠ وحتى يشعر أن فى هذه الظواهر الطبيعية حمايته ٠ هذا النوع من الحدود استخدمه الانسان منذ زمن بعيد وكان الهدف من اختياره هو قدرته على الحماية لأنها كانت تمثل وسيلة رئيسية للدفاع ٠ أما اليوم فلقد قلت قيمة هذا العامل نظرا لظهور وســائل الحرب الحديثة وتقدم وسائل الدفاع والهجوم ٠ لقد كان الهدف من اختيار الظاهرات الطبيعية هو تقليل الخلافات بين الدول ، غير أن الحدود الطبيعية لا تخلو فى بعض الأحيان من الخلافات وخاصة اذا كانت الحدود تمر بمناطق غنية بثرواتها الاقتصادية كوجود بترول أو معادن فى باطن الأرض ٠ تنقسم الحدود السياسية والطبيعية الى عدة أقسام أهمها :

(أ) الحدود الجبلية :

تختلف أهمية الجبال كظاهرة من الظواهر الطبيعية لتخطيط الحدود تبعا لطبيعتها من ارتفاع وانخفاض وتضرس وانحدار ٠ ففى الوقت الذى تقوم فيه سلاسل جبال الهملايا بالفصل بين الشعبين الهندى والصينى فان جبال الألب لم تمنع اختلاط القومية الفرنسية بالقومية الايطالية ، فكلا القوميتين يعيشان فى دولة واحدة وتحت علم واحد الا وهو العلم السويسرى ، وكذلك لم تقف جبال البنين عائقا أمام الوحدة الايطالية ٠ ولم تقف جبال أطلس فى تحقيق وحدة كل من الجزائر ومراكش ٠ فهناك العديد من السلاسل الجبلية والتى لم تستطع الوقوف أمام حركات الهجرات البشرية أو انتشار اللغـات والثقافات أو بمعنى آخر فان الجبال قد لا تكون أداة فصل بين قومية وأخرى حيث تلعب الممرات والثغرات التى تتخللها أدوارا هامة فى تقليل قيمتهـــا

كحدود فاصلة بين الوحدات السياسية المختلفة · ولكن ليس معنى هذا أننا نقلل من قيمة الجبال كفواصل بين الدول · فلربما يرجع السبب فى اختيار ظاهرة الجبال كحدود بين الدول الى وعورتها بحيث تجعل الانتقـــال من جانب الى آخر أمرا ليس بالسهل الهين فبالاضافة الى أن عامل الارتفـــاع يسبب انخفاض فى درجات الحرارة وهذا بدوره يؤدى الى تراكم الثلوج وخلخلة الهواء مما يعوق الحركة الجماعية فان اجتياز الجبال مرتبط بعدة عوامل أهمها مدى ارتفاعها ووعورتها ومدى اتساعها ووجود الممرات بها ومدى سهولة اختراقها ودرجة انحدارها ·

يختلف تأثير هذه العوامل من مكان الى آخر · من أجل ذلك كانت لبعض الجبال القدرة على الفصل بين بعض الدول والشعوب بينما لم تستطع أن تقوم بنفس الدور جبال أخرى · لقد حاولت الكثير من الدول وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية أن تكون حـدودها متمشية مع قمم الجبـال لأغراض استراتيجية · ولكن يعيب هذا النوع من الحدود أنه لا يتمشى مع قمم الجبال بحيث يعطى كل من الدولتين المتجاورتين فرصا متكافئة فى الدفاع والهجوم فالحدود الشمالية لسوريا لا تسير مع قمم جبال طوروس كما هو واجب بل تتجه نحو السهول الجنوبية معطية الجانب التركى ميزات دفاعية ، وكذلك الحال بالنسبة للحدود العراقية الايرانية حيث تترك الحدود القمم الشمالية لجبال زاجروس وتنزل نحو السهول العراقية حتى تصل الى الضفة الشرقية لشط العرب لتضم منطقة عربية تعرف باسم عربستان ، أما بالنسبة للحدود الفرنسية الألمانية فقد كانت فرنسا تحرص على أن تكون حدودها مع ألمانيـا تسير مع جبال الفوج التى تنحدر تدريجيا نحو الأراضى الفرنسية بينما تنحدر انحدارا سريعا ومفاجئا نحو وادى الراين المتاخم للأراضى الألمانية وبهذه الحدود استطاعت فرنسا أن تمنع ألمانيا من الهجوم عليها من هذا الجانب من الحدود فى الحرب العالمية الأولى والثانية ولولا أن ألمانيا انتهكت حياد بلجيكا وهجمت على فرنسا من الحدود البلجيكية التى لم يكن متوقعا منها أية هجوم لولا ذلك لوجدت ألمانيا مقاومة شديدة على الحدود الفرنسية الألمانية · يمكن أن نضيف أيضا الحدود النمساوية الايطالية قبل الحرب العالمية الثانية حيث كانت تنحدر الى الجنوب عبر جبال الألب حتى تصل الى سهل البو الايطالى· وحينماقامت الحرب لم تستطع ايطاليا دفع القوات النمساوية عبر جبـــال الألب لأنها كانت تتمتع بميزة استراتيجية تمكنها من الهجوم وتزيد من قوتها الدفاعية · من أجل ذلك كان أول مطلب لايطاليا فى مؤتمر الصلح هو دفع

حدودها مع النمسا شمالا بحيث تتمشى وقمم الجبـــال · ولقد نجحت فى الحصول على تلبية طلبها وبالرغم من المشاكل العديدة التى نتجت عن هذا التعديل · فاصبحت للنمسا اقليات داخل ايطـــاليا لا يرغبون العيش مع الايطاليين ·

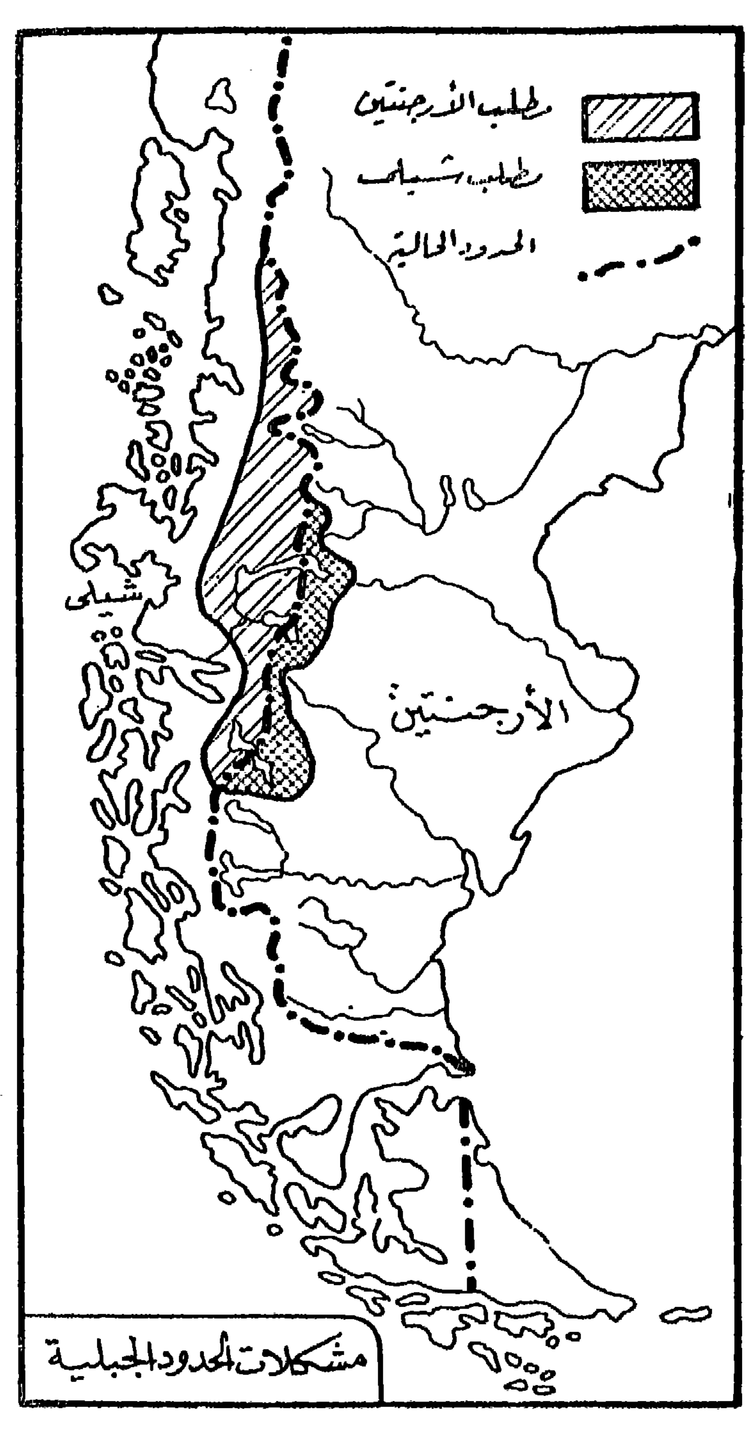
يعترض رسم الحدود فى المناطق الجبلية العديد من المشاكل ، مثل هل ترسم الحدود على قمم الجبال أو تتبع خط تقسيم المياه ؟ وخاصة وأن هذين الخطين يختلفان فى طبيعتهما ، وانهما لا يلتقيان فى كثير من الأحيان، وخاصة اذا كانت المنطقة معقدة التضاريس ويوجد بها أكثر من سلسلة جبلية ، فأى السلاسل تختار ؟ هذه المشاكل تواجه السياسيين حينما توضع الخريطـــة لرسم الحدود · وحينما يشرع فى تطبيق ما رسم على الخريطة على الطبيعة، وخاصة اذا لم يكن للمنطقة التى رسمت حدودها خرائط طوبوغرافية دقيقة ولم تمسح مسحا دقيقا لقد قامت المنازعات بين كل من شيلى والأرجنتين على تفسير معاهدة الحدود التى وقعتها الدولتان عام ١٨٨١ م · وبعد منازعات طويلة تم الاتفاق على خط يتمشى مع قمم السلاسل الجبلية المختلفة وانتهى النزاع بينهما عام ١٩٠٢ م (شكل ٩) ·

أما المشكلة الثانية والتى لم تنته بعد فهى مشكلة الحدود الهنـــدية الصينية التى تمتد على طول جبال الهملايا · لقد قامت بريطانيا نيابة عن الهند عام ١٩٢٤ م بتوقيع معاهدة الحدود مع الصـــين وعرف الخط الذى يفصل الهند عن الصين باسم خط ماكماهون ،حيث وقعت الاتفاقية على خريطة تقريبية لجبال الهملايا بها العديد من الأغلاط التى تثير المشـــاكل · ومن المعروف أن قمم جبال الهملاي عالية جدا بحيث يصعب الصعود اليها لوضع العلامات الفارقة للحدود الهندية الصينية وهكذا يجد الخلافات على الحدود الجبلية عديدة نظرا لأن سكان الجبال لهم طابعهم وأسلوبهم الخاص بهم فى الحياة فهم يعيشون على الرعى وعلى الزراعة فتراهم يتسلقون الجبال خلال أشهر الصيف وراء ماشيتهم ويستقرون فى السهول وفى بطون الأودية للعمل بالزراعة فى فصل الشتاء · لهذا فان الحدود الجبلية قد تفصل الماشية عن مناطق المرعى وقد تفصل القرية عن المزارع أو المناطق التى يعمل بها سكان القرية وقد تقسم المزرعة الواحدة الى قسمين كل قسم فى داخل دولة من الدول · كل هذه الحالات قد تؤدى الى آثار اقتصادية سيئة · وتجنبـــا للمشاكل فانه يعطى أحيانا اقليم من الأقاليم الجبلية الواقعة على الحدود

نوعا من الاستقلال الذاتى وخاصة اذا كان سكان الأقليم يتمتعون بكيان خاص له مقوماته وعاداته وتقاليده ويميزهم عن كلا الشعبين الواقعين على الحدود مثل سكان الباسك الواقعين فى جبال البرانس على الحدود الفرنسية الأسبانية وهنا يجب أن نلاحظ أنه فى الوقت الذى يقل فيه الباردة والمعتدلة فان السكان يتركزون فى المناطق الجبلية العالية فى الجهات الحارة كالجهات الاستوائية وهذا ما يجعل الحدود الجبلية تخترق جهات مزدحمة بالسكان وهذا بدوره يقلل من قيمة الجبال كعامل من عوامل فصل الشــــعوب بعضها عن بعض وبالرغم من ذلك فان هناك العديد من الدول التى اختارت الجبال كظاهرة طبيعيةلرسم حدودها منها السويد والنرويج وفنلندا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا والنمسا وايطاليا وفرنسا وأسبانيا وبلغاريا واليونان ويوغسلافيــــا وشيلى والأرجنتين والهند ولبنان وسوريا والعراق وتركيا وغيرها ٠

(ب) الحدود النهرية :

كانت الامبراطورية الرومانية تبذل قصارى جهدها فى أن تسير حدودها مع الأنهار لأنها كانت بمثابة حواجز طبيعية ترد عنها غارات المتبربرين ٠ كما كانت تسهل لها الحركة والاتصال بين نقاط الحدود المختلفة ٠ لقد كان نهر الدانوب ونهر الراين من أهم خطوط الدفاع التى حمت الامبراطورية الرومانية من القبائل القادمة من أواسط أوراسيا ٠ تلى ذلك أن أستغل الاستعمار وجود الأنهار ورسم عليها الحدود السياسية بين المستعمرات ٠ لا لكونها حدودا طبيعية تفصل بين شعبين مختلفين بل لكونها ظاهرة طبيعية واضحة على الخريطة وعلى الطبيعة ٠ فمثلا حدود أفريقيا الجنوبية الغربية رسمت على نهر الأورنج ونهر كنين ونهر كفانجو نهر الزمبيزى بواسطة الساسة الألمان الذين لم تطأ أقدامهم أرض القارة الافريقية ٠ وعلى غرار أفريقيا الجنوبيــة الغربية الكثير من الحدود السياسية التى فرضها الاستعمار فرضا على الشعوب دون أن يراعى فيها سوى عاملى السهولة والوضوح على الخريطة وعلى الطبيعة ٠ لقد أدى اختيار الأنهار كحدود سياسية بين الدول الكثير من المشاكل وخاصة اذا كانت تلك الأنهار تمر بمناطق مكتظة بالسكان ٠ غير أنه يمكن أن يستثنى من هذه الظواهر حالتان ، أحداهما أن يكون تخطيط الحدود سابقا لسكنى الانسان وثانيهما أن يكون قد انقضى على رسم الحدود زمن طويل مما يفسح المجال أمام كل شعب على جانبى النهر من الاستقرار


مطلب الأرجنتين
مطلب شيلي
الحدود الحالية
شيلي
الأرجنتين
مشكلات الحدود الجبلية

شكل (٩)

والتأقلم الجغرافى فى المنطقة التى يعيش فيها لأن الزمن يصبح كفيلا بأن يجعل لكل شعب على جانبى النهر عاداته وتقاليده وثقافته الخاصة به والتى تميزه عن الشعب المجاور · أن ظاهرة اختيار الأنهار كفواصل طبيعية بين الدول قد تغير مع تغير العصور فلم يعد النهر سوى صلة طبيعية توحد بين الشعوب التى تشترك فى حوضه وخاصة بازدياد التعاون فى استخدام مياهه فى الرى والملاحة وتوليد القوى الكهربائية حتى أصبح النهر بمختلف فروعه بمثابة الدورة الدموية فى جسم الانسان اذا تأثر أى فرع من فروعه بزيادة أو نقصان فى كمية المياه تأثرت جميع المنطقة بالفيضانات والقحط · تعتبر الأنهار اليوم من أهم وسائل الترابط والاتصال الداخلى للقارات حيث تعمل على تنمية التبادل التجارى بين أقاليم الدولة الواحدة من جهة وبين أقاليم الدول الأخرى التى تشترك فى حوضه من جهة أخرى · فبفضل الأنهار زادت الحركة التجارية العالمية ليس فى الأنهار فحسب بل أيضا فى البحار والمحيطات · فنلاحظ فى نهر الراين والدانوب والمسيسبى وسنت لورنس ولابلاتا ازدحام السفن القادمة والمغادرة المحملة بمختلف السلع وخاصة السلع الثقيلة كالفحم والحديد والأخشاب والمعادن والمنتجات الضخمة سواء كانت تلك السلع مواد أولية متجهة نحو مراكز التصنيع او كانت منتجات مصنعة متجهة نحو مراكز الأسواق العالية · وبالاضافة الى تنمية التبادل التجارى بين الدول فان الأنهار تعمل على تقوية روح القومية وتماسك الأجناس البشرية المتعددة وتقارب الثقافات المختلفة · أن معظم الحضارات قديمها وحديثها انما نمت وترعرعت على ضفاف الأنهار · فالحضارات التى قامت بالعراق بالرغم من اختلاف اسمائها وأزمانها وأماكنها كانت مرتبطة بنهرى دجلة والفرات · ولنهر النيل فضل كبير فى قيام الحضارة المصرية ولنهر الهواتجهو والياتجتسى والكنج والسند فضل فى قيام الحضارات الصينية والهندية · اما فى الوقت الحاضر فان مراكز الحضارة والتجارة والثقافة انما يتركز على ضفاف الأنهار كما يوضحها موقع كل من لندن على نهر التايمز وباريس على نهر السين ونيويورك على نهر هدسن ·

فعلى الرغم من وحدة النهر الا أن هناك العديد من المشاكل بين الدول والتى مبعثها وجود نهر من الأنهار بين دولتين أو أكثر نذكر منها :

١ ـ حرية الملاحة :

ان سماح الدولة الواقعة على مصب النهر للدولة الداخلية بارسال

بضائعها عن طريق النهر واعطائها حق المرور فى مياهها الاقليمية مشـاكل عديدة • لقد حدثت عام ١٦٤٨ م أن قفلت هولندا نهر الشلد scheldt فى وجه التجارة الفرنسية والبلجيكية وخاصة تلك التى تاتى من مدينـــة « انتويرب » وهى المدن التجارية والصناعية الكبرى فى بلجيكا • لقد ظل نهر الشلد مقفلا مدة من الزمن الى أن قام الجيش الفرنسى بفتحه بالقوة أثناء الحرب النابليونية ، وجاء مؤتمر فيينا فى أعقاب حرب نابليون ليعيد السلام الى أوربا • وكان من بين المواضيع المدرجة فى جدول أعماله موضوع حرية الملاحة النهرية حيث اتخذ المؤتمر قرارات فى هذا الموضوع أهمها المادة(١٠٩) والتى تنص بأن الملاحة النهرية يجب أن تكون حرة بين مصب النهر والى أية نقطة يمكن الاستفادة منها فى الملاحة • كما يجب أن لا يمنع أى انسان أو أية دولة من استخدام النهر فى التجارة • ثم تلا مؤتمر فيينا انعقاد مؤتمرات دولية كثيرة حرصت على أن يكون موضوع حرية الملاحة النهرية من المواضيع الهامة فى مناقشاتها • ففى معاهدة باريس لعام ١٨٥٦ م أكدت الدول المجتمعة قرارات مؤتمر فيينا وأمنت للدول الواقعة على نهر الدانوب حرية الملاحة والوصول الى البحر • وفى عام ١٨٨٥ م عقدت معاهدة الكنغو لالغاء الرق وفتح نهرى الكنغو والنيجر أمام التجارة العـــالمية بعد أن كانا محتكرين لشركات خاصة أما فى الولايات المتحدة فلقد قام سكان ولاية نيويورك عام ١٨٢٣ م وكتبوا الى الكونجرس الأمريكى مطالبين بأن تضمن لهم الحكومة الأمريكية حق ارسال بضائعهم بواسطة نهر سنت لورنس • وقد لبت الحكومة طلبهم ورفعت قضيتهم الى محكمة سنت جيمس وكتب الرئيس الأمريكى انذاك جون كوينزى آدم قائلا أن من واجب الحكومة الأمريكية أن تؤمن لسكانهـا وخاصة أولئك الذين يسكنون حول البحيرات العظمى حقهم فى ارسال بضائعهم بالطريقة السهلة التى حبتهم بها الطبيعة وانتهت هذه القضية بتوقيع معاهدة بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية نالت بموجبها الولايات المتحدة الأمريكية حق المرور فى نهر سنت لورنس • ولم تكتف الولايات المتحدة بأن تعطى حرية الوصول الى المحيط الاطلسى عن طريق نهر سنت لورنس بل تعدت ذلك الى طلب السماح لها بأن تسير سفنها فى الأنهار الدولية الأخرى حيث كتبت الى حكومة البرازيل عام ١٨٥٣ م تطلب منها اعتبار نهر الأمزون نهرا دوليا وأن تسمح لسفن جميع الدول باستخدامه بغية الوصول الى الدول الداخلية التى تقع عليه وهى بيرو واكوادور ، غير أن البرازيل لم ترحب بهذا الطلب ورفضته فى بادىء الأمر ثم عادت وسمحت لسفن كل من بيرو واكوادور فقط فى أن

تبحر في نهر الأمزون ولكن الولايات المتحدة الأمريكية أخذت تكرر احتجاجها والقى الرئيس ولسون خطابا في الكنجرس عام ١٩١٧ م وشدد فيه على الاعتراف لجميع الدول المكافحة في سبيل تطور مواردها الاقتصادية بمبدأ حرية الوصول الى البحار · وبهذا تنازلت البرازيل أخيرا وفتحت نهر الأمزون للملاحة الدولية · ثم قامت الحرب العالمية الأولى وانتهت بمعاهدة فرسـاى عام ١٩١٩ م · وكان من بين المواضيع التى اتفق عليها في تلك المعاهدات تنظيم الأنهار الدولية وفتحها لجميع دول العالم على قدم المساواة ثم تلا معاهدة فرساى انعقاد مؤتمر باريس والذى تم فيه تشكيل لجنة دوليـة لدراسة ووضع نظم الملاحة النهرية · واجتمعت هذه اللجنة بالفعل في مدينة برشلون عام ١٩٢١ م · حيث رسمت المبادىء الرئيسية للملاحة النهـرية الدولية · ويمكن القول بأن القرارات التى تتخذ داخل المنظمـات الدولية وخارجها لا تكفى اذا لم تحترمها الدول الأعضاء · لقد رفضت بعض الدول ولا تزال ترفض طلب جيرانها السماح لهم باستخدام المنافذ الطبيعية والتى حياها لهم البارى عز وجل · لقد رفضت حكومة فنزويلا فتح نهر الأورينكو ومراكيبو للتجارة العالمية · وكذلك رفضت لتوانيا أن تسمح لبولندا بالعبور عبر نهر تايمن · أما نهر الآمور الذى يفصل روسيا عن الصين ويؤلف المخرج الوحيد لمنشوريا فلقد كان موضوع اتفاقية بين الاتحاد السوفيتى والصين عام ١٩٣٤ م · نصت على أن يكون النهر مفتوحا للتجارة العالمية ولكن هذه الاتفاقية لم توضع قط موضع التنفيذ · أما بالنسبة لنهر الدانوب والذى تشترك في حوضه ثمان دول فلقد وضع تحت سيطرة الاتحاد السوفيتى أثناء الحرب العالمية الثانية · وهذا بدوره منع تجارة كل من النمسا والمانيا من العبور فيه · أما بعد الحرب العالمية الثانية وفي عام ١٩٤٨ م فقد نشـأ خلاف بين كل من روسيا ويوغسلافيا حين أوعز الاتحاد السوفيتى الى حلفائه في كل من رومانيا وبلغاريا بمنع السفن اليوغسـلافية من استخدام نهر الدانوب ، ونتيجة لذلك فلقد قامت يوغوسلافيا بدورها بمنع بقيـة الدول الشيوعية وهى المجر وتشيكوسلوفاكيا من استخدام النهر وخاصة الجزء المار بأراضيها · وبذلك قطعت الحركة التجارية بين دول أوربا الشرقية ولم يفتح النهر للملاحة لجميع الدول الواقعة في حوضه حتى عام ١٩٥٤ م وبعد أن انتهت جميع المشاكل المتعلقة بين يوغسلافيا والاتحاد السوفيتى ·

٢ ـ تقسيم مياه النهر :

ان لمشكلة تنظيم مياه النهر بين الدول اهمية لا يمكن اغفالها ٠ حيث انه من المعروف أن مشكلة تقسيم المياه بين الدول كثيرة الحدوث فى المناطق الجافة غير أنه لا تخلو منها ايضا المناطق المطيرة ٠ فهولندا وبلجيكا فى صراع دائم حول أخذ كميات كبيرة من مياه الأنهار الى القنوات الصناعية مما يؤدى الى انخفاض مستوى مياه الأنهار وكذلك الحال بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية ٠ فكثيرا ما تحتج كندا على استنزاف مياه بحيرة متشجن من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وتحويلها الى نهر المسيسبى ، لأن ذلك يسبب انخفاضا فى مناسيب مياه نهر سنت لورنس الشريان الحيوى بالنسبة للمواصلات النهرية الكندية ٠ ان جميع القوانين الدولية لا تؤيد تحويل مجرى النهر الطبيعى ٠ فالقانون الرومانى يرفض رفضا باتا اى تدخل فى مجرى النهر الطبيعى ٠ كما أن القانون الدولى ينص على ان لا يحق لأية دولة أن تعرقل مجرى النهر الذى يمر بأراضيها أو أن تغير هذا المجرى ٠ ولا يكتفى القانون الدولى بهذا فحسب بل يذهب الى ابعد من ذلك بحيث لا يعطى الحق للدولة استخدام المياه بطريقة يتعذر معها استخدام مياه النهر فى الدول التى تشاركها فيه ٠ فاذا حاولنا ان نبحث عن أمثلة فان أقرب مثل يمكن أن يؤخذ بكل أسف هو ما قامت به دولة اسرائيل من تحويل فى مجرى نهر الأردن متحدية جميع القوانين الدولية ٠

فاليهود خططوا لتحويل مياه نهر الأردن منذ عام ١٩٣٩ م ٠ اى قبل قيام دولة اسرائيل ٠ وحينما كانوا شرذمة يختبئون فى أوكارهم السرية ٠ ففى تلك السنة المبكرة استدعت احدى المنظمات الصهيونية مهندسا يدعى « لورد ملك » ليدرس مشاكل الرى فى فلسطين ٠ فاقترح أن تحفر قناة وتمد أنابيب من نهر الأردن لرى المناطق الساحلية ٠ على أن تفتح قناة أخرى توصل البحر المتوسط بالبحر الميت لتعوض الأخير عما سيفقده من جراء هذا التحويل هذه كانت الخطة الأولى والأساسية فى مشروع تحويل مياه نهر الأردن الى مجرى غير المجرى الطبيعى الذى يسير فيه ٠ تلى ذلك دراسات أخرى من قبل الصهاينة لاستنزاف مياه الأردن والذى تعتبر مياهه بدون مغالاة مصدر حياة للاخوة العرب الذين يعيشون حوله ٠ واستمرارا فى هذا المخطط الرهيب قدم مهندس آخر يدعى « جيمس هيس » وأدخل بعض التعديلات على خطة سلفه لورد ملك ٠ وشاءت الأقدار ان تغتصب الأرض العزيزة وأن تحل

النكبة عام ١٩٤٨ م وقامت حكومة اسرائيل بوضع مخططات لتحويل مياه نهر الأردن موضع التنفيذ ٠ وفى عام ١٩٥٣ م رسم الصهاينة مشروع السبع سنوات والذى قرر بموجبه سحب الكمية الآتية من مياه نهر الأردن : ـ

(أ) ١٢٨ مليون متر مكعب من بحيرة الحولة ٠

(ب) ٣٤٠ مليون متر مكعب من نهر الأردن بالقرب من جسر بنات يعقوب ٠

(جـ) ٨٠ مليون متر مكعب من بحيرة طبرية ٠

وبهذا يصبح مجموع ما تقرر سحبه هو (٥٤٠) مليون متر مكعب ٠

وفى خلال السنوات الأولى من البدء فى تنفيذ المشروع قامت اسرائيل بنشر دعاية واسعة النطاق لتبرر للعالم جريمتها بأن ما تقوم به هو تحويل حصتها من مياه نهر الأردن ٠ وعلى سبيل المثال نذكر نبذة من مقال موال نشرته جريدة النيويورك تايمز الأمريكية الصادرة يوم ٦ مايو ١٩٥٦ م تقول : « اذا أرادت اسرائيل أن يكون لديها اكتفاء ذاتى من المواد الغذائية فعليها أن توسع أراضيها الزراعية بما لا يقل عن نصف مليون فدان ٠ ومن الطبيعى أنها سوف تضيف هذه المساحة من الأراضى الصحراوية فى فلسطين المحتلة، وبالتالى فانها ستروى من مياه نهر الأردن وعلى حساب السكان العرب فى الأردن الشقيق » ٠ وعلى أثر ذلك وبالفعل ابتدع الصهاينة خطة العشر سنوات عام ١٩٥٦ م مقررين بها سحب كميات اضافية من نهر الأردن وزعت كالآتى ! ـ

(أ) ١٠٠ مليون متر مكعب من بحيرة الحولة ٠

(ب) ٥٠٠ مليون متر مكعب من نهر الأردن بالقرب من جسر بنات يعقوب ٠

(جـ) ١٠٠ مليون متر مكعب من بحيرة طبرية ٠

وبهـــذا يصبح مجموع ما حـوله الأعداء يساوى (٧٠٠) مليـــون متر مكعب ٠

فاذا عرفنا أن مجموع مقدار التجهيزات المائية لنهر الأردن ١٠٤٤ مليون متر مكعب واذ عرفنا أيضا أن ما تساهم به المصادر المائية فى الأراضى المحتلة هو ٢٣٪ فقط من هذا المقدار واذا عرفنا أيضا أن هناك ثلاث دول هى لبنان وسوريا والأردن تشترك فى مصادر مياه النهر ولها حق الاستفادة من تلك المياه لأدركنا مدى الجشع الخطير الذى تواجهه الدول العربية من جـــراء سحب العدو لمثل هذه الكميات الهائلة من مياه النهر وتحويلها الى مجرى غير المجرى الطبيعى ٠

فلو القينا نظرة سريعة على ما عمـــله العـــرب لمواجهة هذا الخطر الصهيونى الداهم لوجدنا الأردن مثلا وهى أكثر الدول العربية تضررا من جراء هذا التحويل استدعت الســير مكدونالد أحـــد المهندسين البريطانيين فى عام ١٩٥١ م والذى اقترح حفر قناتين الأولى من الضفة الشرقية من نهر الأردن وتستمد مياهها من نهر اليرموك والأخرى فى الضفة الغربية وتستمد مياهها من بحيرة طبرية ويعرفان بقناة الغـــور الشرقية وقنـــاة الغـــور الغـــربية ٠

ولما تفاقم النزاع بين الأطراف اضطرت الهيئات الدولية أن تتدخل فى الأمر فجاء المهندس الأمريكى ملر بنجز موفدا من قبل الأمم المتحدة ٠ وقـــام باجراء دراسات مطولة حيث اختتم دراسته باقتراح تقسيم المياه بين جميع الدول المشتركة فى حوض نهر الأردن بالكيفية التالية :

(أ) ٢٨٧ مليون متر مكعب لاسرائيل ٠

(ب) ٥٧٥ مليون متر مكعب للاردن ٠

(جـ) ١٣٢ مليون متر مكعب لسوريا ٠

(د) ٠٥٠ مليو متر مكعب للبنان ٠

وقد ادخل المهندس بنجز تعديلات طفيفة على مشروع السير مكدونالد وقدر تكاليف المشروع بحوالى ٧٠ مليون دولار • لقد لقى هـذا المشروع استحسان الأمم المتحدة ووعدت بأنها ستساهم بمبلغ ٤٠ مليون دولار لانجازه • وبالفعل بدأت الحكومة الأردنية مرحلة التنفيذ ولكن الأخطبوط الصهيونى بما له من سلطان دولى وقف بالمرصاد للمساعدة التى قررت الامم المتحدة منحها للاردن •

وهكذا أعلنت الحكومة الأمريكية استعدادها لتبنى خطة جديدة افضل من الخطط السابقة • حيث أرسل الرئيس الأمريكى السابق ايزنهاور مندوبا الى الشرق الأوسط عام ١٩٥٣ يدعى جونسون لوضع خطة موحدة لاستغلال مياه نهر الأردن توافق عليها الولايات المتحدة وجميع الدول المشتركة فى حوض وادى نهر الأردن • وقام جونسون بدراساته وخرج بتقسيم المياه على النحو التـالى (١) : ـ (شكل ١٠) •

(أ) ١٣٢ مليون متر مكعب لسوريا •
(ب) ٤٧٧ مليون متر مكعب للاردن •
(جـ) ٤٠٠ مليون متر مكعب لاسرائيل •
(د) ٣٥ مليون متر مكعب للبنان •

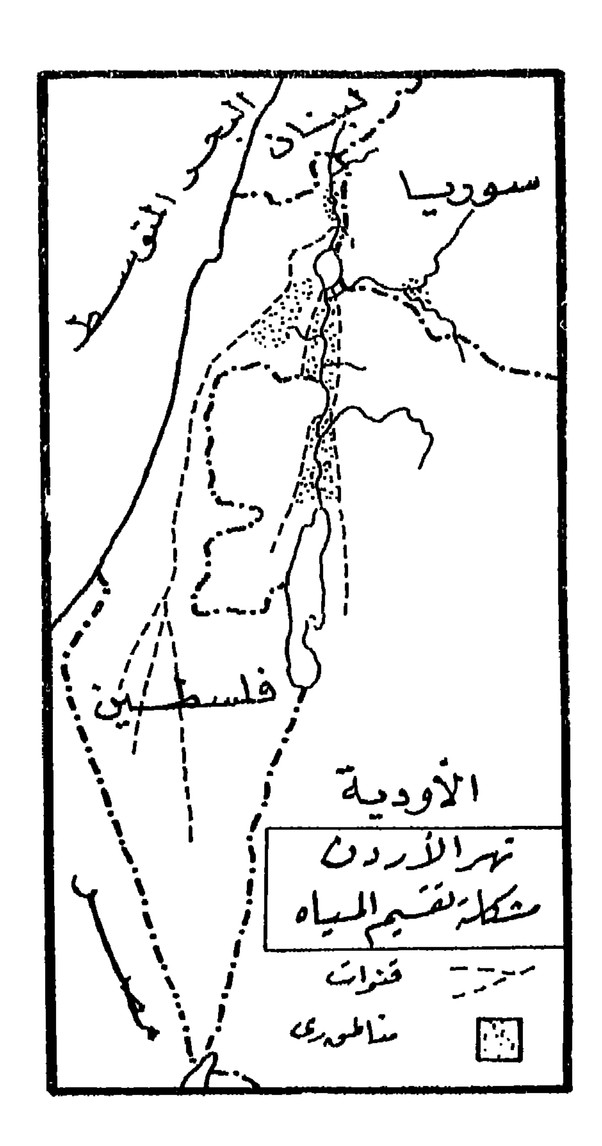
وقبل أن ينتهى جونسون من مهمته صرح موسى شاريت يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٩٥٣ م من اذاعة اسرائيل بأن اسرائيل لا تتقيد بالمشروع وانها سـوف تتصرف بالمياه التى تمر بأراضيها على انها مياه اسرائيلية •

وفكر العرب بعد ذلك فى تحويل مياه نهر الأردن من مصادره الرئيسية قبل دخوله الأراضى الاسرائيلية • وقبل أن يصبح اسرائيليا ، ولكن هـذا المشروع كان باهظ التكاليف ولم يظهر الى حيز الوجود •

ان الحديث عن الأنهار والمياه يلقى ضوءا كبيرا على الأحداث العالمية • فالمياه فى منطقة الشرق الأوسط تعنى الحياة • ففى ضوء الأحداث العالمية

---

1. Norman J. G. Pourds "Political Geography" Mc Grow-Hill Company Inc. New York (1963). 296.



البحر المتوسط
لبنان
سوريا
فلسطين
الأودية
نهر الأردن
مشكلة تقسيم المياه
قنوات
مناطق ري

شكل (١٠)

منذ عام ١٩٤٨ م وما قبلها لقد كان هدف الصهاينة هو الاستيلاء على مصادر المياه وعلى جعل نهر الأردن نهرا اسرائيليا بحتا . فما حدث فى يونية عام ١٩٦٧ م ليس مجرد قرصنة مائية أو تشريد اخوة فلسطينيين . وانما هو مخطط رهيب للاستيلاء على النهر الذى يعتبر عصب الحياة لجميع سكان المنطقة . وهذا سيفسر لنا أيضا أحداث اليوم ويوم غد . فما دامت مصادر النهـــر الرئيسية فى يد العرب فان مطامع العدو ستستمر قائمة اعتداءاته وغاراته لن تنقطع . وانطلاقا من هذا يجب أن لا تستبعد من اسرائيل القيام بمغامرات جديدة وفى حقل القرصنة المائية بالذات . فمجرى نهر الليطانى بجنوب لبنان مهدد بالتحويل الى مجرى نهر الأردن من قبل المخطط الاسرائيلى للاستفادة منه فى زيادة رصيدها المائى أولا ولتوليد القوى الكهربائية ثانيا . استنتج هذا من الغارات الاسرائيلية المتتالية على جنوب لبنان والتى تحاول اسرائيل أن تبررها بردع الفدائيين رغبـــة فى تضايلنا والعـــالم من غرضها الحقيقى المبيت .

وبالاضافة الى المسائل المتعلقة بظاهرة توزيع المياه فى العالم وفقا لحكمة الله نجد أن بعض بقاع العالم يتضرر باستمرار من حوادث الفيضانات النهرية وكوارث الزوابع المطرية بينما هناك بقاع فى عالمنا هذا تستغيث الله طلبا للمطر لينجيها من الجفاف والقحط . أضف الى هذا أن التقدم التكنولوجى الـذى وصلنا اليه لم يصل الى درجة اختراع مواد أخرى لتحل محل المياه أو تزيد كمية الأمطار الساقطة بشكل اقتصادى . بل على العكس فان التقدم التقنى أدى الى استخدام الآلة التى هى بنفسها تحتاج الى كميات كبيرة من المياه . حقيقة أن الآلة لا تستهلك جميع المياه التى تعطى لها . ولكن ما تعيده قد أصبح ملوثا بالمواد الكيماوية والزيوت بحيث يتعذر الاستفادة منه مرة أخرى . هذا بالاضافة الى أنه يلوث المياه النقية فى مجرى النهر ويخلق لنا مشكلة جديدة وهى مشكلة توفير مياه نظيفة صالحة للشرب . فكثيرا ما يضطر المسئولون عن مياه الشرب فى المدن التى تقع على الأنهـار الى مد أنابيب المياه مسافة مئات الأميال للحصول على مياه نقية اما من أنهار فرعية لم تمر بمدن صناعية واما من بحيرات كبيرة لا تقع عليها مصانع كثيرة . أما من ناحية كميات المياه التى تذهب الى البحر فقد أصبحت تقل على مدار الزمن نظرا لازدياد حاجة الانسان اليها ، فنهر ريوجراند تقاسمت مياهه كل من الولايات المتحدة والمكسيك بالقدم المكعب حيث بنيت السدود على طول النهر حتى مصبه لتسهيل عملية توزيع المياه . هذا بالاضـــافة الى أن ولاية كاليفورنيا

ونيومكسيكو وتكساس تتنـــازع فيما بينهما اقتســـام حصـــة الولايات المتحدة ٠

ولنهر النيل قصته فمجموع التجهيزات المائية هو ٨٥ بليون متر مكعب قسمت بين مصر والسودان عام ١٩٢٩ م أى قبل التفكير فى مشروع الســـد العـــالى على النحو التالى (١) :

مصر ٥٧٪	السودان ٥٪	البحر والبخر ٣٨٪

أعيد تقسيم مياه النيل عام ١٩٥٩ م أى بعد أن خطط لمشروع الســـد العالى وكان التقسيم كالآتى : ـ

مصر ٦٥٪	السودان ٢١٪	البحر والبخر ١٤٪

ونظرا لاشتراك دول أخرى فى حوض وادى النيل لم تستشر فى الاتفاقية السابقة فانها تكون غير ملتزمة ببنودها ٠ لقد واجه سكان حوض وادى النيل الخطر حينما احتلت ايطاليا الحبشة ووضعت مشروع تحويل مياه النيل الأزرق الى البحر الأحمر بغية انعاش منطقة أرتريا من الناحية الزراعية٠ ولكن الاحتلال الايطالى لم يدم طويلا لتنفيذ هذا المشروع ٠

ويمثل النهر وحدة طبيعية سواء كان ذلك فى قطر معين أو بين عـــدة أقطار وأن القيام بأى مشروع يجب أن يراعى فيه مصلحة جميع الأطـــراف المعنية فى الأمر ٠ لقد أعطتنا اللجنة المؤلفة لاستغلال حوض نهـــر تنسى T.V.A. بالولايات المتحدة الأمريكية والتى تشترك فيه عدة ولايات مثلا رائعا للتخطيط الاقليمى الداخلى لحوض وادى النهر ولقد رسمت هذه اللجنة المشاريع المفيدة لجميع سكان الوادى من رى وملاحة وانشاء محطات لتوليد القوى الكهربائية ومناطق للسياحة وتكفير الأسماك دون النظر الى الحـــدود السياسية بين الولايات ٠ حتى أصبح هذا المشروع مثلا يحتذى به ٠ لقد شكلت عدة أنهار كالدانوب والراين ولكن من المؤسف أن وظيفة هذه اللجان قد حددت بأن تخطط للملاحة فقط وليس من حقها التدخل فى المشاريع الأخرى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٣ ٠

والتى تعود بالخير على جميع دول النهر ٠٠ فعدم الثقة بين الدولة اذا هو الذى يعرقل تقدمها الاقتصادى مما يضطر الدولة الى ان تقوم بمشاريع فردية كان من الواجب أن تشترك فيها جميع الدول الواقعة فى حرض النهر ٠

٣ ـ موقع الحدود بين الدول فى مجرى النهر :

أثارت مشكلة وضع الحدود النهرية العديد من المشاكل بين الدول لأن النهر لا يمثل خطا دقيقا يحدد الحدود ٠ فأحيانا تسير الحدود على احدى ضفتى النهر ٠ وأحيانا تسير بداخله ٠ حسب المفاوضات والاتفاقيات التى تتم بين الدول ٠ لقد حدث أن حصلت أرجواى على استقلالها عام ١٨٢٨ م واتفق على أن يؤلف نهر أرجواى حدودها الغربية مع الأرجنتين دون أن يعين بالضبط فى أى نقطة من النهر يجب أن تسير الحدود فحسن النية كان الشعور السائد بين الدولتين فى ذلك الوقت ٠ غير أن مشكلة وضع الحدود داخل النهر لم تظهر الا عام ١٩٠٧ م حينما سمحت أرجواى لصيادى السمك بالصيد فى مياهها الاقليمية وعلى مسافة خمسة أميال من الشاطىء داخل الخليج المؤدى الى النهر ٠ وفى الحال احتجت الأرجنتين على هذا القرار ٠ وادعت بأن حدودها مع أرجواى تتمشى مع الضفة الشرقية لنهر أرجواى ٠ وطبيعى أن تدافع أرجواى عن نفسها وأدعت بأن حدودها اما ان تسير مع منتصف مجرى النهر أو مع منتصف الجزء العميق من المجرى الصالح للملاحة وامتداد ذلك فى وسط الخليج المؤدى الى النهر ٠ وظل الخلاف بين الدولتين المتجاورتين حتى عام ١٩٦٠ م حيث اتفقتا على أن تسير الحدود فى منتصف الجزء العميق من المجرى الصالح للملاحة وذلك فى ضوء القرارات التى اتخذها مؤتمر باريس عام ١٩١٩ م والتى تنص :

(أ) أن ترسم الحدود فى الأنهار الدولية غير الصالحة للملاحة فى منتصف مجرى النهر ٠

(ب) أن ترسم الحدود فى الأنهار الدولية الصالحة للملاحة فى منتصف الجزء العميق من المجرى الصالح للملاحة ٠

هناك حالة ثالثة والتى لم تؤخذ فى الاعتبار وهى ما اذا اتفقت دولتان

عن رغبة أو عن رهبة على رسم حدودها على أحد ضفتى النهر كما هو الحاصل بالنسبة لمشكلة شط العرب ٠

لقد بدأت المشكلة بين الدولة العثمانية وايران منذ القرن الثامن عشر واستمر حتى وقتنا هذا ٠ لقد تم الاتفاق بين الدولة العثمانية وايران عـام ١٨٤٧ م بموجب اتفاقية عرفت باسم « اتفاقية أرضروم » على أن يكون شط العرب بضفتيه الشرقية والغربية تحت سيادة الحكومة العثمانية مقابل أن تعطى ايران حق المرور لقاء أجر اتفق عليه الطرفان ٠ غير أن اكتشاف البترول الايرانى عام ١٩٠٨ م وانشاء مصفاة للزيت بالقرب من عبدان أعطى شط العرب أهمية استراتيجية كبيرة وخاصة فى الفترة التى سبقت الحـــرب العالمية الأولى ٠ لقد ثارت خلافات عديدة بين تركيا وايران غير أن هـــذه الخلافات قد حسمت بتوقيع اتفاقية جديدة عرفت باسم « بروتوكول طهران » والتى اشترك فى توقيعها كل من بريطانيا وروسيا ٠ غير أن هذه الاتفاقية لم تحدد بالضبط مواقع الحدود ٠ من أجل ذلك اتفقت الدول الأربع عـلى الاجتماع مرة أخرى فى ٤ نوفمبر عام ١٩١٣ م فى مدينة اسطنبول ٠ وفى هذا الاجتماع الأخير اتفق المجتمعون على أن تسير الحدود مع الضفة الشرقية لشط العرب على أن تكون السيادة للحكومة التركية وتم تشكيل لجنة لتحديد الحدود على الطبيعة فى ضوء ما اتفق عليه المؤتمرون ٠ وعرفت هذه الاتفاقية باسم « بروتوكول اسطنبول » ثم جاءت الحـــرب العـــالمية الأولى وزالت الامبراطورية التركية من العالم العربى وخلفتها الدول المستعمرة وخاصـــة بريطانيا الدولة المنتدبة على العراق ٠ غير أن ايران رفضت الاعتراف بالعراق وأخذت تتقرب من ألمانيا النازية ٠ ونتيجة لخوف بريطانيا من وقوع ايران ومنابع النفط بها بيد الألمان فلقد حاولت استرضاء شاه ايران الذى طالب بعقد معاهدة جديدة مع العراق لتنظيم الحدود بينهما ٠ وهكذا أخذت بريطانيا تبذل محاولات كثيرة فى سبيل اعتراف ايران بدولة العراق والتى كان قد تم فصلها عن بقية الدول العربية ٠ وأخيرا حصلت العراق على اعتراف ايران عام ١٩٢٩ م ، تحسنت بعدها العلاقات الايرانية العراقية ودخل العـــراق عصبة الأمم حيث عرضت القضية هناك ٠ ولكن عصبة الأمم اقترحت بأن تحل قضية الحدود الايرانية العراقية بالمفاوضات بين الطرفين ٠ وبالفعل بدأت المفاوضات وتوصل الطرفان الى اتفاقية ٤ يوليو لعام ١٩٣٧ م والتى نصت على أن الحدود تسير مع الضفة الشرقية فيما عدا مسافة سبعة كيلو مترات أمام عبدان حيث تقرر أن تسير الحدود فى الجزء العميق من المجرى الصالح

للملاحة ٠ كما اتفق الطرفان على تكوين لجنة مشتركة لترعى تنفيذ الاتفاقية٠ وبالفعل شكلت اللجنة فى ٨ ديسمبر عام ١٩٣٨ م وباشرت اعمالها حتى شهر يناير عام ١٩٤٠ م حيث غادر المندوب الايرانى الى طهران وذلك عندما وصلت اللجنة فى أعمالها الى الأماكن التى كانت قد اغتصبتها ايران من العراق ٠ وفى شهر ديسمبر عام ١٩٥٩ م ويناير عام ١٩٦٠ م أرسلت ايران بواخرها التجارية مصحوبة ببوارج حربية رافضة دفع الرسوم المتفق عليها سابقا او أخذ اذن السلطات العراقية وبدون قيادة المرشدين العراقيين وقد تكررت هذه الحوادث منذ عام ١٩٦٠ م حتى ابريل لعام ١٩٦٩ م حين أعلن وزيرالخارجية الايرانية باسم الحكومة الايرانية الغاء معاهدة الحدود المعقودة بين ايران والعراق عام ١٩٣٧ ٠ لقد طالبت ايران أن تشارك فى ملكية شط العرب فاذا علمنا أن ايران لديها ساحل طويل على الخليج العربى يمتد لمسافة ٢٠٠٠ كيلو متر ٠ بينما لايوجد للعراق أى مخرج الى البحر سوى شط العرب وان شط العرب هو مصب نهر دجلة والفرات وهما نهران عراقيان لأدركنا حقيقة المشكلة بين الدولتين ٠

الحدود الدولية داخل البحيرات :

تتشابه البحيرات الدولية مع الأنهار فى انها يمكن اعتبارها عـــاملا موحدا للشعب أو الشعوب التى تقطن حولها اكثر من اعتبارها عامل فصل بينها ٠ لقد نمت الوحدة السياسية السويسرية حول بحيرة لوسيرن فى منطقة نواة الدولة السويسرية والتى التفت حولها الأقاليم الأربع التى كونت سويسرا كما نمت الوحدة السياسية السويدية حول بحيرة مالار والتى تتركز حولهـا القوى السياسية السويدية حتى الوقت الحاضر ٠ أما دور البحيرات فى ربط الشمل فمرجعه الى الدور الاقتصادى الذى تقوم به ٠ فعلى مائها العذب يقوم الاقتصاد ٠ وعلى البحيرات العظمى تقوم المصانع بمختلف أنواعها واحجامها معتمدة على ماء البحيرات وهى أحسن وسيلة من وسائل النقـــل السريعة الرخيصة وعلى البحيرات العظمى تقع أهم المدن الصناعية فى الولايات المتحدة مثل شيكاغو Chicago ميـــــلاواكى Milwaukee وجيرى انديانا Gary Indiana وكليفلند Cleavland وتوليـد Toledo وديترويت Detroit وبفلو Buffalo ، اما الجانب الكندى فتقع عليه كل من هاملتون Hamilton وتورنتو Toronto ووينـدسور Windsor وكنجستون

Kingston وغيرها وعلى البحيرات يعتمد سكان كل من ولاية منسـوتا Minnesota ووسكنسن Wisconsin والينوى Illinois وانديانا Indiana وأوهايو Ohio ونيويورك New York بأمريكا وولاية انتـاريو Ontario بكندا ، فهم يعتمدون على ارسال منتجاتهم الزراعية كالقمح والذرة والثروة الحيوانية واللحوم ومنتجاتهم الصناعية كالسيارات والقاطرات والثلاجات والغسالات والآلات الزراعية الى جميع أنحاء العالم · كما يعتمدون على البحيرات فى الحصول على بعض المواد الخام التى تأتيهم من أجزاء مختلفة من العالم · وتمثل البحيرات العظمى عصب الحياة الاقتصادية بالنسبة لسكان هذه الولايات وبدونها تصبح حالتهم الاقتصادية صعبة للغاية · وهى بهذا تعتبر مثلا حيا للعديد من البحيرات المنتشرة فى جميع أنحاء العـالم مثل بحيرة جنيف L.Geneva التى تفصل بين سويسرا وفرنسا وبحيرة كونستانتس L. of Constance والتى تلتقى عندها حدود كل من سويسرا والنمسا والمانيا وبحيرة فيكتوريا L.Victoria والتى تفصل بين أوغندا وكينيا وتانزانيا وبحيرة تنجانيقا Tanganyika والتى تلتقى فيها حدود تنزانيا وجمهورية زائيرى ·

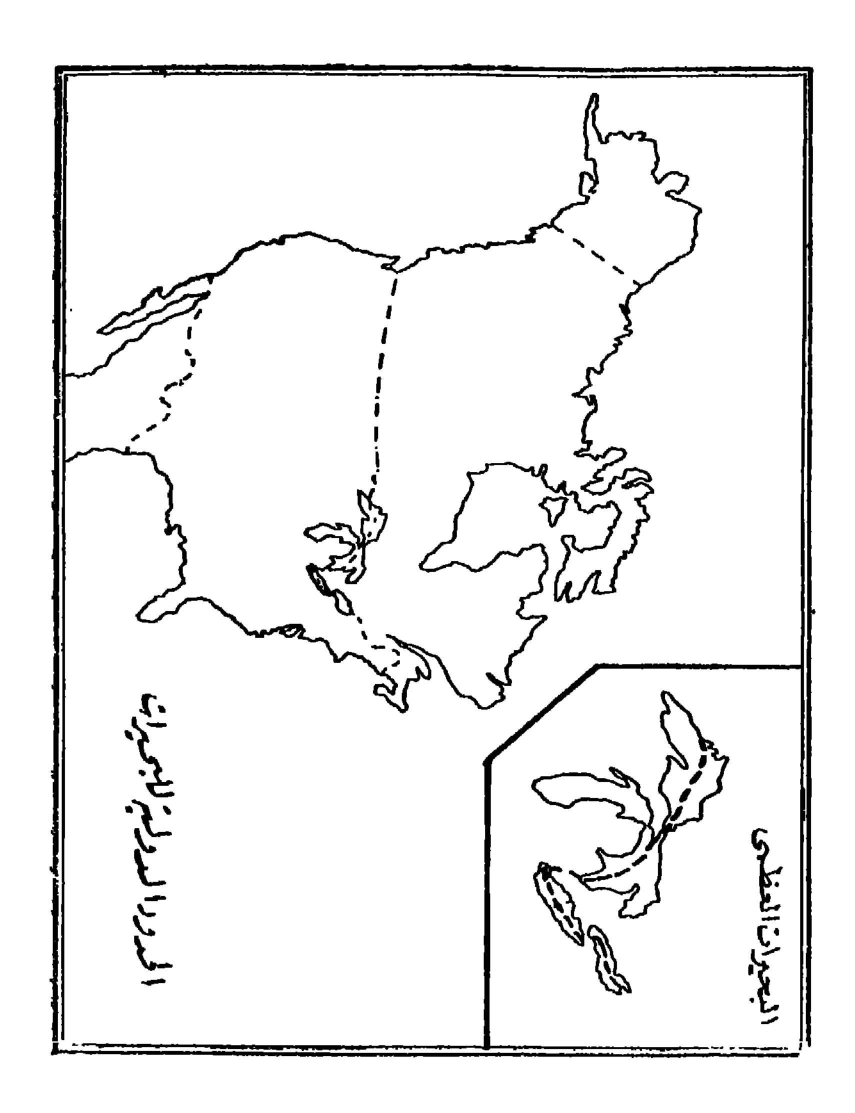
اذا اعتبرت البحيرات ظاهرة طبيعية تقوم بعامل الوصل بين الأمم ، فهل يمكن أن تقوم بدور مضاد لذلك وتفصل الشعوب بعضها عن بعض ؟ للاجابة على هذا السؤال لابد من معرفة طبيعة البحيرات وموقعها الجغرافى· ومساحتها ونوع الشـعوب التى تعيش حـولها ومدى تقدمهم الفـكرى والحضارى · فاذا كانت البحيرة واقعة فى مناطق بعيدة عن التجمع البشرى ومساحتها صغيرة للغاية ويعيش حولها قبائل بدائية لا تعرف للحدود معنى فى هذه الحالة لا تكون لهذه البحيرة أهمية كأهمية البحيرات العظمى التى تقع فى منطقة تجمع سكانى ضخم ونشاط اقتصادى وحضارى كبير تحيط بها شعوب واعية تعمل على استغلال كل امكانيات أراضيهم · من أجل ذلك كانت أهم مشكلة تواجه السياسيين هى أين توضع الحدود داخل البحيرة ؟ وقبل أن نجيب على هذه التساؤلات نطرح سؤالا هاما وهو هل هناك حاجة الى رسم وتحديد الحدود داخل البحيرات ؟ مما لا شك فيه أن هناك عدد من الحوادث التى وقعت بالفعل داخل البحيرات وخاصة بين السفن · سواء كانت تلك السفن نهرية صغيرة أم سفن محيطية كبيرة أو الاثنين معا · هذه السفن استطاعت أن تصـل الى احـدى البحيـرات الكبـرى كالبحيرات العظمى

لنقـــل المـــواد الخـــام أو المنتجـــات المصـــنعة • ففى حـــالة وقوع حادثة من الحوادث لابد من معرفة الميـاه الاقليمية لكل دولة لتقـــوم الدولة التى وقع الحادث فى مياهها باجراء التحقيقـــات اللازمة لادانة المخطىء وتعويض الآخـــر •

ومن جانب آخر فان وجود الحدود داخل البحيرات يوضـــح لمواطنى الدولتين أين تنتهى مياههم الاقليمية • فلا يقومون بصيد الأسماك الا داخـل حدودهم • وبالرغم من وجود حاجة ماسة الى تنظيم الصيد داخل البحيرات نجد أن كثرة الصيد من كلا الجانبين يقضى على الثروة السمكية تدريجيـــا حتى تنعدم فى يوم من الأيام • من أجل ذلك يصبح من الضرورى على الدول الواقعة على البحيرات تنظيم صيد الأسماك بحيث تحافظ على بقاء الثروة الطبيعية على مر العصور • وبالاضافة الى تنظيم صيد الأسماك فان الدول الصناعية الواقعة على البحيرات تواجه مشاكل قذف مخلفات المصانع الى البحيرات • هذه المخلفات غالبا ما تكون مواد كيماوية سامة تقضى عـلى الثروة السمكية داخل البحيرة • من أجل ذلك تقوم الخلافات بين الدول ولابد من وضع قوانين تمنع أصحاب المصانع من تلويث مياه البحيرات • وبالاضافة الى تنظيم الصيد وعدم تلوث المياه فان تنظيم الملاحـة وجبـــاية الضرائب على السفن المستفيدة من دخولها الى البحيرات تصبح من الأمور التى يجب أن توضع فى الاعتبار عند رسم الحدود • أما كيف ترسم الحدود فلقد قامت العديد من المشاكل بين الدول فبعضها يحاول أن تكون الحـــدود تسير مع امتداد الشواطىء بحيث تصبح مياه البحيرة فى حوزته بينما يطالب الجانب الآخر بأن تسير الحدود فى وسط البحيرة • كل هذه المشاكل واجهت اللجان التى شكلت لرسم الحدود بين الدول لقد تغلبت اللجنة الدولية المكونة من الولايات المتحدة وكندا على معظم هذه المشاكل فى رسم حدود بلديهما • ولحسن الحظ فلقد كان للنتائج التى توصلا اليها أثر طيب فى رسم بقيـــة حدود العالم المائية • لقد توصلت اللجنة الى أن ترسم شبكة من الخطوط التى تمتد بين كل زاوية من زوايا البحيرة مع مراعاة جميع التعاريج ثم تنصف تلك الخطوط • وهكذا طبقت معظم دول العالم هذا المبدأ وانتهت المشاكل بينهم • (شكل ١١) •

الحدود الدولية داخل المستنقعات :

تختلف المستنقعات عن البحيرات والأنهار فى كونها عاملا يفصل الشعوب



شكل (١١)

التى تعيش حولها · وذلك لأن لفظ مستنقع يحمل فى طياته كل معانى الضرر بصحة الانسان · من أجل ذلك عمل الانسان على التخلص من المستنقعات بكل ما أوتى من قوة وذلك بتجفيفها أو ردمها وتحويلها من اراضى يتجنب سكناها الى أراضى زراعية خصبة تمده بحاجته الضرورية من الغذاء والمواد الخام التى يقوم بتصنيعها لاستخدامها فى راحته ورفاهيته · كما تختلف المستنقعات عن البحيرات فى أنها ظاهرة طبيعية ليس لها صفة الاستقرار · فمساحة المسطحات المائية فى المستنقعات تتغير مع تغير الظروف الجوية والمناخية · فقد يزداد حجمها اذا كثرت الأمطار · وقد يقل حجمها اذا انحبست الأمطار فى سنة من السنين كما أن حجمها مرهون بتقلب الفصول ففى فصل الجفاف ينكمش حجم المستنقع بينما يتمدد اذا كثرت الأمطار وقلت نسبة المياه المتبخرة · ويختلف تأثير المستنقعات كعامل فصل بين الشعوب حسب موقعها من خط العرض وبعدها عن البحر ففى الوقت الذى تقف فيه مستنقعات تيراى Terai كحد فاصل بين قبائل الجوركا والتى تعيش فى ولاية نيبال بشمال الهند وبين الهندوس القاطنين فى سهل الكنج واليها يرجع الفضل فى احتفاظ ولاية نيبال باستقلالها الكامل الى الوقت الحاضر لم تقف المستنقعات الفنلدية فى وجه الجيوش الروسية التى اقتطعت اجزاء من شرق فنلندا · وشبيهة بذلك مستنقعات بريبت Pripet الواقعة بين روسيا وبولندا بالرغم من أنها قامت باعاقة تقدم الجيوش الروسية او بمعنى ادق فلقد قللت من سرعة العمليات الحربية أثناء تقدم الجيوش الروسية والألمانية أثناء الحرب العالمية الأولى والثانية · كما تسببت المستنقعات الواقعة جنوب روسيا والتى كانت تفصل بروسيا الشرقية عن بولندا فى هزيمة الجيوش الروسية وانتصار الألمان فى معركة تاننبرج عام ١٩١٤ م · على ان المستنقعات الواقعة فى المناطق المعتدلة تتجمد فى فصل الشتاء مما يضعف أثرها كعامل فصل بين الدول · أما تلك التى تقع قريبة من البحار والمحيطات والتى تقع فى المناطق المدارية فان تأثيرها لا يقل فى اى فصل من فصول السنة · لقد منعت المستنقعات الواقعة على دلتا نهر الراين تقدم الرومان · وحمت هولندا من جيوش الأسبان وحافظت على استقلال هولندا · كما كان للمستنقعات المنتشرة فى القارة الافريقية آثار لا يمكن اغفالها فى تاخر الكشف الجغرافى للقارة · ولمستنقعات الجزء الجنوبى من العراق تاريخ طويل فى حماية الأقليات · كما استغلت الدولة العثمانية المستنقعات العراقية للفصل بين ولاية البصرة وولاية بغداد · أما كيفية رسم الحدود داخل المستنقعات فيطبق عليها نظام الحدود بالبحيرات ·

(هـ) الحدود الدولية فى الغابات :

تتميز الغابات بأنها تحتل مناطق واسعة وظاهرة سواء على الطبيعة أو على الخريطة . من أجل ذلك اختيرت لتكون فواصل بين الدول والشعوب. وربما يرجع السبب فى اختيارها الى أنها تقف عائقا أمام حركة الجيوش السريعة . نظرا لكثافتها وتشابك أشجـــارها . وهذا ما يؤدى الى حجب الضوء داخل الغابة فتصبح الرؤية معدومة فى بعض الأوقات . وقد يترتب على عدم وصول أشعة الشمس الى داخل الغابة انتشار الأمراض والأوبئة ولجوء الحيوانات الزاحفة والمفترسة اليها . كل هذه العوامل تدفع الانسان الى تجنب مناطق الغابات لأنها خطرة على حياته وتحد من نشاطه . من أجل ذلك كانت الغابات من بين العوامل الهامة فى الفصل بين الأمم والشـــعوب لا يلجأ اليها سوى الأمم المستضعفة والمغلوبة على أمرها . لقد التجأ اليهـــا الروس فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر أمام غزو التتار . ولا يزال تلجأ اليها الشعوب والقبائل البدائية فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . لقد وقفت الغابات مانعا أمام تقدم الامبراطورية الرومانية فى أوربا ، وخاصة تلك الغابات الكثيفة التى تغطى المرتفعات كما وقفت الغابات أمام تقدم قبائل التتار والمغول القادمة من مناطق الاستبس فى وسط أوراسيا ومنعتهم من التغلغل فى غرب أوربا لأن هذه القبائل لم تتعود أن تعيش الا فى السهول . كما عرقلت غابات الآردن Ardenne تقدم الجيوش الألمانية فى بلجيكا . وكانت عاملا مساعدا للدفاع عن فرنسا أثناء الحرب العالمية الأولى . من أجل ذلك اتبعت الشعوب أساليب جديدة فى حروبها داخل الغابات . هذه الأساليب هى ما تعرف اليوم بحرب العصابات أو حرب الاستنزاف . لقد اتبع هذا الأسلوب كل من اليابان فى حربها مع القوات البريطانية والفرنسية والأمريكية ، كما اتبعتها القوات الصينية فى حرب التحرير الأهلية . والقوات الفيتنامية فى حربها ضد القوات الأمريكية فى الهند الصينية .

ان المشكلة الرئيسية التى تواجه السياسيين هى أين توضع الحدود ؟ هل توضع على حافة الغابة أم تخترقها ، وفى كلا الحالتين سوف يواجه راسمو الحدود مشاكل جمة . فالاقاليم النباتية ليس لها حدود واضحة المعالم . حيث يصعب تحديد هذا الخط سواء على الخريطة أم على الطبيعة . هذا بالاضافة الى أن مناطق الغابات دائما تساير المناطق الجبلية الوعرة وهذا ما يزيد المشكلة تعقيدا اذ يضاف الى مشكلة الحدود الغابية مشكلة الحدود الجبلية.

ومن أمثلة الحدود الغابية الحدود الفرنسية الاسبانية وحدود تشيكوسلوفاكيا الغربية والحدود بين تركيا والاتحاد السوفيتي وحدود كل من الهند وبورما والكنغو ومعظم الدول الواقعة في نطاق المناخ الاستوائي فى أرفيقيا وأمريكا الجنوبية وجنوب شرق آسيا ٠

(و) الحدود الدولية فى الصحارى :

لقد وقفت الصحارى عقبة فى طريق تقدم الجيوش وتحركاتها ولا زال لهذا العامل أثره فى العصر الحديث وخاصة اذا كانت الصحراء تفصل دولتين مختلفتين فى وسائل الدفاع والهجوم الجوى والتقنية الحديثة ٠ لقد وقفت الصحراء عائقا أمام توغل الحضارة العربية فى أفريقيا واذا كان هناك تأثير للحضارة العربية فى أفريقيا جنوب الصحراء فما هو الا تأثير محدود اقتصر على المناطق الواقعة على طرق القوافل والتى تسير فى دروب معروفة ومحدودة حيث الوديان والواحات والعيون والآبار ٠

واقتصرت الآثار العربية والاسلامية على الجهات المتاخمة لجنوب الصحراء الكبرى ولم تتوغل الى داخل القارة الافريقية ٠ ويقال أن الصحراء الكبرى قد وقفت أمام زحف المسلمين الى قلب أفريقيا ولا يعتقد الكاتب بأن ذلك بصحيح لأن الاسلام تربى وترعرع فى بيئة صحراوية ولا تعوقه الصحراء وربما يرجع السبب الى أن القوى البشرية التى حملت الاسلام الى شمال أفريقيا لم تكن كبيرة بحيث تستطيع أن تتجه نحو الشمال الى الأندلس ونحو الجنوب الى قلب القارة الافريقية لهذا اختارت التوجه نحو الشمال نحو الأندلس والى معقل المسيحيين ٠ وقد رأينا أنها لم تستطع حتى البقاء فى الأندلس نظرا لصغر حجمها ٠ وبصفة عامة تعتبر الصحارى مناطق فاصلة بين الحضارات المختلفة نظرا لعدم وجود موارد للمياه كافية لتموين الجيوش والمسافرين وأنها تفتقر الى وجود مراكز للراحة وتموين الزاد ٠ لقد فقدت الصحراء هذه المميزات فى العصر الحديث نتيجة لتقدم وسائل النقل السريعة٠ فبامكان الجيوش الغازية عبر الصحراء أن تتمون بواسطة السيارات الضخمة والمحملة بالمؤنوالمياه والتى لديها القدرة على عبور الصحراء دون الحاجة الى مراكز للتموين ٠

وهكذا فلقد فتح المستعمر الفرنسى الصحراء الكبرى واخضعها لارادته

وأصبحت نقاط الحدود الصحراوية مزودة بأحدث الأجهزة لمراقبة تحركات الجيوش المعادية من كل جانب · غير أنه رغم التقدم الحديث فلا زالت للصحارى عيوبها ، فلا تزال الصحارى مناطق مكشوفة أمام الجانبين المتحاربين فبامكان الطائرات الاستطلاعية أن تعرف خطوط سير الجيوش وسرعتها وتحدد بشيء من الدقة مناطق التقائها · وخاصة وأن مناطق العبور لا تزال محدودة ومعروفة رغم اختراع وسائل النقل التى يمكنها أن تسير فوق الرمال · ولما كان من الصعب تخطيط الحدود فى المناطق الصحراوية لعدم وجود ظاهرات طبيعية محددة يستند اليها فى تخطيط الحدود من أجل ذلك اتبع المستعمر طريقة رسم الحدود الهندسية المستقيمة والتى تتمشى مع خطوط الطول وخطوط العرض · فاذا ما رسمت الحدود على الخريطة فانه يصبح من السهل تعيينها على الطبيعة · ثم أقامت أسلاك شائكة أو خنادق مستقيمة أو علامات من البنيان على أبعاد متساوية ينتشر على طولها مراكز للمراقبة ومراكز للتفتيش الجمركى على المداخل الرئيسية · وهنا يجب ملاحظة انه اذا مرت خطوط الحدود بمراعى خصبة يرتادها الرعاة من الدولتين المتجاورتين فيصبح من المستحسن أن تترك تلك الأراضى مناطق محايدة بين الجانبين على ان يتم الاتفاق على طريقة استغلال مصادرها الاقتصادية الأخرى اذا ما ثبت وجود مصادر ثروة اقتصادية غير المراعى فيما بعد والأمثلة على الحدود الصحراوية والمناطق المحايدة كثيرة ومتعددة وأهمها بعض أجزاء من حدود المملكة العربية السعودية الشمالية مع كل من العراق والمملكة الأردنية الهاشمية · كما تتمثل الحدود الصحراوية فى جميع حدود دول شمال أفريقيا من المحيط الأطلسى غربا الى البحر الأحمر شرقا ·

ثانيا : الحدود الاصطناعية :

تستخدم الحدود الاصطناعية فى حالة عدم وجود ظاهرة من الظواهر الطبيعية يمكن الاعتماد عليها فى رسم الحدود · أو عندما تتمسك أمة من الأمم أو شعب من الشعوب بنيل استقلاله بحيث تصبح الحدود تميز أولئك الذين لا يريدون العيش مع غيرهم من الأمم والشعوب · أو عندما تمر الحدود بمنطقة من المناطق المتنازع عليها بين الدول ولا توجد أى ظاهرة من الظواهر الطبيعية أو البشرية تميز تلك المنطقة · ففى هذه الحالة توضع الحدود الاصطناعية حسب اتفاق الطرفين المتنازعين دون النظر الى الحقائق الطبيعية أو البشرية · أو عندما تكون معرفة مخططى الحدود عن الاقليم المراد تقسيمه

محدودة . كل هذه العوامل تدفع القادة السياسيين الى استخدام الحدود الاصطناعية . وبهذا يمكن تقسيم الحدود الاصطناعية الى قسمين :

١ ـ الحدود البشرية :

لقد كتب الأستاذ أريك فشر (١) لمؤتمر باريس سنة ١٩١٩ م قائلا أن اللغـة هى أهم عامل بشرى لرسم الحدود . من هذا المنطلق حدث تطور فكرى كبير فى طريقة رسم الحدود . اذ انتقل التفكير من الظاهرات الطبيعية الى التفكير فى التقسيم البشرى . ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن مسائل الشعور القومى لا يمكن قياسها بشكل دقيق . حيث لا يمكن أن تقف اللغة أو العقيدة أو الشعور القومى بالولاء الى دولة معينة عند ظاهرة من الظواهر الطبيعية الا اذا وجدت قيود تحول دون تقدمها . فمن الصعب أن نجد خطا واضحا يفصل بين شعبين متجاورين اذ تختلط الشعوب بعضها مع البعض الآخر فى مناطق الحدود . الا اذا لجأت الدولة الى تبادل الأقليات حتى لا يقتطع جزء من أراضيها كما حدث بين تركيا واليونان وبلغاريا سنة ١٩٢٣ م أو لجأت الى طريقة التهجير القسرى للاقليات كما حدث بالنسبة للالمان فى كل من بولندا وتشيكوسلوفاكيا بعد الحرب العالمية الثانية .

ان معاهدة باريس لعام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ م قد نصت على أن تكون الحدود بعد الحرب العالمية الأولى متمشية والتقسيمات البشرية . غير أن نجـــاح هذا النوع من الحدود لم يكن تاما . حقيقة أن جميع الدول القومية تهدف الى أن تكون حدودها شاملة لأبناء جنسها وأن تستبعد الأجناس الأخرى ، الا أنه من الصعب فصل الشعوب بعضها عن البعض الآخر ، الا فى ظروف خاصة أهمها أن يكون تخطيط الحدود سابقا لسكنى الاقليم كالحدود بين الولايات المتحدة وكندا ، أو أن يكون قد مضى على رسم الحدود مدة طويلة تسمح للشعبين بالاستقرار والتكيف كالحدود بين سويسرا من جانب وبين فرنسا والمانيا وايطاليا من جانب آخر ، أو أن تكون الحدود متمشية مـــع حواجز طبيعية تعوق اختلاط الشعوب كجبال الهملايا مثلا والتى تفصل بين الشعب الهندى والشعب الصينى ، أو أن يكون الأساس الأول والرئيسى فى

---

1. Eric Fischer "On Boundaries" World Politics. Vol. 1 (1948-1949) p.169.

رسم الحدود هو التقسيم البشرى أو اللغوى أو العقائدى وأن يكون لدى الطرفين الرغبة الأكيدة فى الانفصال ، وفى هذه الحالة تصبح الحدود البشرية عبارة عن خطوط تفصل الوحدات السياسية القومية بعضها عن البعض الآخر غير أنه من الصعب فصل الشعوب فصلا تاما . وفى هذه الحالة فان افضل الحدود هى تلك التى تفصل بين الغالبية العظمى لكلا من الشعبين على جانبى الحدود فمثلا الحدود بين ألمانيا والدانمرك قد وضعت نتيجة استفتاء شلزفيج Schleswig بحيث تركت بعض الأقليات الدنمركية البسيطة فى ألمانيا كما تركت بعض الأقليات الألمانية البسيطة فى الدنيمرك . كذلك الحال بالنسبة للحدود بين الهند والباكستان حيث توجد بعض الأقليات المسلمة فى الهند كما توجد بعض الأقليات الهندوسية فى الباكستان .

ويواجه راسمى الحدود البشرية العديد من المشاكل فى رسمهم للحدود البشرية . فمثلا هناك اعتبارات اقتصادية يجب أن تؤخذ فى الحسبان . لأن الجنس البشرى أيا كانت قوميته يعتمد على موارد الثروة الطبيعية فى حياته المعيشية فمثلا وجود منطقة مليئة بالثروة الاقتصادية كالفحم أو الحديد أو البترول او مورد من موارد القوى المائية أو أسواق تجارية ، كل هذه العوامل وغيرها تؤثر على سير الحدود البشرية . لقد واجه واضعى الحدود البشرية بعد الحرب العالمية الأولى مشاكل عديدة أهمها تقسيم اقليم سليزيا بين كل من ألمانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا . كما كان مراعاة الأمور الاقتصادية عندما تأسست تشيكوسلوفاكيا سببا فى جعل الحلفاء يضمون اليها أراضى تختلط فيها العناصر المجرية . وهذا ما خلق شعورا بالعداء بين الدولة الناشئة الجديدة وبين جمهورية المجر . وكذلك الحال بالنسبة الى رومانيا حيث ضمت اليها بعض العناصر المجرية فى اقليم الترانسلفانيا . والأمثلة فى هذا المجال كثيرة للدول التى ضمت اليها عناصر أجنبية فى سبيل الحصول على موارد للثروة الاقتصادية .

لقد سيطر على تفكير قادة العالم بعد الحرب العالمية الأولى والثانية فكرة القومية من أجل ذلك روعى أن تكون الحدود البشرية متمشية والشعور القومى للشعوب . فلقيام وحدة سياسية قومية كان لا بد أن يكون هناك أكثر من اعتبار واحد أهمها الفوارق اللغوية لأن اللغة هى وسيلة التفاهم والتخاطب . فهى الأساس الأول فى تطور القومية ونموها . وبها ينتشر

الوعى القومى بين الأفراد ٠ فاللغة مثلا هى وسيلة التفاهم بين الدول العربية من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى رغم اختلاف اللهجات بين أجزاء هذا الوطن الشاسع ٠ واللغة الانجليزية هى وسيلة التخاطب بين الولايات الهندية وعليها تقوم وحدة الهند حيث يصعب معرفة جميع اللغات المنتشرة فى الهند ٠

أما العامل الثانى فى قيام الوحدة السياسية فهو وحدة العقيدة وخير مثل يمكن أن يذكر فى هذا المقام هو تقسيم القارة الهندية الى كل من الهند والباكستان على أسس دينية ٠ كما أن توحيد الجزيرة العربية تحت قيادة جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود كان مبنيا على أسس دينية ٠ ويمكن أن يضاف الى هذه الدول ادعاء دولة الاحتلال الاسرائيلى لأراضى فلسطين بأنها تنوى انشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ٠ فالدين عامل من العوامل القوية التى تسيطر على شعور الشعوب وتجعل منهم أمة قوية متماسكة ٠

ثم هناك عوامل عديدة أخرى تجذب المجموعات البشرية الى تكوين وحدة بشرية وهى أن تكون الحدود بينها وبين جيرانها حدودا بشرية مثل الاشتراك فى النشأة التاريخية ووحدة التقاليد والمصلحة المشتركة والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها قيام الاتحاد السويسرى من أقاليم تضم لغات مختلفة وعقائد متعددة ٠ وبقاء الجمهورية اللبنانية بالرغم من اختلاف الوحدات العقائدية ٠ فالشعب اللبنانى يتكون من مسلمين ومسيحيين ٠ غير أن هذه العوامل الأخيرة يمكن اعتبارها عوامل مساعدة لعاملى اللغة والدين اذا ما أريد تخطيط حدود دولية معينة على أسس بشرية وقومية ٠ فالحدود البشرية المثالية يجب أن لا ينظر اليها من ناحية هذه العوامل فقط وانما يراعى فى رسمها وتخطيطها اعتبارات أخرى كالمساحة والموارد الاقتصادية ومدى كفايتها للسكان ووسائل النقل والاتصالات الخارجية وغيرها ٠

٢ ـ الحدود الهندسية والفلكية :

فى حالة غياب الظاهرات الطبيعية فى منطقة الحدود فان الحدود الهندسية والفلكية تأخذ مكانها ٠ وهى عبارة عن خطوط مستقيمة أو أقواس

أو أجزاء من دوائر ترسم على الخرائط وتوقع على الطبيعـــة · ويمكن تقسيمها الى اربعة اقسام :

١ — حدود تسير مع خطوط الطول والعرض ·

٢ — حدود ترسم بين نقطتين معلومتين على الخريطة والطبيعة بحيث لا يشترط أن تسير فى اتجاه خطوط الطول أو العرض ·

٣ — حدود تكون على شكل اقواس او اجزاء من الدائرة تكون مركزها نقطة معلومة على الطبيعة والخريطة ·

٤ — حدود تسير على أبعاد متساوية منظاهرة طبيعية كنهر أو شاطىء أو سلسلة جبلية ·

ويتميز هذا النوع من الحدود بأنه لا يراعى فى رسمه فى معظم الأحيان الظواهر الطبيعية أو الخلافات البشرية · وغالبا ما نجد هذا النـــوع من الحدود فى المناطق الخالية من السكان وقت رسم الحدود كالاقاليم التى لم يتم كشفها أو التى لا زالت المعلومات عنها ضئيلة ، وكذلك فى الجهـــات القليلة الأهمية من الناحية الاقتصادية والاستراتيجية ، والجهات التى مازال الشعور القومى غير واضح بها ، ونجد هذا النوع من الحدود فى الجهـــات التى وقعت تحت سيطرة الاستعمار بحيث رسمت الحدود بناء على رغبـــة ومصالح المستعمر وليست وفق رغبة ومصالح الشعب القاطن فى تلك المناطق وخير مثال للنوع الأول هو القارات الحديثة الاستيطان كالقـــارة الأمريكية واستراليا · وقد استخدمت الحدود الهندسية والفلكية لأول مرة عام ١٤٨١ م حينما قام البابا بتقسيم العالم الجديد بين اسبانيا والبرتغال · ثم عدل هذا التقسيم عام ١٤٩٤ م بمعاهدة تورديسيلاس Tordesilas · بحيث تتمشى مع خط يسير على بعد ٣٧٠ فرســـــخ غرب جزيرة الرأس الأخضر Cape Verd Island أو خط طول ٥٣٧ غربا · أما أول حدود فلكية تسير مع خطوط العرض فقد كانت بين الولايات المتحدة والممتلكات الأسبانية عام ١٧٩٥ م حيث سارت شمال ولاية فلوريدا · ومن الملاحظ أن الحدود الهندسية والفلكية من أسهل أنواع الحدود تحديدا سواء كان ذلكعلى الخرائط

أم على الطبيعة وخاصة بعد اختراع أجهزة المساحة الحديثة · غير أنه لا يفوتنا أن نلاحظ أن هذه الحدود تدل على جهل السياسيين الذين يخططون الحدود على موائد المؤتمرات بطبيعة الأراضى التى تخترقها هذه الحدود · فاذا كانت الحدود الهندسية والفلكية تقل مشاكلها فى الأقاليم الصحراوية أو الرعوية الفقيرة أو مناطق الغابات الكثيفة أو الجبال العالية والوعرة فان مشاكلها تكثر وتتفاقم فى الجهات المكتظة بالسكان أو المناطق ذات الأهمية الاقتصادية · فأحيانا نجدها تتعارض مع ترابط الناس وتعاطفهم وتمزق وحدة الدولة الواحدة بتقسيمها الى دويلات رغم ارادة الشعوب كما حدث بالنسبة لمنطقة الشرق الأوسط حينما قسمت بين فرنسا وانجلترا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى · وأحيانا تفصل المزارع عن مزرعته والراعى عن مرعاه وأحيانا تقسم القرية الواحدة بين وحدتين سياسيتين بحيث يصبح الوالد فى دولة والأبناء فى دولة أخرى · فالحدود الهندسية والفلكية لا تصلح أن تسير فى المناطق المكتظة بالسكان والتى لها تراث تاريخى طويل · ولن يكون لهذا النوع من الحدود أهمية الا فى المناطق غير المأهولة بالسكان تماما · لقد لوحظ فى العصر الحديث أخطاء الحدود الهندسية والفلكية ·فتكونت اللجان لتعيد النظر فى فصل المجتمعات الانسانية والمراكز الاقتصادية · ومن أمثلة الحدود الفلكية والهندسية :

(أ) خطوط تسير مع خطوط الطول مثل الحدود الشرقية لأفريقيا الجنوبية الغربية والحدود الشرقية لولاية ألاسكا ومعظم الولايات الاسترالية ·

(ب) حدود تسير مع خطوط العرض مثل الحدود بين الولايات المتحدة ، وكندا والحدود بين الولايات المتحدة والمكسيك والحدود بين جمهورية مصر العربية والسودان وغيرها ·

(ج) حدود مستقيمة لا تتمشى مع خطوط الطول أو العرض مثل بعض الحدود بين المملكة العربية السعودية من جانب والمملكة الاردنية الهاشمية والعراق والكويت من جانب آخر الحدود الأردنية العراقية ، والحدود

الأردنية السورية والحدود العراقية السورية والحدود الجنوبيـــــة للجزائر ٠

معظم هذه الحدود ليست بالحدود المثالية ٠اذا فما هى الحدود المثالية؟ يمكن القول بصفة عامة بأن « الحدود المثـــالية هى تلك التى تفصل الدول والشعوب أو الأمم بعضها عن البعض الآخر فصلا تاما بحيث لا تترك ثغرة تهاجم منها الدولة وفى نفس الوقت تساعد الدولة على حماية نفسها » ٠

الفصل الخامس

السكان

أن مشكلة السكان هى أهم المشاكل التى تواجهها الدول فى جميع العصور لأن للانسان آثار قوية على بيئته فهو الذى يقوم بجميع العمليات الاقتصادية كالانتاج والتوزيع والاستهلاك وهو الذى يحتل الجزء الأكبر من سطح الأرض يستغل موارده ويسخره لارادته فى سد مطالب حياته الأولية ولرفاهيته ٠ من أجل ذلك جاءت أهمية معرفة عدد السكان فى كل جزء من أجزاء العالم نظرا لأن هذا العالم أخذ يزدحم بما عليه من البشر ٠ غير أن معرفة العدد لوحده لا يكفى لأن هناك كثيرا من الاعتبارات التى يجب أن ندخلها فى تقديراتنا ٠ فمن الناحية العددية لا يهمنا أن يكون سكان الصين وعددهم ٧٨٠ مليون نسمة أكثر أهمية للعالم وللاقتصاد العالمى من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا والاتحاد السوفيتى بالرغم من أن عدد هؤلاء جميعا لا يصل الى عدد سكان الصين ٠ لقد اهتم بمشاكل السكان الاقدمون كاليونان والرومان والعرب ٠ غير أن مشكلة السكان لم تأخذ الشكل الجدى الا عندما سلط « مالتس » الضوء على مستقبل العالم وما سوف يصل اليه من تكاثر وعدم توازن بين عددهم وطاقاتهم الانتاجية مما قد يقود المجتمعات الى خوض حروب دائمة ٠ فمنذ ذلك الوقت أخذت الهيئات الدولية وخاصة منظمة الأمم المتحدة على عاتقها مراقبة التزايد السكانى وايجاد الحلول اللازمة له لرفع مستوى المعيشة للملايين المتزايدة كل يوم ولرفع أخطار الحروب والكوارث التى قد تحل بالبشرية ٠

وفى السطور التالية سنحاول أن نراقب ما وصل اليه العالم منذ أن ظهر انذار « مالتس » وما نتوقع أن يكون عليه فى المستقبل القريب باذن الله٠

تطور سكان العالم :

لقد تطور سكان العالم فى السنين الأخيرة تطورا سريعا وخاصة خلال القرون القليلة الماضية ، ومعلوماتنا عن سكان العالم فيما قبل القرن السابع عشر قليلة أن لم تكن معدومة وكل ما نعتمد عليه فى تقديرنا لعدد السكان هو المقارنة والاستنتاج معتمدين على كتب التاريخ ونتائج علم الآثار وعلم الانثروبولوجى ٠ ومن المتفق عليه بأن سكان العالم قبل عام ١٦٥٠ م كانوا

يعيشون فى اعداد قليلة وينتشرون فى أرجاء المعمورة ٠ غير ان عدد الذين يعملون فى الزراعة الكثيفة كانوا اكثر من عدد الذين كانوا يعملون فى الزراعة البدائية أو الرعى البدائى أو الجمع والالتقاط ٠ اما بعد عام ١٦٥٠ فقد ازدادت أعدادهم بنسب أكبر حيث تضاعف عدد السكان ما بين عام ١٦٥٠ وعام ١٨٥٠ م كما تضاعف عددهم أيضا ما بين عام ١٨٥٠ م وعام ١٩٢٠ م وهكذا أخذ سكان العالم فى زيادة مضطردة حتى وصلوا الى حوالى ١٥٠٠ مليون نسمة فى أوائل القرن العشرين ثم الى ٢٤٠٠ مليون نسمة عام ١٩٥٠ م والى ٤٣٤٠ مليون نسمة عام ١٩٦٦ م واخيرا وصل الى ٣٦٣٠ مليون نسمة فى منتصف عام ١٩٧٠ والى قرابة ٢٧٠٦ مليون عام ١٩٧٢ (شكل ١٢) ٠

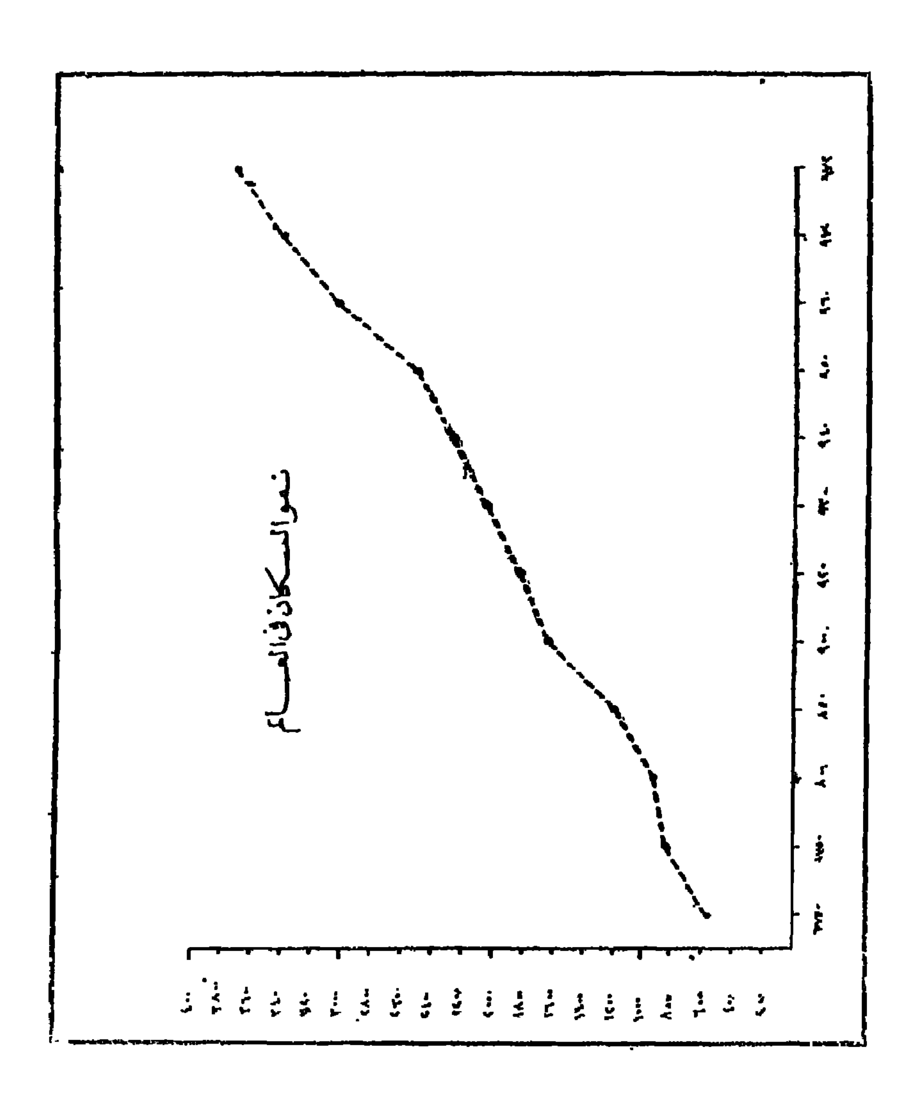
لقد قامت دراسات عدة لمعرفة تطور السكان منذ عام ١٦٥٠ م اهمها دراسات منظمة الأمم المتحدة والتى يمكن تلخيصها فى الجدول التالى : (١)

السنة	عدد السكان بالمليون	السنة	عدد السكان بالمليون
١٦٥٠	٤٦٥	١٩٤٠	٢٠١٥
١٧٥٠	٨٣٦	١٩٣٠	٢٢٤١
١٨٠٠	٦٦٠	١٩٥٠	٢٥٠٩
١٨٥٠	١٠٠٨	١٩٦٠	٣٠٠٨
١٩٠٠	١٥٥١	١٩٧٠	٣٦٣١
١٩٢٠	١٨١١	١٩٧٢	٢٧٠٦

أن الزيادة الطبيعية فى هذه السنين قد تعدت المعقول ، فاذا أخذ العالم فى الاستمرار على هذه الزيادة فان سكان العالم سوف يزدادون سنة تضاف فى خلال مائة عام ٠ غير أن تقارير منظمة هيئة الأمم المتحدة تشير على

---

1. U.N.Demographic Vear Book. different issues and Luman H. Long ed. "The World Almonac News Paper Enterprise Association," Inc. New York 1972-1973, p.198. and N.J.G. Pounds. "Political Geography Mc Graw-Hill Company", Inc. New York, 1963, p.117.



شكل (١٢)

أن عدد سكان العالم سوف يتراوح بين ٥٠٠٠ ـ ٧٠٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ م ٠

من الاحصائية السابقة نلاحظ أن الزيادة السريعة فى عدد السكان قد حصلت فى القرنين التاسع عشر والعشرين ٠ وتدل الاحصاءات التفصيلية على أن الزيادة خلال القرن التاسع عشر قد تركزت فى قارة أوروبا نتيجة للثورة الصناعية ولكن لم يأت القرن العشرين حتى قلت نسبة الزيادة وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن الشعب الأوربى قد اعتنق فكرة تحديد النسل والاحتفاظ بالأسرة الصغيرة رغبة فى الاحتفاظ بمستوى معيشى مرتفع ٠ هذه الظاهرة غالبا ما تصاحب التقدم الاقتصادى وانتشار التعليم ٠ أما خارج الولايات المتحدة وكندا وأوروبا وأستراليا ونيوزيلندا فقد بلغت الزيادة نسبة عالية وهى لا زالت مرتفعة وخاصة فى الهند والصين واليابان والاتحاد السوفيتى والشرق الأوسط وبعض دول أفريقيا ودول أمريكا اللاتينية وربما يرجع السبب فى ذلك الى انتشار الفقر والجهل وكونهم يعيشون فى مستوى معيشى منخفض ٠ وتشير الدلائل على أن سبب الزيادة الكبيرة فى سكان العالم ترجع فى المقام الأول الى قدرة الانسان فى التغلب على كثير من أسباب الموت والهلاك ، أى أن تقدم المستوى الصحى بشكل واضح قد أدى الى التغلب على انخفاض نسبة الوفيات وهذا بدوره قد أطال من عمر الأفراد ففى بريطانيا مثلا ارتفع أمد الحياة من ٣٣ سنة الى ٥١ سنة فى مدة ثمانية أعوام قبيل الحرب العالمية الثانية بينما وصل أمد الحياة فى السويد الى حوالى ٧٦ عاما ، أما بالنسبة لجزيرة سيلان فان مقاومة الطب لمرض الملاريا قد قلل من نسبة الوفيات من ٢٢ الى ١٠ لكل ألف من السكان ٠ وهنا يجب أن لا ننسى أن التقدم الصحى وحده لا يكفى لانخفاض نسبة الوفيات فلابد وأن يصاحبه تقدم اقتصادى وحضارى وهذا يعنى زيادة ما تنتجه الأرض وانتشار التعليم وتقدم العلوم والمعارف ٠ أى تقدم القدرة على مكافحة الأوبئة وعلى تغيير العادات والتقاليد القديمة ٠ ان تقدم الدولة يعنى تحويل اقتصادها من الزراعة الى الصناعة وهذا يؤدى الى زيادة السكان زيادة نسبية لأن الصناعة توفر ثروات كبيرة تسمح بتوفير المواد وبناء المدارس ، والمستشفيات ومقاومة الأمراض والأوبئة وتحسين طرق المواصلات ٠٠ الخ ٠ فالزيادة فى عدد السكان لا تعنى فى جميع الظروف زيادة الأهمية الاقتصادية للدولة بل ربما يكون العكس هو الصحيح ، ولا تكون الزيادة نافعة الا فى الظروف التى يترتب عليها زيادة فى الانتاج وزيادة فى نسبة ما يخص الفرد من هذا

الانتاج ، ولكن يمكن القول بصفة عامة بأن التضخم السكانى قد يزيد شأن الأمة فى الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية ٠ فمعظم الدول الكبرى كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين تعتبر قوة خطيرة فى العالم لما بها من سكان يضيفون الى قوتهم العسكرية قدرتهم الاستهلاكية والانتاجية معا ٠ قد لا يكون ذلك صحيحا فى الدول التى يتجاوز فيها عدد السكان الحد المناسب بحيث تنخفض القدرة الشرائية للأفراد نظرا لانخفاض نسبة ما يخص الفرد من الانتاج ولكن حتى فى هذه الجهات فقد يؤدى استخدام الوسائل العلمية الحديثة الى تغيير شامل فى الأوضاع الاقتصادية وهذا ما حدث فعلا بالنسبة لاقليم نيوانجلند شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية والذى تدهورت فيه الزراعة نتيجة لعدم قدرتها على منافسة مزارع الولايات المتحدة الوسطى والغربية والتى تتميز بعوامل عديدة تجعل الانتاج أكثر ربحا من أجل ذلك أخذ سكان نيوانجلند يبحثون عن وسائل جديدة للانتاج كانت أهمهما أن تحولت المنطقة بكاملها من انتاج المحصولات الحقلية كالحبوب الى انتاج الفواكه ومستخرجات الألبان ٠

الحد الأمثل للسكان :

ليس من السهل معرفة العدد المناسب من السكان لمنطقة من المناطق أو لدولة من الدول لأن احتمال استمرار زيادة الانتاج يجعل تحديد عدد معين من السكان لمنطقة محدودة من العالم أمرا عسيرا أن لم يكن مستحيلا ٠ فقدرة الدولة على تحمل عدد معين من الناس يتوقف على مدى استغلال أولئك الناس لجميع مصادر الثروة الكامنة فى تلك الدولة ٠ ولكن هناك حقيقة يجب أن نعترف بها وهى أن بعض الدول غنية بمواردها الاقتصادية ولكنها فقيرة فى سكانها وهذا ما يجعلهم عاجزين عن استغلال موارد بلادهم الاستغلال الكافى ٠ وفى نفس الوقت الذى تقاسى فيه بعض الدول قلة فى سكانها وكثرة فى مواردها الاقتصادية تشتكى دول أخرى اكتظاظ سكانها لدرجة أن أصبحت الموارد الطبيعية لا تكفى حاجات السكان الضرورية ٠ وهنا يجب أن نتسائل متى يمكن اعتبار عدد السكان فى منطقة من المناطق أو دولة من الدول ملائما لموارده الطبيعية أو بمعنى آخر كيف يكون فى دولة من الدول كفايتها من السكان ؟ فى الواقع لا توجد اجابة محددة لمعرفة ما اذا كانت الدولة مكتظة بالسكان أو أنها قليلة فى سكانها أو أنها تتميز بالعدد المناسب لطاقتها الانتاجية ٠ لقد حاولت منظمة الأمم المتحدة أن تضع مقاييس تفرق

بين هذه الاتجاهات المختلفة من سكان العالم فاعتمدت على متوسط دخل الفرد كما اعتمدت على مستوى التوظيف أو البطالة فى الدول بالاضافة الى حجم واتجاه الهجرات ونظام الاستهلاك ومتوسط الحياة والتغييرات التى تطـرأ على التجارة الدولية والازدحام السكانى فى العالم ٠

غير أن كل هذه الوسائل لم تعط نتائج ايجابية نظرا لاختلاف المميزات والمساوىء الاقتصادية والحضارية والثقافية ٠ حتى بالنســـبة للزمن فان ما نراه حدا مناسبا اليوم قد لا يكون مناسبا غدا أو بعد غد ٠ لأن تحركات السكان والتقدم التكنولوجى الحديث تصبح مسئولة عن التغيرات التى تطرأ على نسبة عدد السكان الى نسبة الطاقة الانتاجية للدولة ٠ غير اننا يجب أن نلاحظ هنا بأن التقدم العلمى لا يمكن تطبيقه فى جميع جهات العالم فى وقت واحد ٠

اذا ما هو الحد الأمثل للسكان فى دولة ما وفى زمن معين ؟ لقد اختلف العلماء فى الطريقة التى يمكن اتباعها لايجاد الحد الأمثل للسكان لأن ذلك سوف يقود الى دراسة عوامل كثيرة ومتداخلة منها عدد السكان ومستواهم المعيشى والحضارى وتقدمهم العلمى والادارى بالاضافة الى المســاحة التى يعيشون عليها وكمية مصادر الثروة الطبيعية ونوعيتها والظروف الطبيعية التى تسود البلاد ويمكن أن يضاف الى ذلك المصادر التى يمكن أن يضيفوها الى مواردهم من خارج البلاد وهكذا ٠ فقد يعتقد البعض أن الحد الأمثل للسكان هو ارتفاع مستوى المعيشة أو عدم وجود بطالة فى البلاد أو الزيادة فى ثروات البلاد ، غير أن هذه جميعا لا تعطينا الطريقة السليمة لمعرفة الحد الأمثل ٠

أن أحسن الدراسات التى قامت لتحديد الحد الأمثل للسكان هى تلك التى اعتمد فيها على الحد الأقصى لدخل الفرد ٠ فلقد اقترح الأســـتاذ « كارساوندر » (١) مقياسا لتحديد الحد الأمثل للسكان معتمدا على دخل الفرد فاذا كان دخل الفرد آخذ فى الزيادة المستمرة كلما زاد عدد السكان فان هذا دليلا على أن الدولة فقيرة فى سكانهـــا Under Populated وهذه يمكن تعريفها بأنها تلك الدول التى تتميز بأعداد قليلة من السكان بحيث

1. Carr Saunder "World Population" Oxford University Press. New York, 1938.

لا يستطيعون أن يستغلوا مصادر الثروة فيها وهذا دليل على أن البلاد فى حاجة الى المزيد من السكان . أما اذا وصل دخل الفرد بالنسبة الى زيادة السكان الى حالة استقرار وأن أى زيادة فى عدد السكان سوف يترتب عليها انخفاض فى دخل الفرد ففى هذه الحالة تستطيع أن تقول بأن هذه الدولة قد وصلت الحد الأمثل للسكان وأنها قد وصلت الى درجة التشبع وليس من مصلحتها أن يزيد عدد سكانها بعد ذلك . أما اذا أخذ دخل الفرد فى التناقص بعد ذلك فيمكن تعريف هذه الدولة بأنها مكتظة بالسكان Over Populated وهذه يمكن تعريفها بأنها تلك الدول التى وصل عدد سكانها الى أكثر من طاقتها الانتاجية وتحدث نتيجة لعدم تطور القدرة الانتاجية بنفس النسبة التى يزداد بها عدد السكان أو بمعنى آخر قد تكون الدولة مكتظة بالسكان اما نتيجة للزيادة فى عدد السكان أو انخفاض فى مصادر الثروة أى أن الدولة أصبحت تحتوى على أعداد من السكان أكثر مما تطيق . وهنا نتساءل مرة أخرى كم من السكان يشترط وجوده فى الميل المربع الواحد حتى تعتبر الدولة مكتظة بالسكان ؟ أو أنها وصلت الى الحد الأقصى للسكان . فى الواقع لا توجد اجابة محددة على هذا السؤال . فالحد الأقصى للسكان هو ذلك العدد من السكان الذى تصل اليه الدولة بحيث لا تستطيع أن تمدهم بالانتاج دون أن ينخفض مستوى المعيشة فى الدولة والتى يبذل سكانها كل جهودهم فى استغلال مواردها ومع ذلك لاتتيسر لهم الحياة على مستوى معقول . فاذا كانت الدولة فى منطقة صحراوية مثلا ولا يستطيع الميل المربع الواحد أن يعول أكثر من اثنين من الرعاة فان اضافة راع ثالث اليها يعتبر أكثر مما تتحمله موارد البلاد وعلى العكس من ذلك الدول التى تقع فى المناطق الصناعية اذ تبلغ كثافة سكانها ألف نسمة للميل المربع الواحد ولكن مصانعها لا تزال فى حاجة الى المزيد من الأيدى العاملة فهى بهذا لا تزال فقيرة فى سكانها وهذا يقودنا الى القول بأن أمثل السكان لمنطقة ما أو لدولة ما لا يقوم على أساس العدد المطلق بقدر ما يكون قائما على متوسط دخل الفرد ووصوله الى أعلى مستوى يمكن الحصول عليه أو بمعنى آخر فان أمثل السكان فى دولة ما هو ذلك العدد من السكان الذى يجعل كمية الانتاج لكل فرد من الأفراد أكبر مما تكون (شكل ١٣) .

توازن السكان والطاقة الانتاجية :

هذه العلاقة تتوقف الى حد بعيد على مقدار الزيادة التى سوف يشاهدها

هذه العلاقة تتوقف الى حد بعيد على مقدار الزيادة التى سوف يشـــاهدها العالم فى عدد الأفواه التى تتطلب الغذاء من عام الى آخر ومدى التقدم الذى سوف تحرزه البشرية فى زيادة طاقاتها الانتاجية ٠ يفترض خبراء الأمم المتحدة بأن سكان العالم سوف يتقارب من ٤٠٠٠ مليون نسمة لعام ١٩٨٠ والى ٧٠٠٠ مليون نسمة عام ٢٠٠٠ ميلادى فاذا صح هذا التقدير فلا شك أن مطالب العالم سوف تزداد وتتغير ٠ فاذا كان أجدادنا السابقون كانوا يستخدمون الجمال فى تنقلاتهم فان هذه الوسيلة أصبحت محدودة الاستخدام فى هذه السنين ٠ ويعتقد الكثير بأن الجمل فى طريقه الى الانقراض مثـل سائر الحيوانات المنقرضة واذا وجد فلربما نجده فى حدائق الحيوانات فقط فلا يصبح له مكان فى المدن الكبرى بل وحتى الصغرى ٠ قد يصبح الجمل من وسائل الترفيه والرياضة ولكن وظيفته الرئيسية والتى كان يتمتع بها فى الماضى كوسيلة من أهم وسائل المواصلات قد تتلاشى ٠

أن سكان العالم يتجهون نحو التقدم والمدنية وهذا ما يجعل الطلب على المواد الغذائية وغيرها يرتفع سنة بعد أخرى فاذا كان استهلاك الفرد الأمريكى يتقارب من ٣٢٤٠ سعرا حراريا وأن زميله فى جنوب شرق آسيا لا يستطيع الحصول على أكثر من ٢٢٢٠ سعرا فما ذلك الا نتيجة لعدم التوازن بين عدد السكان والموارد ٠ وهنا قد يجد بعض أنصار نظرية « مالتس » بعض الأدلة لينذروا العالم بأنهم اذا أرادوا أن لا تسوء حالتهم الاقتصادية ويتعرضـــوا للشرور الاجتماعية كانتشار البطالة وانخفاض مستوى المعيشـــة والتعرض لفتك الأوبئة والمجاعات فعليهم وقف تيار الزيادة ٠ هذا بالنسبة للســـكان أما بالنسبة للموارد فقد ظهر العديد من النشرات وخاصة تلك التى تصدرها منظمة الأمم المتحدة والعديد من الكتب التى تقيم تطور موارد العالم مثـل كتاب سكان العالم وموارده المستغلة (١) وكتاب القدرة الاستيعابيـــــــة للأرض (٢) كل هذه المؤلفات تحمل تقديرات مختلفة من طاقة الأرض ومقدرتها على استيعاب البشر لسد حاجة الأفواه المتزايدة كل يوم ففى الثلاثينـــــات افترض الأستاذ « أم ٠ م ايست » (٣) بأن كوكبنا هذا يمكن أن يمد ٥ر٢

---

1. W. S. and E. S. Woytinsisy "World Puplation and Production" The Twenteith Century Fund. New York, 1953, p.260.
2. L. D. Stamp "Land for Tomorrow" Indiana University Press. Bloomington, Indiana, 1952.

(٣) ترجمة خليل حسن خليل « السكان والسياســـات الدولية » مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٣ صفحة ٦٥ ٠

مليون نسمة معتمدا فى ذلك على انه بالامكان زيادة المساحة الزراعية الى ١٣ بليون فدان وبهذا يصبح لكل فرد حوالى ٥ر٢ فدان لغذائه فهو بهذا يعتبر طاقة العالم هى ٥ر٢ بليون نسمة ولم يأخذ فى حسابه مصـــــادر التغذية المستخرجة من البحر ٠ لقد افترض الأستاذ أيست فى تقديره بأن ســكان العالم سوف يعيشون بالمستوى الذى كان يعيش فيه فلاحو أوربا الغربية فى ذلك الوقت ٠

أما فى عام ١٩٤٠ م فلقد نشر بحث للأستاذين « ف ٠ أبيرســــون » و « أهارير » (١) مقدرين الطاقة الانتاجية للارض ومدى استيعابهم للمزيد من البشر حسب مستويات المعيشة فى ذلك العام ولقد افترض الأستاذان بأن طاقة الأرض الانتاجية يمكن أن تعول ٨ر٢ بليون نسمة حسب مستوى المعيشة الموجود فى آسيا و ١ر٢ بليون نسمة حسب مستوى معيشة أوربا و ٩٠٠ مليون نسمة وفقا لمستوى معيشة أمريكا الشمالية ، فهما بهذا وزعا المنتجات الغذائية على المستويات المختلفة للعالم ٠ وتلى ذلك عدد من التقديرات فمثلا قدر « ا٠ بنك » طاقة الأرض (٢) بحوالى ١٦ بليون وقدرها «ا٠ف٠ ويجمان» بحوالى ٣٠ بليون ، وهكذا ولقد روعى فى هذه التقديرات الجمع بين زيادة مساحة الأرض وحسن استخدامها وخاصة فى المناطق الاستوائية والتى لم تستغل الاستغلال اللازم فى كل من أمريكا الجنوبية وأفريقيا وبعض أجزاء من آسيا كما روعى أيضا تحويل الصحارى الى مناطق زراعية والاستفادة من جميع الأراضى التى يمكن زراعتها كالأرض غير المســـتخدمة والأراضى التى تستخدم استخداما غير ملائما ٠

أن مشكلة التوازن بين السكان والطاقة الانتاجية فى الواقع تعتبر من أعقد المشاكل التى تواجه العالم منذ القرن التاسع عشر ٠ فلقد أصبحت بعض الدول مكتظة بسكانها حتى أصبح الفقر هو المظهر الاقتصادى لها وأصبحت تتعرض للمجاعات والكوارث الاجتماعية والخلقية نتيجة لعدم قدرة الفرد الحصول على دخل كاف ٠ لذا رأى بعض العلماء أنه يمكن حل هذه المشكلة باحدى طريقتين وهى اما أن ترفع الطاقة الانتاجية اللازمة للأرض واما أن نقلل من عدد السكان ٠

---

(٤) المرجع السابق صفحة ٦٥ ٠

(٢) المرجع السابق صفحة ٦٦ ٠

١ - رفع الطاقة الانتاجية :

أما بالنسبة للحل الأول فيمكن تحقيقه بعدة طرق اهمها أن العالم يضيف معلومات جديدة الى المعرفة الانسانية كل يوم فمع مضى الزمن استطاع الانسان أن يعرف كيف يستغل موارد بيئته اكثر فأكثر . كما أن تفاعل الأرض والانسان لم يتوقف منذ أن سكن الانسان هذا الكوكب ففى كل يوم يتقدم الانسان فى العلم والمعرفة وتتقدم الأرض بما تجود به من خيرات استجابة لطلب الانسان المتزايد فمثلا تربية الماشية واستغلال الأرض فى الزراعة زاد من انتاجية الأرض بالنسبة للموارد الغذائية أكثر من استخدامها فى الرعى .

كما أن استخدام الوسائل العلمية فى الانتاج وخاصة استخدام الآلات الزراعية واستعمال الأسمدة بمختلف أنواعها وتحسين الدورة الزراعية واختيار أحسن البذور لأنسب الأراضى واستنبات أنواع جديدة من النبات والقضاء على كثير من الحشرات الضارة ومقاومة الأمراض الكثيرة التى يتعرض لها النبات كل هذا أدى الى زيادة انتاجية الأرض ، ولا زال التقدم العلمى يبشر بخير . فلقد أشارت دراسات الأمم المتحدة وخاصة البحث الذى قدم فى الجمعية الأمريكية للمحافظة على التربة فى مدينة ممفس بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥١ م (١) أنه من الممكن أن تعول الولايات المتحدة الأمريكية فقط بليون نسمة اذا ما طبقت بها أحدث الفنون الانتاجية وحافظت على التربة الى أقصى حد ممكن واذا ما استخدمت المخصبات اللازمة للأرض. وقد زاد استخدام الطرق العلمية فى صيانة التربة انتاجية الغلات الزراعية بنسبة كبيرة تقدر بحوالى ١٠٪ فى الولايات المتحدة وعلى هذا يمكن تطبيق هذه الطرق فى أراضى المناطق المكتظة بالسكان من أجل ذلك خصصت هيئة الأمم المتحدة من بين منظماتها منظمة الأغذية والزراعة (فاو FAO) لتعنى بمشاكل العالم الغذائية وتساعد الدول النامية فى تطوير الطاقة الانتاجية لأراضيها . فمحطات التجارب الزراعية فى جميع انحاء العالم تظهر لنا كل يوم العديد من الوسائل التى يمكن بواسطتها زيادة انتاج المحصولات ، فمثلا احتمال استخدام الطاقة الشمسية لأغراض الرى قد يحول

---

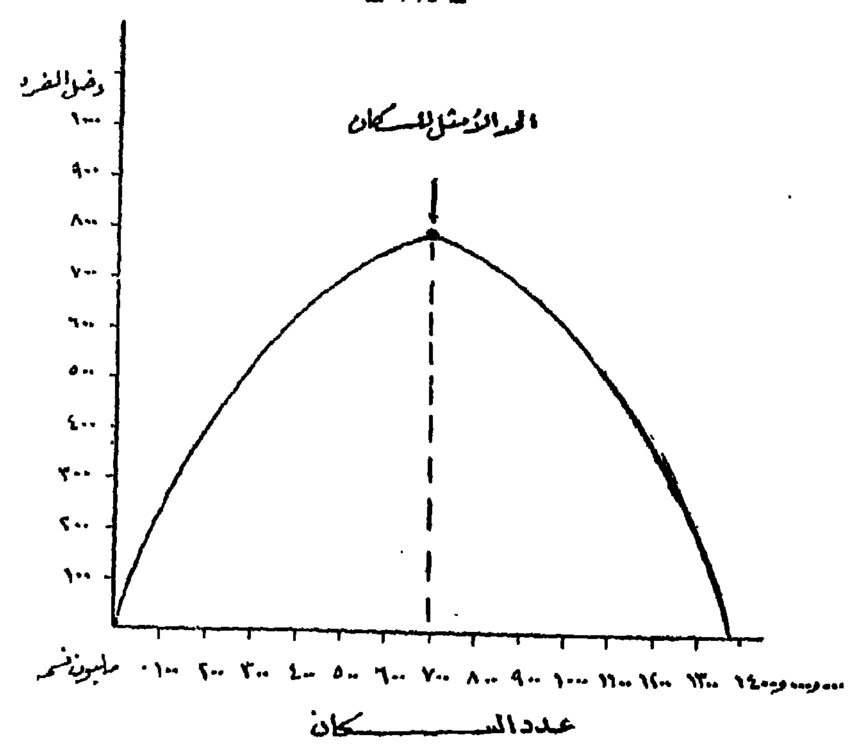
(١) المرجع السابق صفحة ٦٨ .

الصحراء الى مناطق ذات طاقات انتاجية وقد يبطل جميع النظـــريات المتشائمة ٠

كما أن وسائل السيطرة على الحشرات والأمراض الزراعية آخذة فى التقدم وهذا يقودنا الى زيادة الطاقة الانتاجية للمراعى وحيـوانات الرعى والدواجن ٠هذا بالاضافة الى أن الدول المزدحمة بالسكان يمكنها أن تتحول الى الصناعة فتستفيد من الأعداد الضخمة لتحويل المواد الخام الى مواد مصنوعة فهى بهذا قد تضيف الى مواردها الزراعيـــة موارد جديدة يمكن الافادة منها فى شراء المواد الغذائية اللازمة لسكانهـــا ٠ وكل زيادة فى معرفتنا وقدرتنا على استخدام الموارد الطبيعية تعنى زيادة فى قدرة العالم على مد الجنس البشرى بحاجاته من الغذاء ٠ وهذه الحقيقة هى التى جعلت اوربا بعدد سكانها قادرة على استيراد الغذاء والمواد الخام من جميع أنحاء العالم ٠ وما يقال عن أوربا يمكن أن يقال عن امريكا الشمالية واليابان ٠ أما بقية جنوب شرق آسيا فانه يتعذر تطبيقه حيث لا يوجد هناك فائض يكفى لتكوين رأس مال ٠ فالصناعة لا تقوم الا برؤوس الأموال ٠ وكذلك الحـال بالنسبة للزراعة فمشاريع الرى وبناء السـدود تتطلب رؤوس اموال كبيرة لتنظيم المياه وتوليد القوى الكهربائية وتحسين حالة الملاحة النهرية مما قد يعود بالخير على البلاد ٠

لقد قامت فى العالم مشاريع عديدة من هذا النوع أهمها مشروع وادى كولمبيا وتنيسى بالولايات المتحدة ومشروع السد العالى بجمهورية مصر العربية ويعتقد بعض الخبراء بأن رى الصحراء أصبح من المشاريع الممكنة اذا ما توفر رأس المال الكافى وتوفرت المصادر الرخيصة للطاقة ٠ فاذا ما توفرت الطاقة فانه يصبح بالامكان تحويل ملايين الكيلوات من القـــوى الكهربائيـــــة لاستخدامها فى مشاريع استصلاح الأراضى وفى تطوير الصناعة وخاصة تلك التى تعتمد على منتجات الحقل ٠ وفى تسهيل حركة النقل بين الحقول ومناطق التجمع السكانى ٠

غير أن هذه النظريات التفاؤلية قد قابلتها نظريات تحفظية من جانب ونظرات تشاؤمية من جانب آخر أما الأولى فيمكن أن نوجزها فى أن خبراء الأمم المتحدة يرجعونها الى سببين أولهما الصعوبات العملية والاقتصـادية وثانيهما الصعوبات التى تتعلق بالتنظيم السياسى ٠ فالصعوبات الاقتصادية



الحد الأمثل للسكان

والعملية مرجعها الى أن زيادة الانتاجية فى العالم يجب أن لا تقوم على شكل أجزاء منفصلة ومتقطعة بل يجب أن يكون التخطيط شاملا لجميع أجزاء العالم فالموارد الاقتصادية تعتمد الى حد كبير على مقدرة الانسان ورغبته فى التطور غير أن هناك الكثير من سكان بعض الدول يشكون فى نوايا التطور عن خوف سياسى أو عن جهل وكسل ۰ وربما نستطيع أن نقول وبدون تردد أن من اسـباب تخلف العديد من الدول هو الكسل البشرى والجهل المنتشر ۰ أما الصعوبات التى تتعلق بالتنظيم السياسى فمردها الى أن العالم مقسم الى وحدات سياسية وأن العديد من شعوب العالم لا يسمح لها بدخول العديد من الدول حتى أن العالم قد أصبح مقسما الى مذاهب اقتصادية متضاربة كل منها يحاول أن يحطم المذهب الآخر وينشر مذهبه وهذا ما يقودنا الى أنه سوف يكون هناك مناطق كثيرة من العالم يتراكم فيها الفائض من الموارد بينما توجد جهات أخرى وغير بعيدة منها تقاسى عجزا فى مواردها الغذائية ۰

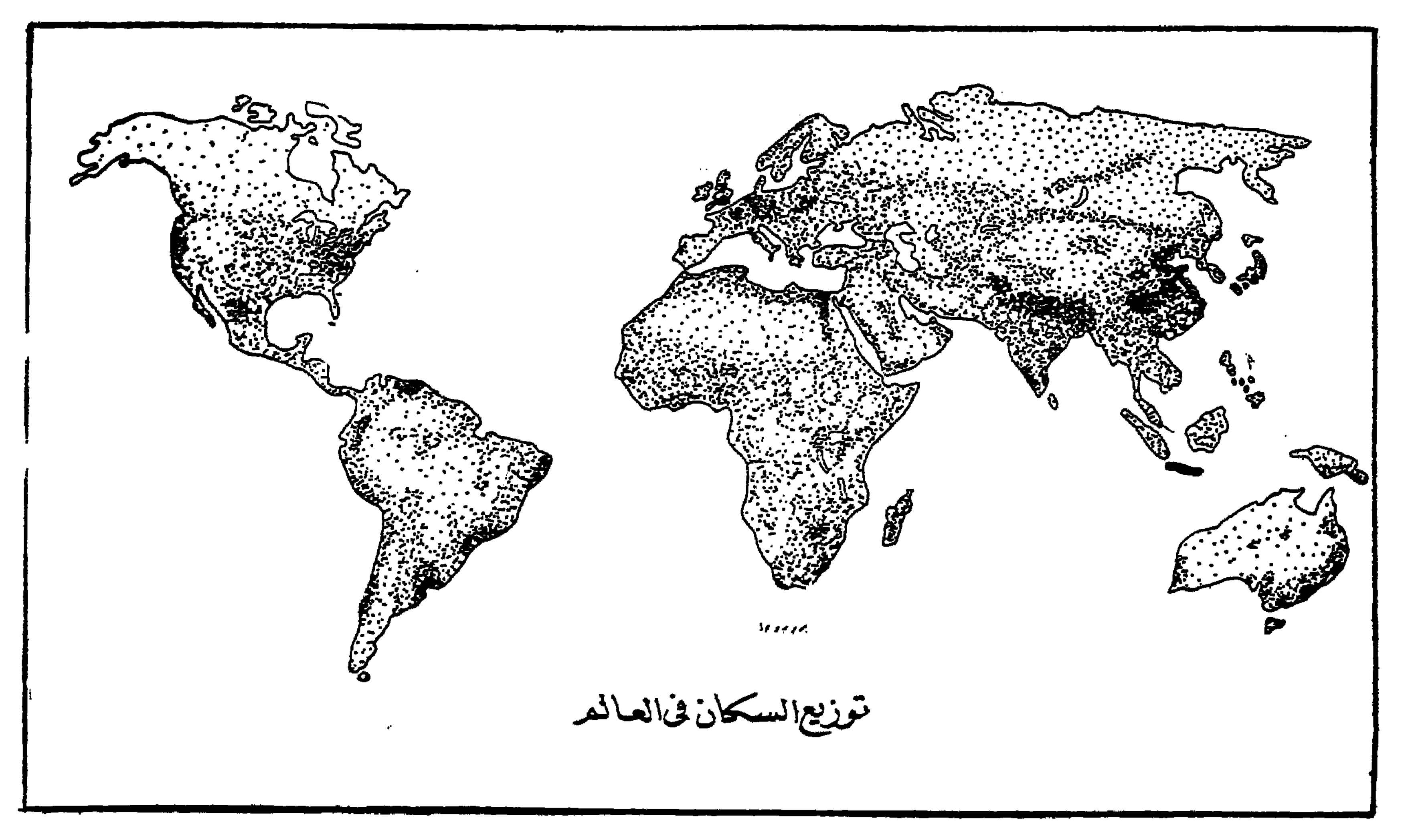
٢ ـ تقليل عدد السكان :

اما بالنسبة للحل الثانى فى التوازن بين السكان والطاقة الانتاجية ، فنرجعها الى تلك النظريات التشاؤمية والتى يستند اصحابها الى عدة امور اهمها اعادة توزيع السكان على سطح الأرض · لقد كان كثير من النـــاس يتركون أوطانهم ويهاجرون الى جهات اخرى اذا ما تعذر عليهم سبل الحياة فى بلادهم حيث يجدون فى المناطق الجديدة الأراضى الواسعة يستغلونها فى الانتاج الزراعى والصناعات النامية والتى لا تزال فى حاجة الى الكثير من الأيدى العاملة من اجل ذلك غمرت وفود المهاجرين قارتى العـــالم الجديد واستراليا ونيوزلندا · واختلفت نسبة الهجرة من دولة الى اخرى حسب اختلاف الظروف المحيطة بها حيث استقبلت الولايات المتحدة المهـــاجرين البريطانيين والألمان والايطاليين والبولنديين والسويديين · اما الأســـبان والايطاليين فقد هاجروا الى الأرجنتين كما هاجر الصينيون الى منشـوريا والروس الى سيبريا والانجليز والفرنسيين الى كندا · وهاجر البريطانيون الى استراليا · كل هذه الهجرات خففت من ضغط الســكان على أوطانهم الأصلية · غير أن باب الهجرة لم يبق مفتوحا طوال الدهر · فمجرد أن اصبحت الأراضى الجديدة مكتفية بحاجتها من السكان فانها قفلت باب الهجرة ولربما جعلت الباب ضيقا لبعض الدول واصبحت الهجرة اليهـــا صعبة وبشروط قاسية وبالرغم من أن هناك مجال لتحركات سكانية فى الوقت الحاضر وفى بعض اجزاء من العالم الا أن هذه الدول القليلة السكان لا يسعدها أن تستقبل اعدادا كبيرة من المهاجرين نظرا لظروف الأمن الداخلى وللمحافظـة على مستوى معيشى مرتفع · هناك حلول اخرى غير الهجرة للتـــوازن بين السكان والطاقة الانتاجية يمكن أن نرجعها الى عوامل عدة اهمها الأمراض والمجاعات والحروب غير أن التقدم العلمى الذى احرزه العالم وخاصة فى ميدان الصحة والجهود الجبارة التى يبذلها محبو السلام من قادة العـــالم جعلت هذه العلاقات قليلة الأثر بالنسبة لمشكلة تزايد السكان وبهذا لم يبق امامنا من حلول سوى اننا نضغط عدد الذين يضـــافون الى قوائم الجنس البشرى كل يوم · ولقد فاز بأسبقية هذا الحل الدول الصناعية المتقـــدمة وخاصة غرب أوربا حيث عملوا على ايجاد توازن بين نسبة المواليد ونسبة الوفيات · اما الولايات المتحدة الأمريكية فانها تسير فى هذا الاتجاه وقد أوشكت الوصول اليه · اما الدول النامية فان معظمهـــا لا يؤمن بتحديد

النسل • هذا الموضوع يعتبر موضوع خلاف بين الأجيال فى هذه الدول • وبالرغم من قيـــام الحــربين العالميتين وقيـــام العـديد من الحــــروب فى كل من جنوب شرق آسيا والهند والشرق الأوسط الا أن النـــاس اخذت تزيد نسبة مواليدها على وفياتها بعد الحرب وبهذا لم تؤد الحروب دورها المطلوب فى ايجاد التوازن الا اذا قامت حرب ذرية •

توزيع السكان فى العالم :

قدر عدد سكان العالم فى منتصف ١٩٧٢ م بحوالى (٣٧٠٦) مليون نسمة ينتشرون على سطح الأرض بدرجات متفاوتة حسب ظروف هذه الأرض والتى تتدرج من الصحراء المقفرة التى لا تغذى احدا الى المناطق الصناعية والمراكز التجارية التى تضيق بمن فيهامن سكان لدرجة انها تضطر لاستيراد المواد الغذائية من قريب أو بعيد لاطعام هؤلاء السكان • فنظرة الى خريطة توزيع السكان فى العالم تجعلنا نلاحظ أن ٨٢٪ من سكان العالم انما يعيشون شمال خط الاستواء ولربما يرجع السبب فى ذلك الى أن اكتشاف النصف الجنوبى من العالم جاء متأخرا وأن مساحة اليابس فى هذا الجزء من العالم محدودة يفصلها عن بعضها مسطحات مائية كبيرة • نلاحظ أيضا بأن حوالى نصف سكان العالم يعيشون فى شرق آسيا وجنوب شرقها وجنوبها بما فى ذلك الهند والصين واليابان والجزر المحيطة بالمنطقة • بالرغم من أن مساحة هذا الجزء من العالم لا يزيد عن ١٤٪ من مساحة اليابس • أما المنطقـــــة المزدحمة الثانية فهى أوربا اذ يسكنها حوالى ٥٠٠ مليون على مساحة لا تزيد على ٧٪ من مساحة الأرض • أما العالم الجديد فان مساحته تتقارب من مساحة آسيا الا أن عدد سكانه لا يزيد عن ٢٥٪ من سكان قارة آســـــيا • أما بالنسبة لتوزيع السكان حسب خطوط العرض فاننا نجد أن حوالى ١٠٪ من سكان العالم يعيشون جنوب خط الاستواء وأيضا حوالى ١٠٪ يعيشون بين خط الاستواء وخط عرض ٢٠ درجة شمالا وأن ما يقرب من نصف سكان العالم يعيشون بين خط عرض ٢٠ درجة شمالا و ٤٠ درجة شمالا وأن ٣٠٪ من السكان يعيشون بين خطى عرض ٤٠ درجة شمالا و ٦٠ درجة شمالا وأقل من ٥ر٠٪ يعيشون شمال خط عرض ٦٠ درجة شمالا ومعظمهم فى العــالم القديم • ويبين الجدول التالى توزيع سكان العالم على القارات المختلفـــة وكثافتهم فى الكيلو متر المربع الواحد ونسبهم فى كل قارة (شكل ١٤) •



شكل (١٤)

توزيع سكان العالم حسب القارات لعام ١٩٧١ م (١)

اسم القــارة	المساحة بملايين الكيلومترات	السكان بملايين النســمات	الكثافة فى الكيلومتر المربع	نسبة الكثافة لسكان العالم
افريقيــــا	٣٠	٣٤٤	١١	٩ر٤ ٪
أمريكا الشمالية	٢٤	٣٢٠	١٣	٨ر٨ ٪
أمريكا الجنوبية	١٧	١٩٠	١١	٥ر٢ ٪
آســــــيا	٢٧	٢٠٥٥	٧٦	٥٦ر٨ ٪
أوربا	٠٤	٤٦٢	١١٥	١٢ر٧ ٪
الأقيانوســية	٠٨	١٩	٢	٠ر٥ ٪
الاتحاد السوفييتى	٢٢	٢٤٢	١١	٦ر٦ ٪
المجموع التقريبى	١٤٢	٣٦٣٢	٢٣٩	١٠٠ر٠٪

العوامل التى تؤثر فى توزيع سكان العالم :

هناك عدة عوامل تؤثر فى توزيع السكان على سطح الأرض أهمها :

(أ) العوامل الطبيعية :

وهذه تشمل المواقع بالنسبة لخطوط العرض وبالنسبة للقرب أو البعد عن البحر وكذلك السطح وعلاقاته بالانسان والمناخ سواء أكان صحراويا أم باردا أو حارا أو رطبا ، كل هذه العوامل ناقشناها بشىء من التفصيل فيما سبق · أما الآن فنركز على العوامل الاقتصادية وأثرها فى توزيع السكان وكثافتهم وتشمل هذه الموارد الطبيعية كالمعادن وموارد الميـــاه والتربات والغابات · هذه الموارد لا توجد فى جميع جهات العالم بشكل واحد فبالرغم من أن المعادن أكثر الموارد الطبيعية توزيعا على سطح القشرة الأرضية الا أن هناك دولا فقيرة فى معادنها أو فقيرة فى صنف خاص منها فدول أوربا تعتبر من الدول الصناعية الكبرى الا أنها تفتقر الى البترول والى معادن عديدة

1. Luman H. Long. ed. "The 1971 World Almane" News-Paper Enterprise Association, Inc. New York 1972, p.151.

تستوردها من افريقيا وآسيا والشرق الأوسط وكذلك الحال بالنسبة للدول الواقعة فى المناطق الصحراوية فقد تتحول هذه الأراضى القاحلة الى جنـات ويزداد عدد سكانها لو توفر لها الماء اللازم بينما توجد دول اخرى من العالم يتوفر لديها الماء الكافى ولكن ينقصها التربة الصالحة ودول اخرى غنيـة بنباتاتها وغاباتها ومياهها الا انها لم تستغل الاستغلال المطلوب فمثلا معظم دول القارة الأفريقية تعتبر من اغنى قارات العالم من ناحية النبات والغابات والقوى المائية ممثلة فى الشلالات الكثيرة والتى قلما يخلو منها نهر افريقى غير ان هذه المصادر الطبيعية فى وضعها الحالى غير المستغل تعتبر قليلة الأهمية أو عديمتها بالنسبة لسكان القارة وبالتالى بالنسـبة للاقتصاد العالمى وهذا بدوره ينعكس على حقيقة توزيع السكان فى هذه القـارة ٠ فالموارد تجتذب السكان وتؤثر بشكل أو باخر تاثيرا مباشرا وغير مباشرا فى توزيع الجنس البشرى على سطح الأرض فالمعادن على سبيل المثال تجتذب الصناعة والصناعة تجتذب الأيدى العاملة أى تجتذب السكان كما حدث بالنسبة لدول غرب أوربا وأمريكا وهذا ما سوف نناقشه بشىء من التفصيل فيما بعد ٠

(ب) العوامل البشرية :

مما لا شك فيه ان الانسان لا يخضع لبيئته خضوعا كاملا بل يمتاز عن غيره من سائر الكائنات بقدرته على الحد من تاثير عناصر هذه البيئة بتغييرها أو تسخيرها لارادته ٠ لقد ارتقى الانسان فى سلم الحضارة ، فبعد أن كان يحترف الجمع والالتقاط تعلم الصيد ثم الرعى ثم الزراعة بأنواعها البدائية والراقية والكثيفة الواسعة وأخيرا عرف التعدين والصناعة والتجارة حتى اصبح من المؤكد ان اولئك الذين يحترفون الجمع والالتقاط فى طريقهم الى الانقراض لأن كثافتهم آخذة فى التنـــاقص سنة بعد أخرى ٠ ان الكثافة السكانية تأخذ فى الزيادة مع تقدم حرفة الانسان فالدول التى يعمل سكانها بالصـــناعة أكثر كثافة من تلك التى يعمل اهلها بالزراعة الواســعة ٠ اما الذين يعملون فى الزراعة الكثيفة فان عددهم لا يقل كثيرا عن ســكان الدول الصناعية ٠ فعلى سبيل المثال ان كثافة من يعملون بالرعى فى الدول الصحراوية قد لا تتعدى شخصا واحدا فى الميل المربع بينما ترتفع هذه النسبة الى خمسة أشخاص فى دول الزراعة البدائية فى افريقيا المدارية وحوض الأمزون ٠ ثم ترتفع الى الف نسمة فى الدول الزراعية الكثيفة ٠ وقد تصل الى ثلاثة آلاف نسمة فى الميل المربع فى الدول الصناعية فى شمال غرب أوربا

وشمال شرق الولايات المتحدة ، حيث يزاول السكان حرفة الصناعة • غير انه لا يفوتنا أن نذكر أن هناك دول مرتفعة الكثافة فى جنوب شرق آسيا ويعتمد سكانها على الزراعة الكثيفة بشكل كبير • ونتج عن تقدم الصناعة أن أصبحت هناك تجمعات سكانية متدانية حتى اصبح من الصعب الفصل بين مدينة وأخرى كما هو الحال فى شمال شرق الولايات المتحدة حيث تمتد المدن من مدينة بوسطن فى الشمال والى مدينة واشنطن العاصمة الفيدرالية للدولة ولمسافة تقدر بحوالى ثلاثمائة ميل • وكذلك الحال بالنسبة لألمانيا الغربية والمملكة المتحدة •

(ج) العوامل التاريخية والسياسية :

ان عمر الاستقرار البشرى فى دولة ما يعتبر من الأمور الهامة فى الكثافة السكانية فاذا ما اقام الانسان فى دولة معينة مدة طويلة فان عدد السكان يكون كبيرا حتى ولو كان معدل النمو منخفضا فلو نظرنا الى الاكتظاظ السكانى فى جنوب شرق آسيا وعلى الأخص فى كل من الهند والصين فمما لا شك فيه أننا سوف نرجع هذه الزيادة الى النمو الطبيعى للسكان وأن هذه الأعداد من البشر انما جاءت نتيجة لملايين السنين التى مرت بهم فى تلك المنطقة وهكذا نجد الكثافة السكانية تقل فى أمريكا الشمالية فبينما ترتفع الى ٥٦ر٨ نسمة فى آسيا تهبط الى ٨ر٨ نسمة فى أمريكا الشمالية و٣ر٥ نسمة فى أمريكا الجنوبية وأقل من واحد صحيح (٥ر٠) فى الأقيانوسية وخاصة استراليا ويرجع السبب فى انخفاض الكثافة فى هذه الجهات الى حداثة سكنى الانسان لها من جانب والى سياسة دول هذه القارات فى تحديد الهجرة السنوية اليها • فلولا سياسة استراليا البيضاء فى منع العناصر الملونة وخاصة الصفراء منها خوفا من منافستها للرجل الأبيض فى مجال العمل نظرا لرخص آجورها وخوفا من طغيانهم العددى لرأينا الكثافة السكانية فى استراليا مرتفعة وخاصة وأنه غير بعيد منها مناطق تغص بسكانها وتنظر الى استراليا على أنها قارة صمام الأمن • وبهذا يمكن أن نقسم العالم الى دول مزدحمة بالسكان وأخرى قليلة فى سكانها ودول وسط بين الاثنتين :

الدول المزدحمة بالسكان :

يتركز معظم سكان العالم فى ثلاث مناطق رئيسية هى :

١ ـ جنوب وجنوب شرق آسيا حيث يعيش فى هذه المنطقـــة حوالى نصف مجموع الجنس البشرى اذ تتراوح الكثافة بصفة عامة بين ٦٠ و ٣٠٠ نسمة وقد تصل الى ٣٠٠٠ نسمة فى الميل المربع الواحد فى بعض المـــدن وخاصة فى الهند والصين واليابان وجزيرة جاوة وأحواض الأنهـــار كنهر الهوانجهو واليانجتسى وسكيانج وفى السهول الساحلية ويرجع السبب فى ازدحام السكان بجنوب شرق آسيا الى عدة عوامل طبيعية وبشرية وتاريخية٠ فخصب التربة ووفرة المياه والمناخ الدافىء طول العام يساعد على زراعة أكثر من محصولين فى العام بالاضافة الى ارتفاع غلة الفدان نسبيا ، وتعدد المحاصيل الزراعية وغنى المنطقة بثروتها المعدنية والغابية ، كل هذه العوامل ساعدت المنطقة منذ عهد قديم على زيادة عدد السكان ٠ يمكن أن يضاف الى ما تقدم تحسن وسائل الوقاية الطبية وخفض عدد الوفيات وفى نفس الوقت فان العادات والتقاليد السائدة من حب السكان للنسل قد ساعد على أن تكون الزيادة فى عدد السكان كبيرة وهذا ما أدى الى انخفاض مستوى المعيشـة وانتشار الجهل والفقر ٠ فبالرغم من كثرة اكتشاف المعادن فان هذه الثروة لا تزال محدودة الأثر فى حياة السكان وفى توجيههم الاقتصادى وأن الزراعة لا تزال هى العامل الرئيسى فى ازدحام السكان وعليها يعتمدون اعتمـــــادا كبيرا ٠

٢ ـ شمال غرب أوربا :

وتأتى فى مقدمة الدول المزدحمة فى هذه المنطقة المملكة المتحدة وبلجيكا وهولندا وشمال شرق فرنسا والأراضى الصناعية المجاورة فى ألمانيا حيث تبلغ الكثافة أكثر من ٢٠٠ نسمة للكيلو متر المربع ثم يقل الاكتظـــاظ السكانى كلما اتجهنا غربا وجنوبا فى كل من الدانمرك وألمانيا وسويسرا وايطاليا حتى تصل الى ١٥٠ نســمة فى الكيلو متر المربع وتصـــل كثـــافة الســـكان أقصى ما يمكن فى المراكز الصناعية الكبرى مثل برمنجهام وشفلد وليفربول ولندن وامستردام وروتردام وباريس ومنطقة الرور بألمانيا (١) أما خارج هذا النطاق فنجد تركيز السكان لا يتعدى أماكن قليلة ومبعثرة على السواحل وفى وديان الأنهار مثل حوض البو ووديان الأنهار فى شبه جزيرة ايطاليا وفى

---

(١) دولت احمد صادق « الاسس الديموغرافية لجغرافية السكان » ٠ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٦٩ صفحة ١٣٩ ٠

منطقة البلقان . أما أسباب تركز السكان فى هذه المناطق بالذات فتختلف بعض الشيء عن تركز السكان فى جنوب شرق آسيا . فعامل التربة الخصبة والمناخ الملائم يأتى فى المقام الثانى أو الثالث نظرا لأن تربة هذه المنطقة المكتظة بالسكان متوسطة الصلاحية للانتاج الزراعى وأن مناخها يتميز بشتاء طويل بارد مما يدعو الى تعطيل الانتاج الزراعى الى حد ما . اذا ما هو السبب فى هذا الاكتظاظ ؟ يرجع السبب الرئيسى فى اكتظاظ السكان فى هذا الجزء من العالم الى توفر الفحم والحديد وغيرهما من المعادن المستغلة فى الصناعة والموقع الممتاز بالنسبة لبحر الشمال والمحيط الأطلسى ومواجهتها للولايات المتحدة الأمريكية على الجانب الغربى من المحيط الأطلسى وخاصة أنها تواجه الجهات الصناعية فى أمريكا ومناطق الازدحام السكانى فى العالم الجديد هذا من جانب . ومن جانب آخر فانها تقع على المداخل الرئيسية للقادة الأوربية حيث مصبات الأنهار الكبرى ذات الأهمية التجارية وحيث الموانيء الطبيعية الصالحة لاستقبال السفن الكبيرة سواء كانت هذه الموانى على بحر الشمال أو البحر البلطى أو المحيط الأطلسى.

٣ - شمال شرق امريكا الشمالية :

يمكن حصر التركز السكانى فى هذه المنطقة بالمثلث القائم بين مدينة شيكاغو ومدينة بوسطن ومدينة واشنطن العاصمة الفدرالية للولايات المتحدة لمعظم التركيز السكانى اما أن يكون على سواحل المحيط الأطلسى كنيويورك وبرسطن واما أن تكون على سواحل البحيرات العظمى كشيكاغو وكليفلند وديترويت وتوليد بفلو واما أن تكون فى وديان الأنهار المتصلة بكل من البحيرات والمحيط كمدينة بتسبرج وروشيستر وسيراكيوز والبانى ومونتريال وكويبك فى كندا . وهنا يجب أن نفرق بين كثافة السكان فى الشمال الشرقى من امريكا الشمالية أو شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية فقط وكثافة السكان فى الولايات المتحدة ككل حيث تصل كثافة السكان فى ولاية نيوجرسى الى ٩٥٣ر١ نسمة للميل المربع وفى ولاية رود ايلاند الى ٩٠٥ر٤ نسمة للميل المربع بينما تأخذ فى الانخفاض كلما اتجهنا نحو الغرب ونحو الجنوب الى أن نصل الى المناطق الصحراوية القليلة السكان فى أريزونا الى ١٥د٦ نسمة للميل المربع ونيفادا الى ٤ر٤ نسمة فاذا أخذنا الولايات المتحدة

ككل فان الكثافة العامة للبلاد تصـــل الى ٥٧ شخص فى الميـــل المربـــع الواحـــد (١) ٠

وهنا نتساءل كما تساءلنا من قبل عن العوامل التى اجتذبت هذه الأعداد من البشر ليستوطنوا هذه الجهات بالذات بينما توجد وغير بعيد عنها جهات يقل فيها عدد السكان وحتى يكاد ينعدم ؟٠ الاجابة على هذا السؤال ليست صعبة فلكل منطقة طابعها الخاص المميز والناتج عن تفاعل العوامل البشرية والعوامل الطبيعية فيما بينهما ٠ فالعوامل التى تضافرت لجعل شمال شرق أمريكا الشمالية من المناطق المكتظة بالسكان تشبه الى حد كبير تلك العوامل التى ذكرناها عند الحديث عن شمال غرب أوروبا ، فالزراعة فى هذه المنطقة ليست العامل الرئيسى فى جذب السكان وانما يعتمد السكان على استغلال فحم الابلاش وحديد بحيرة سوبيريور والموارد المعدنية الأخرى المتوفرة فى المنطقة٠ اذا فالصناعة كانت وما زالت من الأسباب القوية التى اجتذبت السكان الى هذه المنطقة بالاضافة الى عامل الموقع الممتاز بالنسبة لمواجهتها المحيط الأطلسى وأوربا من الشرق ومواجهة السهول الواسعة والخصبة والتى تمد هؤلاء السكان بما يحتاجونه من غذاء من جهة الغرب وبالاضافة الى العديد من الأنهار الكبيرة والصغيرة التى تساعد فى نقل المواد الخام من مراكزها الى مراكز العمران والأسواق الداخلية والخارجية ٠ يمكن أن يضاف الى ما تقدم الصادرات غير المنظورة Invisible Export وتتمثل فى استنزاف موارد الدول الأخرى كرؤوس الأموال والمعدات الكبيرة التى تعمل فى مجال التعدين والزراعة فى جميع أنحاء العالم وخاصة دول أمريكا اللاتينية وأفريقيا والشرق الأوسط وجنوب شرق آسيا أو بمعنى آخر فىالدول المتخلفة اقتصاديا ٠ هذه الأموال وهذه المعدات تعود بالخير والرفاهية على سكان الدول المتقدمة وفى مقدمتهم سكان الولايات المتحدة ٠ ثم هناك دخل آخر يمكن أن نضيفه لسكان المنطقة والذى يأتى عن طريق الاساطيل التجارية التى تجوب البحاروالمحيطات والتى تمتلكها الشركات الكبيرة التى تقطن هذه المنطقة المكتظة بالسكان ٠ بالاضافة الى ذلك هناك أموال تأتى الى المنطقة عن طريق السياحة فهذه المنطقة مثلها مثل غرب أوروبا يأتيها السياح من كل مكان لينفقوا أموالهم ثم يعودون الى بلادهم فرحين مسرورين بما أنفقوا ٠

---

1. Luman H. Long "The 1972 World Almane" Newspaper Enterprise Association, Inc. New York, 1972.

الدول القليلة السكان :

يقابل الدول المزدحمة بالسكان دولا قليلة السكان اذ يقل متوسط السكان فيها عن ٢ر٥ نفسا للميل المربع الواحد ٠ هذه الدول تحتل ما يقرب من نصف مساحة الكرة الأرضية ٠ وترجع قلة السكان فى هذه الدول الى عوامل البيئة الطبيعية أما العوامل التاريخية والاجتماعية فأثرها ضئيل أو يكاد ينعدم فاذا ما قارنا بين خريطتين للعالم أحدهما للسكان والأخرى للمناخ لاحظنا ارتباطا واضحا بين ثلاثة أنظمة مناخية وبين الدول الفقيرة بسكانها هذه الأنظمة هى : ـ

١ ـ المنطقة القطبية وتتمثل فى سيبيريا فى الاتحاد السوفيتى وشمال الدول الاسكندنافية وشمال كندا وانتراكتيكا ٠ وهذ النوع من المناخ يتميز بقسوته الشديدة ويرجع السبب فى ذلك الى البرودة العالية السائدة فيه والى تغطية أراضيه أو معظم أراضيه بالجليد لفترات طويلة من العام ٠

وتنعكس آثار المناخ القطبى على كثافة السكان فنجد أن هذه الكثافة لا تزيد على أربعة أشخاص للميل المربع الواحد فى أيسلند ، وقد تهبط فى شمال كندا الى ثلاثة أشخاص للميل المربع الواحد أما فى الاسكا فيعيش شخص واحد فى عشرة أميال مربعة وفى جرينلند يعيش شخص واحد فى كل خمسين ميلا مربعا ٠

٢ ـ مناطق المناخ الصحراوى أو شبه الصحراوى ويشمل الصحراء الكبرى وصحراء كلهارى فى أفريقيا ثم صحارى بلاد العرب والتركستان ومنغوليا فى آسيا ثم صحارى غرب ووسط استراليا ثم الحوض العظيم والهضاب الداخلية فى جبال الروكى بالولايات المتحدة الأمريكية ثم صحراء اتكاما وبتاغونيا فى أمريكا الجنوبية ويرجع قلة السكان فى هذا الاقليم الى الجفاف وقلة الماء وقارية المناخ ٠ ان المناخ الصحراوى هو الذى جعل كثافة السكان فى استراليا ٢ر٥ نسمة فى الميل المربع وهبط بهذه الكثافة الى ١ر٥ شخص للميل المربع فى ليبيا ٠ ويجدر أن نذكر أن الصحراء تستطيع أن تعول عددا أكبر من السكان لو توفر فيها الماء بشكل من الأشكال كما هو الحال فى وادى النيل ووديان الأنهار الأخرى حيث تقوم الزراعة معتمدة على الرى٠

كما حصل فى صحارى أمريكا الشمالية حيث أمكن سحب الماء من الجبال واستخدامه فى خلق واحات صناعية فى الصحراء ٠

٣ ـ مناطق المناخ الاستوائى والشبيه بالاستوائى : ويتمثل هـــذا المناخ فى حوض نهر الأمزون ونهر الكونغو ونيوغينيا وشمال استراليا ، وهذا المناخ يجمع بين الحرارة والرطوبة العالية مما يؤدى الى عدم ملائمته للحياة البشرية ٠

لقد أمكن اســـتغلال بعض أجزاء من الدول الواقعـــة فى المنـــاطق الاستوائية وخاصة تلك التى ساعدت ظروفها المحلية على هذا الاستغـــلال وأصبحت من المناطق المزدحمة بالسكان كجزيرة جاوة باندونيسيا ومنطقة جنوب نيجيريا ٠

٤ ـ المناطق الجبلية : من المناطق القليلة السكان أيضا المناطق الجبلية والهضاب العالية وبخاصة هضبة التبت ويمكن القول بصفة عامة انه حيث لا توجد الحرارة والماء بالدرجة الملائمة للانبات أو حيث يتوافر العاملان لدرجة أكثر من اللازم فان العوامل المحلية الأخرى (كالموارد الطبيعية) هى التى تجعل من سكان ما فى هذه الجهات منطقة صالحة للاستقرار البشرى ٠

الدول المتوسطة الكثافة السكانية :

ونقصد بالدول المتوسطة الكثافة السكانية هى تلك الدول التى تتراوح كثافة سكانها بين خمسة وعشرين نسمة ومائتين نسمة للميل المربع ٠ وهذه الجهات تتمثل فى آسيا خارج سهول الكنج الخصبة فى الهند ووادى اليانجتسى المزدحم فى الصين فنجدها فى بورما وتايلاند والهند الصينية ٠ هذه الدول تنتج من المواد الغذائية اكثر مما يحتاج اليه سكانها وبهذا يصبح لديها فى معظم الأحيان فائض للتصدير ولما كانت هذه الجهات مجاورة لجهـات كثيفة بالسكان فان هذا الفائض يجد سوقه فى مثل هذه الجهات٠ اما فى أوربا فاننا نجد المراكز الصناعية متكاثفة بالسكان ثم تاخذ هذه الكثافة فى القلة تدريجيا كلما بعدنا عن مركز الثقل الصناعى او الاقتصادى فمثلا نجد مركز الثقل فى بريطانيا والمانيا وبلجيكا وشمال شرق فرنسا ثم يأخذ السكان فى الانخفاض فى أيرلندا واسكتلندا وغرب الاتحاد السوفييتى ودول البلقان واسبانيا وبقية

فرنسا · ويلاحظ على هذه الدول أنها تنتج من المواد الغذائية أكثر مما يكفيها وفي كثير من الحالات يتبقى لديها فائض تستطيع أن تمد به جيرانها من البلاد الصناعية والكثيفة السكان · في خارج هذه الدائرة نجد مناطق يقل فيها السكان وتتراوح الكثافة فيها بين الخمسون والمائة نسمة للميل المربع الواحد· هذه الجهات تشمل النصف الجنوبي من السويد وتركيا وشمال الجزائر ومراكش · وفي هذه الجهات تجد أن الزراعة قد وصلت الى الحد الطبيعي لطاقتها الانتاجية أي أن الأرض أصبحت تنتج ما يكفي الحاجة المحلية فقط · ولا يستثنى من ذلك سوى انتاج القمح في الجزائر حيث لديها فائض يجد طريقه الى الخارج · أما في أمريكا الشمالية فان دائرة الكثافة المتوسطة تضم نطاق القمح والذرة في الوسط ونطاق القطن في الجنوب · وهذه كلها مناطق زراعية لديها فائض ضخم للتصدير وعليها تعتمد الجهات الصناعية المزدحمة بالسكان ·

هذه صورة عامة على تقسيم العالم على أساس عدد السكان ، وقد تبين لنا من هذه الصورة كيف أن بعض المناطق تتناسب امكانياتها الاقتصادية مع عدد السكان الذين يعيشون فيها وبينما أن البعض الآخر ينقصه هذا التناسب ·

حجم السكان والقوة الوطنية للدولة :

ومما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين عدد السكان وقوة الدول وأن أي زيادة في عدد السكان انما تعني زيادة فيقوة الدولة البشرية في المستقبل· فلولا الزيادة السكانية الكبيرة التي حصلت في غرب أوربا خلال القرون الثلاثة الماضية لما كان للنفوذ الأوربي مكانة عالية كبرى ، ولما انتشرت الثقافة الأوربية على جزء كبير من سطح هذا الكوكب · أن الزيادة السكانية لوحدها لا تكفي الا اذا اقترنت بالتقدم العلمي والصناعي · فالثقافة الأوربية لم تنتشر الا بقيام الثورة الصناعية في أوربا وما صاحبها من تقدم في العلوم الحديثة والتقنية · وهنا يجب أن نراعي المقدرة الانتاجية للدولة فاذا زاد السكان عن هذه المقدرة فقد يكونون عائقا لتقدم الدولة ورقيها وقد يكون عائقا لتقدمهم أيضا اذا نقص عدد السكان بشكل ملحوظ · ولتقدم الدولة يجب ملاحظة مساحة الدولة وحجم سكانها ومدى كفاينهم الانتاجية ومتوسط دخل الفرد بها ·

فاذا ما قارنا بين دولتين مثل ايطاليا والعراق فاننا نجدهما متقاربتين فى المساحة مختلفتين فى عدد السكان فمساحة ايطاليا تبلغ حوالى ١٢٠٠٠٠ ميلا مربعا بينما تصل مساحة العراق الى حوالى ١٧٠٠٠ ميلا مربعا ويبلغ عدد سكان ايطاليا حوالى ٥١ مليون نسمة بينما لم يزد عدد سكان العراق على ١٠ ملايين نسمة ، من هذا ندرك قيمة كل من العراق وايطاليا فى المجال الدولى فكلما زاد عدد السكان كلما اتسعت فرص الانتاج والتسويق وكلما زاد عدد السكان كلما كان خيرا وبركة للقوات المسلحة والتى تحمى حمى الدولة من الاعتداءات الخارجية فاذا ما قامت حرب بين دولتين فلا شك أن صاحبة الكثرة العددية لديها القوة البشرية فى تدعيم جيوشها وتعويض ما يفقد منها من جنود فى معركة النضال وهذه الميزة لا تتـــــوفر للدول ذات الأعداد المحدودة ٠

بالاضافة الى ذلك فان عدد السكان يعطى الدولة الفرصة فى تعــدد الكفاءات واختيار أحسنها ٠ أما اذا انخفض عدد السكان فان أجر العامل يرتفع وهذا ما يزيد نصيب العمل فى تكاليف الانتاج ، فلقد بلغت نسبة العمل فى الولايات المتحدة الى حوالى ٥٥٪ من قيمة تكاليف القيمة المضافة نظرا لندرة العمال الفنيين من أجل ذلك تحاول الدول الغربية المتقـــدمة أن تحل الآلة محل اليد العاملة فى كثير من الصناعات ٠ اذا لماذا تحاول بعض الدول وخاصة الغربية منها انتهاج سياسة الحد من نمو الســـــكان ؟ ربما يرجع السبب الى الاهتمام بمستوى المعيشة ، رغم أن هذا الحد قد يقلل من قيمتها الحربية ومقدراتها الصناعية الا أنها تعوض هذا النقص بطرق أخرى مثل زيادة الطلب على المزيد من الثروات والمزيد من الأراضى سواء كانت عن طريق الاستعمار أو عن طريق مناطق النفوذ أو كما يسمونها فى الوقت الحاضر بالمناطق الحيوية ٠ كما أن هذه الدول الغربية تسعى الى المزيد من التبــادل التجارى ٠

ان الدول المكتظة بالسكان تعانى الكثير من جراء ازدياد سكانها فمن المشاكل التى تمر بها الدول المكتظة ارتفاع نسبة الوفيات ٠ فبالرغم من تقدم المستوى العام للصحة فى جميع أجزاء العالم الا أن نسبة الوفيــــات خارج الدول الغربية لا زالت عالية فمعظم الوفيات تحدث قبل أن تتاح للفرد فرص الانتاج الاقتصادى بما يساوى ما صرف عليه فى أثناء حمله ومولده ونموه ٠ ففى جمهورية الهند الصينية والهند ومعظم القارة الأفريقية يزيد معدل الوفيات

عن ٢٠ نسمة فى الألف بينما ينخفض هذا المعدل الى ١٥ نسمة فى الألف فى كل من الصين ودول الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية (١) ، هذا بالاضافة الى ارتفاع نسبة الوفاة فى سن مبكرة فان اعتلال الصحة بين من لا يموتون يكون شديدا ٠ كما تنتشر الأمراض والأوبئة بين السكان المكتظين حتى يصبح من الصعوبة بمكان السيطرة عليها من اجل ذلك نجد أن الدول التى تحافظ على تحديد النسل تتمتع بميزات أهمها ضآلة نسبة المرضى بين أفراد القوى العاملة فى البلاد وبين أفراد القوات المسلحة ٠ كما أنه يصبح من السهل السيطرة على أى وباء ينتشر بين أفراد المجتمع علما بأن معظم هؤلاء من الشعوب المتعلمة والراقية والذين يهتمون بمستوى معيشتهم والمستوى الصحى لعائلاتهم بصفة عامة ٠

هذا بالاضافة الى أن الدول الغربية تتمتع بضآلة نسبة السكان الذين يعتمدون على غيرهم فى معيشتهم ، كل هذه العوامل تعطى الدولة قوة الى قوتها يقابل ذلك ارتفاع نسبة المواليد فى الدول المكتظة بالسكان وما يتبع ذلك من مشاكل اجتماعية وصحية واقتصادية فارتفاع نسبة المواليد يخرج النساء من القوة العاملة فى البلاد ، فاذا علمنا أن عدد النساء يشكل نصف القوة العاملة فان ذلك يعتبر تعطيلا وضياعا للثروة البشرية الكامنة ٠

ولا يقتصر الأمر عند ذلك فان ارتفاع نسبة المواليد يعرض النشء لأخطار المرض والوفاة وأن نسبة الوفيات يعتبر خسارة اقتصادية للأمة يمكن أن نضيف الى ذلك بأن أولئك الذين يتركون فى المنازل من النساء سوف يعتمدون على غيرهم من الرجال فى معيشتهم وهذا بدون شك سوف يخفض مستوى المعيشة بالنسبة للعائلة واذا ما كثر الأطفال فان مشكلة التعليم تظهر من الأمور الهامة ٠ فمما لا شك فيه أنه كلما زاد عدد الطلاب فان توفير القدر الكافى من التعليم والتدريب المهنى يقل وأن مستوى التعليم يأخذ فى الانحدار لأن ميزانية الدولة ونسبة ما يخص التعليم سوف تنخفض لأن الدولة عليها التزامات كثيرة غير التعليم يجب أن تهتم بها ٠ كما أن ارتفاع نسبة المواليد ينتج عنه ارتفاع فى نسبة نمو السكان وهذا بدوره يقلل من مستوى دخل الفرد ، وبهذا ينخفض مستوى المعيشة فى البلاد ٠ وبالرغم من أن الدول

---

(١) دولت أحمد صادق « الاسس الديموغرافية لجغرافية السكان » مكتبة الانجلو

الغربية والصناعية ، والتى تؤمن بتحديد النسل والتوازن بين السكان والطاقة الانتاجية تعانى أيضا مشاكل أخرى من جراء سياستها هذه ومن أهم هذه المشاكل ارتفاع نسبة الشيخوخة ، وبالتالى ارتفاع تكاليف مشروع التأمين على الشيخوخة وأهم من ذلك أن الكفاية العسكرية تتطلب أعدادا كبيرة من الشباب من سن الخامسة عشرة الى سن الثلاثين لأن الشيخوخة تبدأ من سن الخامسة والثلاثين الى الأربعين فى الأغراض العسكرية وخاصة فى سلك الجندية فكلما كثر المسنون فى الدولة كلما انخفضت نسبة أولئك الذين يضافون الى القوة العاملة فى البلاد ٠ يمكن أن نضيف أيضا الى المشـــاكل التى تواجه الدول المزدحمة انخفاض معدل الهجرة الداخلية فى البلاد ففى الدول التى يعتمد سكانها على حرفة الزراعة لا شك أن حركة السكان الداخلية أقل منها فى الدول التى يعتمد سكانها على الانتاج الصناعى لأن النمــــو الاقتصادى وخاصة عندما تتجه الدولة نحو التصنيع تتطلب تحركات سكانية داخلية وخاصة نحو المدن الكبرى ٠ من أجل ذلك نجد أن نسبة سكان المدن فى الدول الصناعية الأوربية يرتفع الى ٧٠ بينما تصل نسبة سكان المدن فى الدول الزراعية فى اسيا الى حوالى ١٣٪ والى ٩٪ فى أفريقيا ٠ ان استقرار السكان بالنسبة للأرض التى يعيشون عليها وكذلك بالنســبة للحرف التى يزاولونها فى الدول الزراعية يرجع الى أمور عدة أهمها رسوخ النظــــام الطبقى بين أفراد المجتمع كما هو الحال فى المجتمع الهندى ٠ والى الارتباطات العائلية الوثيقة حتى أنه يصبح من الصعب على الفرد أن يترك قريتـــه الى مسافة مائة ميل ليتمتع بمستوى معيشى أفضل ٠

ان الحواجز اللغوية والحواجز الاقليمية والتشـــدد بالنسبة للجنس واللون والعقيدة ، كل هذه من الأمور التى تزيد ارتباط الانسان بالمكان الذى نشأ فيه ٠ وبهذا يصبح نمو السكان وازديادهم سلاحا ذا حدين اما أن يكون خيرا وبركة على الدولة اذا كانت الدولة تتمتع بقدرة انتاجية عالية ، واما أن يكون سببا فى تخلفها اذا كانت الطاقة الانتاجية فى الدولة منخفضة ٠

الفصـل السـادس

القوميات والاقليات

١ ـ القوميـــات :

لقد جاء الاسلام ليوحد الأمة ويكون أول نواة للقومية الاسلامية ٠ انه جاء فى وسط مجتمع متفرق متناحر فجمع شملهم ووحدهم وكون منهم أمة واحدة تربطها روابط قوية ٠ لقد جاء الاسلام الى قلب الجزيرة العربية ليجمع شمل القبائل المتعادية تحت عقيدة واحدة ولغة واحدة وثقافة اسلامية واحدة على بقعة جغرافية من أطهر بقاع العالم ٠ فالأسس القويمة التى تبنى عليها الشعوب وحدتها القومية تتلخص فيما يأتى :

١ ـ شعب يسكن اقليم جغرافى معين تربطه ببعضه روابط تجعل منه قوة واحدة ٠

٢ ـ اشتراك فى اللغة والتى تعتبر أهم وسيلة للتفاهم بين أفراد الأمة الواحدة ٠

٣ ـ أن تجمع هذه الأمة ثقافة وتقاليد وعادات واحدة حصلت عليها الأمة من خلال تجاربها عبر العصور ٠

٤ ـ أن تكون تلك الأمة موحدة فى أصلها ونشأتها ٠

٥ ـ أن تجمع الأمة مصالح مشتركة ٠

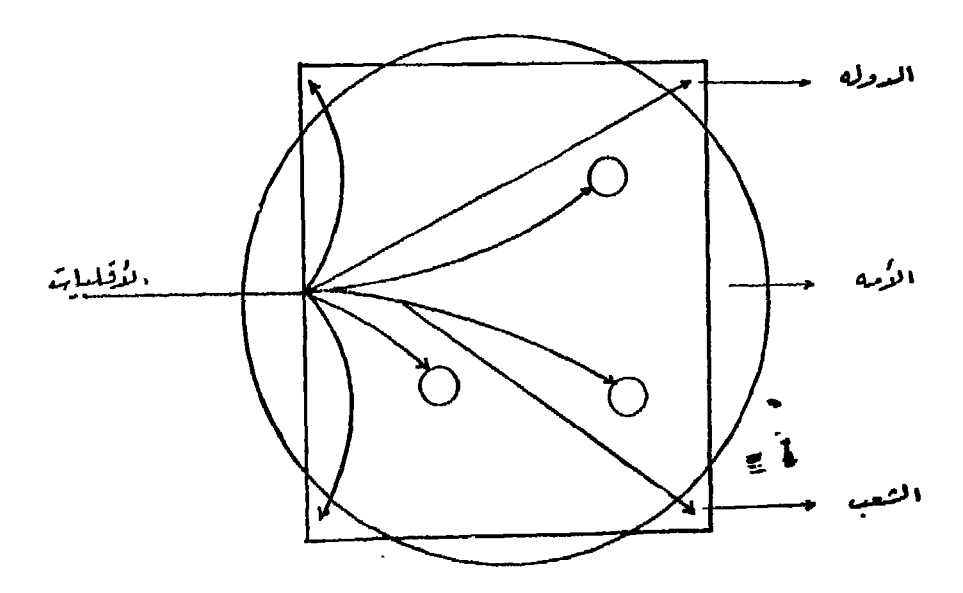
هذه العوامل هى التى دفعت بالأمم لأن تكون لنفسها كيانا خاصا داخل حدودها الجغرافية وأن تطالب أن تحكم نفسها بنفسها لمصلحة أفرادها اذا كانت مستعمرة وهذه هى العوامل الرئيسية للقومية السياسية والتى ترتب عليها قيام الوحدات السياسية القومية ٠

الأمة والدولة :

لقد عرفنا فيما سبق معنى الدولة أما الأمة فان لها عدة معانى تتشابه فى كثير من الأحوال مع كلمة شعب فأحيانا تعنى أن هناك مجموعة من الناس

تتميز بصفات معينة كلغة واحدة أو ديانة موحدة او عادات وتقاليد مشتركة بغض النظر عن كونهم ينتمون الى دولة واحدة كالعرب الذين ينتمون الى دول مختلفة المذاهب والاتجاهات السياسية وكالأمة الألمانية والتى تعنى كل من يتكلم الألمانية سواء داخل المانيا أو خارجها سواء فى النمسا أو فى ايطاليا أو فى سويسرا أو فى مكان آخر . وأحيانا تذكر خطـــأ على أفراد الدولة الواحدة دون أن تفرق بين الخلافات الداخلية للدولة سواء كانت هذه الخلافات ثقافية أو جنسية او دينية فتنطلق على الشعوب المتكونة من عدة عنـــاصر بالشعب او الأمة اليوغسلافية أو الشعب أو الأمة الكندية رغم أن كل عنصر من العناصر التى تتكون منها الدولة يحافظ على كيانه وشخصيته المميزة عن العنصر الآخر . ومن الصعب فى العصر الحديث أن تجد أمة واحدة داخل دولة واحدة . فالأمة غالبا ما تنتشر فوق مساحات جغرافية تزيد عن حجم الدولة وبهذا تصبح الدولة داخل الأمة وفى نفس الوقت التى يترك فيه جزء من الأمة خارج حدود الدولة نجد أن هناك أمما أخرى مجاورة داخل حدود الدولة كما يبين (شكل ١٥) .

العلاقة بين الأمة والدولة



شكل (١٥)

وهنا يجب أن نفرق بين معنى الأمة ومعنى الشعب فالأمة أكبر من الشعب فلا بد للشعب من أن يعيش داخل الحدود السياسية للدولة بينما نجد الأمة تعيش داخل وخارج الحدود السياسية وياحبـــذا لو اجتمعت الأمة الواحدة داخل حدود سياسة موحدة · وفى هذه الحالة يطلق على هذه الدولة اسم الدولة القومية Nation State · غير أن معظم الشعوب تتكون من خليط من الســـلالات تكونت وتبلورت خلال فترات طويلة من السنين حتى استطاعت أخيرا أن تتآلف وتكون شعبا واحدا · فالشعب الفرنسى يتـكون من الكلت والقال والنورمنديين وكذلك بقية الشـــعوب كالشعب الأمريكى والشعب الانجليزى · فمن الصعب أن نجد شعبا من شعوب العالم الا وتجرى فى عروقه دماء مختلفة ·

تعتبر اللغة والدين والتقاليد والتاريخ المشترك من العوامل الرئيسية التى تميز الشعوب بعضها عن بعض ولا يسود الاستقرار الدائم الا اذا كانت الدولة تتمتع بوحدة شعبها وان أهم ما يجب أن يتوفر فى الدولة لبقائها هو مبدأ البقاء Reason de Etre ·

مبدأ البقاء :

فمبدأ البقاء يعتمد فى الدرجة الأولى على رغبة الشعب فى أن يكون له شخصية مستقلة تميزه عن جيرانه وأن تكون له قيم يختارها لنفسه لتكون اداة لوحدته فمثلا هناك العديد من الشعوب التى تبرر بقائها لكونهـــا تدين بدين واحد كدولة الباكستان والمملكة العربية السعودية · كما أن اسرائيل تزعم أن رغبتها فى انشاء دولة يهودية وهكذا · وهناك أيضا مجموعة أخرى من الدول تدين فى بقائها الى وحدة لغتها كفرنسا وكما حاولت المانيا أن توحد جميع الدول الناطقة باللغة الألمانية · ثم أن هناك دولا تدين ببقائها الى وحدة تاريخها الطويل كالهند التى تتعدد فيها اللغات والديانات ولا يوجد مبدأ يربط هذه الملايين من البشر سوى أنهم عاشوا جميعا فى مكان واحد وانهم اشتركوا فى تاريخ واحد ولهذا المبدأ آثاره فى الشعوب العربية أيضا · ونتيجة لوجود مبدأ البقاء فان الدول يصبح لديها قوة موحدة أو قوى جانبة Centripetal Forces والتى تختلف من دولة الى دولة ومن اقليم الى اقليم داخل الدولة الواحدة كما أن مفعولها يختلف بين فرد وآخر داخل الدولة الواحدة فادنى مرتبة لهذه القوى الموحدة هو أن يكون الفرد محايدا أى أن لا يكون

لديه أى شعور ضد الدولة أو ضد نظام الحكم القائم بها ثم تتدرج الى أعلى فيكون الاخلاص لحكومته على مراتب أعلاها هو أن يكون الفرد مؤمنـــــا ايمانا عميقا بصلاح كيان الدولة التى ينتمى اليها وأنه مســتعد للتضحية بالنفس والنفيس للدفاع عن مبادىء الدولة • أما اذا افتقرت الدولة الى مبدأ البقاء أو الى القوى الموحدة فانها بلا شك يتهدد أمنها وسلامتها بظهور قوة جديدة أو عدد من القوى تعرف باسم القـــوى الطـــــاردة أو المفككة Centrifugal Forces هذه القوى هددت أمن وسلامة العديد من الدول والامبراطوريات فى الماضى ولا زالت تنهك أجسام العديد من الدول فى العصر الحديث • هذه القوى هى التى هددت أمن وسلامة شبه القارة الهندية وقسمت شبه القارة الى عدد من الأقسام السياسية كبورما والهند وباكستان وبنجلادش وهى التى خلقت مشكلة كشمير المعلقة فى الوقت الحاضر •

هذه القوى هى التى هددت أمن وسلامة امبراطورية النمســاء والمجر والامبراطورية العثمانية • هذه القوى ما زالت تهدد وحدة الدولة العراقية وكندا وبلجيكا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وغيرها • وهذه القوى هى التى خلقت ونمت الخلافات الثقافية والحضارية واللغوية والدينيـــة بين أفراد الشعوب • وهذه القوى هى التى دفعت بالعديد من الدول الى مد شـــبكات المواصلات لا لأسباب اقتصادية وانما لأسباب سياسية لتسهيل عملية الاختلاط بين المجموعات المختلفة التى يتكون منها الشعب لتتقارب وجهـــات النظر ويزيل الخلافات القائمة بينهم • وهذه القوى هى التى تضع العراقيل أمام تقدم الدولة وازدهارها •

هنا يجب أن نضع فى اعتبارنا بأننا نعيش اليوم فى عالم انقسم على نفسه الى أقسام تسود مذاهب ومبادىء متضاربة وأن أمن وسلامة العـــالم يعتمد الى حد كبير على توازن القوى بين هذه الكتل المتضاربة وأن أى اختلال لتوازن القوى داخل أى دولة فى العالم يصحبه اختلال فى ميزان القـــوى العالمية من أجل ذلك فان مبدأ البقاء أصبح له قيمة كبيرة فى العصر الحديث وأن أى دولة تفتقر الى هذا المبدأ فانه سوف يفرض عليها فرض من الخارج وربما يؤدى ذلك الى تدخل عسكرى فى شئونها الداخلية هذا ما حدث بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ م وهذا ما جعل الولايات المتحدة تتردد فى سحب قواتها من فيتنام الجنوبية دون أن تحصل على ضمانات بعدم اختلال

توازن القوى فى منطقة جنوب شرق آسيا لصالح الكتلة الشيوعية ٠

ان اتفاق المعسكرين الشرقى والغربى على وجود مناطق محايدة بين المجال الحيوى لكل منها ليحول دون تصادم القوتين الكبيرتين ترتب عليه وجود دول عازلة Buffer States يحترم الطرفان حيادها ٠ هذه الدول المحايدة قد فرض عليها مبدأ البقاء فرضا ، وما الحرب التى تدور رحاها فى جنوب شرقى آسيا بين الشرق والغرب الا نتيجة لعدم اتفاق الطرفين على حياد منطقة الهند الصينية ٠ اما بالنسبة للدول الأفريقية فلم يكن لهـــا مبادىء توحدها قبل وصول المستعمر اليها اما اليوم فان استقرار الدول الدول الافريقية يعتمد الى حد كبير على نجاح القوى العظمى فى فرض مبدأ البقاء على المناطق التى كان يحتلها ٠ فمثلا نجح الاستعمار البريطانى فى أن يفرض مبدأ البقاء على شعوب دول غرب أفريقيا بينما فشل فى أن يفرضـــــه فى نيجيريا قبل حصولها على الاستقلال وكذلك الحال بالنسبة للاستعمار البلجيكى فلقد فشل فى أن يفرض مبدأ البقاء فى الكنغو (زائيرى) ومن أجل ذلك رأينا الحرب الأهلية تنتشر بين أفراد هذه الشعوب ٠ وعلى العكس من ذلك نجد أن هناك دولا تتكون من شعوب وعناصر مختلفة ولكنها اتحدت لغرض واحد وهو طرد المستعمرين من أراضيهم وبعد أن حصلت على الاستقلال وجدت نفســـــها مضطرة الى ان تتوحد والا عاد المستعمر اليها مرة أخرى ٠

لهذا فان مبدأ البقاء اصبح متعلقا بخوفها من عودة الاستعمار اليها ٠ ومن أمثلة هذه الدول نذكر يوغوسلافيا والتى تتكون من عدة قوميات لكل واحدة منها تاريخها وحضارتها وأساليبها وأمانيها ولا يوحدهم سوى الخوف من الوقوع فى قبضة الاستعمار بعد أن تخلصوا من استعمار امبراطورية النمسا والمجر والامبراطورية العثمانية ٠

وهناك دول أخرى تتكون من عدة شعوب وأجناس ولكن بعضـــــها قوى ويتطلع الى الاستقلال والانفصال ويرجع السبب فى ذلك الى أن مبدأ البقاء فى هذه الدول قد ضعف أو أنه لم يعط الفترة الكافية ليتغلغل فى نفوس وشعور القومية المعارضة ٠ من أجل ذلك فان وحدة الدول وبقائها لمدة من الزمن تستطيع الدولة خلالها نشر مبادئها واقناع الأقلية الشاذة بسمو الهدف الذى تسعى اليه أمر لا مناص منه ٠ وحيث أن هذه الأقلية الشاذة لديها من

القوة ما يشجعها على اعلان مبدأ الانفصال فليس هناك حل أمام الدولة أو الحكومة سوى فرض مبادئها بالقوة الى أجل محدود ينتهى اما باقناع تلك الأقلية باعتناق مبادىء الدولة أو أن الدولة سوف تجد الحل المناسب لهذه المجموعة باعطائها نوعا من الاستقلال الداخلى كما فعلت أسبانيا مع اقليم كتلونيا واقليم الباسك وأما أن تصبح مسيطرة على هذه القومية بالقـــوة وأما أن تضعف الدولة وتعطى الاقليم المنفصل استقلاله كما حدث للهند ٠ وأما أن تقاوم القوة بالقوة حتى تضعف قوى الدولة وتنقسم اخيرا الى عدد من الدويلات كما حدث لكل من امبراطورية النمسا والمجـــر والامبراطورية العثمانية ٠

وبهذا يمكن أن تقسم الدول الى ستة أقسام :

أحدها الدول الموحدة ثقافيا والتى تتميز بالوحدة التـــامة بين افراد شعبها وخاصة من ناحية اللغة والثقافة وهذا لا يعنى عدم وجود خلافات بين الطبقات الاجتماعية للمجتمع ٠ من هذه الدول المملكة العربية الســـعودية والمجر والسويد ونيوزيلندا والولايات المتحدة ٠

وثانيهما الدول التى اندمجت فيها الأمم الأخرى أو الأقليـــــات حتى أصبحوا لا يفكرون فى أنفسهم كأمم مستقلة رغم أنهم يحافظون على لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم ٠ هذه الأمم ليست بأقليات مناوئة أى أنهـــا لا تهدد وحدة البلاد بشكل من الأشكال مثل المسلمون الذين لم يغادروا الهند إلى الباكستان بعد التقسيم والذين يعيشون فى سلام مع الأكثرية الهندوسية وكذلك الحال بالنسبة لسكان كل من ويلز واسكتلندا فى المملكة المتحدة فهم لا يفكرون فى الحصول على الاستقلال بأى شكلمن الأشكال رغم أنهم يشعرون بأنهم يختلفون اختلافا كبيرا عن سكان انجلترا ٠

ثالثهما الأمم التى لم تندمج وليست مستعدة لتهيئة نفسها للاندماج مع بقية الشعب ٠فهم يحافظون على لغتهم وثقافتهم وهم يطالبون دائما بالاستقلال الكامل أو الاستقلال الذاتى أو الانضمام الى دولة مجاورة ٠ من هذه الأمثلة الأقلية الألمانية التى تعيش فى التيرول الجنوب فهم يطالبون أما بالاستقلال الذاتى أو الانضمام الى وطنهم الأصلى النمسا ٠ وكذلك الحال بالنســـــبة للأقليات السلافية فى النمسا والأقليات المجرية فى رومانيا والأقليات الألبانية

فى يوغوسلافيا والأقليات الكردية فى كل من العراق وايران • ومما لا شك فيه أن هذه الأمم سوف تهدد أمن وسلامة الدولة اذا وجدت الفرصة السانحة •

رابعهما الدول التى تتكون من أمتين أو أكثر بحيث يكون عددهما متقاربين أو ان أحدهما أقل عددا وأكثر قوة مثل بلجيكا وتشيكوسلوفاكيا وبيرو واكوادور • بعض هذه الدول اتبعت النظام الفدرالى فى الحكم بحيث يصبح لكل أمة حكمها الداخلى ولها ممثلون فى الحكومة الفيدرالية للاشتراك فى سياسة البلاد الداخلية والخارجية غير أن بعض هذه الدول لا تزال تتبع نظام الحكم المركزى وربما يرجع السبب فى ذلك الى الخوف الذى يسيطر على الشعب الأكثر عددا من انفصال الأمم الأخرى وبهذا سوف يتبدد شمل الدولة أو الاقليم •

خامسهما وجود جزء من شعب داخل الدولة المجاورة وأن الدولة تطالب بضم شعبها اليها كما حصل بالنسبة لاقليم السوديت فى تشيكوسلوفاكيا واقليم الألزاس واللورين فى فرنسا وكمطالبة بلغاريا ببعض أجزاء من يوغسلافيا ومطالبة اليونان باقليم مقدونيا فى يوغسلافيا ومطالبة النمسا باقليم التيرول الجنوبى • وليس معنى هذا أن سكان الاقليم المتنازع عليه يريدون الانضمام الى الدولة المدعية •

وأخيرا قد تكون هناك أكثر من أمة داخل الدولة • ولكن تفصل بينهم حواجز اقتصادية واجتماعية عالية• فاذا كان المستوى الاقتصادى والاجتماعى لكل من الفلمنك والوالون فى بلجيكا متقاربة فان المستوى الاقتصادى والاجتماعى بين التشيك والسلوفاك مختلفا اذ أن السلوفاك أقل تطورا من الناحية الاقتصادية من التشيك وقد نجد الفرق كبيرا فى دول أمريكا الجنوبية اذ أن مستوى التعليم بين الهنود الخلاسيين والمستيزو أقل من الأوربيين وهذا ينعكس على المستوى الاقتصادى فبينما نجد الأوربيين أغنياء نجد الهنود الحمر فقراء • هذا المثل يمكن أن يطبق على بعض الدول الأفريقية • حيث يتكون الشعب من أمتين مختلفتين أحدهما الأفريقيون سكان البلاد الأصليون والآخر الأوربيون المستعمرون وخاصة فى جنوب أفريقيا وزامبيا وروديسيا •

الوحدة القومية :

مما تقدم تعرفنا على نوع الخلافات التى تنشأ داخل الدولة وهنا نتساءل عن المؤثرات التى تتركها هذه الخلافات بين أفراد أعضاء الدولة الواحدة على الوحدة القومية وتماسك الدولة ضد التفكك والانحلال أو ضد الاعتـــداءات الخارجية وذكرنا فيما سبق أن مبدأ البقـــاء له أكبر الأثر فى كيان الدولة وتماسكها ولكن هذا المبدأ لا يسود بدرجة واحدة فى جميع دول العالم اذ أن المشكلة التى تواجهها الدولة هى معرفة مدى فعالية هذا المبدأ • ان أحسن وقت تظهر فيه شعور الشعب هو وقت الأزمات وعندما تقف الدبلوماســية أمام طريق مسدود •

فى هذا الظروف الحرجة يظهر الشعور الحقيقى لجميع فئات الشعب فاذا كانت الدولة تتكون من أمة موحدة وشعب تربطه روابط ومبادىء قوية فانه ولا شك سوف يقف مع حكومته ضد أى معتد غاشم تسول له نفســه التدخل فى شئون البلاد الداخلية أما اذا كانت هناك فئة أو فئات لا تدين بالولاء للحكومة فان شعورها سوف يظهر عليه نوع من الفتور وعدم التحمس للدفاع عن الوطن حيث أن الدولة سوف تصبح فى أمان اذا لم تتحد الجماعات المعارضة أما اذا استغلت الأقليات أو الفئات المعارضة الظروف الحرجة التى تمر بها البلاد وعملت على اشاعة الفوضى والبلبلة لتساعد العدو الخارجى على تحقيق أهدافه فانه ولا شك سوف تكون هذه الفئات وبالا على البلاد • ولقد حدث أثناء الحرب العالمية الثانية حينما حاول الألمان الذين يعيشون فى الجزر البريطانية أن يثيروا الشعور المحلى لاسكتلندا ضد انجلترا فى وقت كانت البلاد فى أمس الحاجة الى توحيد جهودها ضد العدوان الخارجى • ولقد استغل الألمان أيضا الشعور المحلى للفلمنك وأثاروه ضـــد الحكومة البلجيكية وقت الحرب •

مما لا شك فيه أن هناك اختلافات محلية داخل كل دولة بين اقليم وآخر وكذلك بين أحياء المدينة الواحدة ، فاذا تعمقنا فى هذه الخلافات فاننا نجدها داخل كل بيت وبين أفراد العائلة الواحدة • هذه هى سنة الحياة • ان معظم هذه الخلافات تزول اذ وجدت المصلحين • وقد تتفاقم وتكبر اذا وجدت من يشيعها ويكبرها كمن يزيد النار حطما • لقد وجد المستعمر هذه الخلافات أرضا خصبة يزرع فيها روح العداء والحقد بين أفراد الأمة الواحدة ليفرقهم

فى سبيل مصلحته وهكذا أثار الانجليز شعور الكراهية بين أفراد الشعب الهندى ضد المسلمين حتى حصلت الفرقة عام ١٩٤٧ وانفصلت الباكستان الى شرقية وغربية • وهكذا أيضا أثير شعور الكراهية قبل الحرب العالمية الأولى بين الصرب والكروات وبين معظم الشعوب المكونة لامبراطورية النمسا والمجر والامبراطورية العثمانية حتى تفككت وتقسمت وبهذه الطريقة استطاع الاستعمار أن يوحد الدول الصغيرة المستقلة بالسياسة التى تخدم مصالحه حتى بعد الاستقلال • فالوحدة القومية اذا هى أن يتحدد جميع أفراد الأمة الواحدة تحت مبدأ قوى يتمسكون به ويحافظون به على كيانهم السياسى والاقتصادى وأن لا يتركوا ثغرة تشككهم فى مبادىء وحدتهم من أجل هذا فلقد اختارت المملكة العربية السعودية مثلا مبدأ الاسلام لتقوم عليه البلاد وهو بدون شك أسمى المبادىء التى عرفها البشر •

الأقليـــــات :

تتكون الأقليات من بقايا الشعوب التى كانت تعيش فى منطقة معينة ثم نزلت بها عناصر جديدة تغلبها فى العدد وبهذا طغت العناصر الجديدة على العناصر القديمة حتى جعلتها أقلية وهنا يحصل الصراع بين الأقليتين كل منهما تحاول أن تبتلع الأخرى وتقضى عليها • وفى هذه الحالة فان الأقلية الضعيفة تنزوى فى مناطق معزولة وتحافظ على كيانها هذا من جانب ومن جانب آخر فقد تغزو قومية أخرى ولكنها تجد المقاومة الشديدة فتضطر الى الانسحاب تاركة بعض أفرادها فى الأماكن الجديدة مثل الألمان فى منطقـــة الالزاس واللورين ولكسمبرج وبعض الفرنسيين فى الجزائر • وهناك أقليات أخرى أتت نتيجة هجرة بعض العناصر البشرية من منطقة الى أخرى آهلة بالسكان فبهذا تبدو العناصر الجديدة غريبة فى وسط العنـــــاصر الأصلية وبهذا تصبح أقلية فى تلك المنطقة •

هناك العديد من الشعوب التى حاولت أن تضطهد الأقليات مثل ما فعل البروسيون ضد البولنديين فى القرن التاسع عشر والبولنديين ضد الأوكرانيين عام ١٩١٩ والمجريين ضد السلوفاك والرومانيين قبل عام ١٩١٤ والاسبان ضد الكتلان والروس ضد شعوب حوض البحر البلطى ، وهذا ما يترك الحقد بين الشعوب وبهذا فان الغالبية تحاول أن تفرض لغتها وثقافتها غير أن بعض هذه الأقليات تقاوم الضغوط وتطالب بالانفصال فالبولنديون قاوموا الروس

فى القرن التاسع عشر وقاوم الشيك النمساويين ، وقاوم الصرب والبلغاريون واليونانيون الأتراك وقاوم سكان التبت الصينيين وقاوم الجزائريون الفرنسيين وهكذا استطاعت بعض هذه القوميات أن تحافظ على كيانها ضد القوى الكبرى · أن شعور هذه الأقليات بأنها فئة يجب أن تكون متحدة وأن هذا الاتحاد لم يأت جزافا · أنه نتيجة خبرة طويلة مر بها ذلك الشعب · ولكن هناك أسباب مباشرة غالبا ما تجمع كلمة الشعوب للوحدة · فالقوميـــة الهولندية توحدت تحت دولة واحدة فى منتصف القرن السادس عشر ، لقد أتت تلك الوحدة بعد عصور طويلة من التجارب والخبرة وبهذا ذاقوا طعم الوحدةوكونوا لأنفسهم قومية هولندية· وكذلك الحالبالنسبة للقوميةالانجليزية فلقد توحدت وتكونت فى عصر الملكة اليزابيث الأولى فى النصف الثـــانى من القرن السادس عشر · وبهذا يمكن أن نعرف الأقلية بأنها طائفة اجتماعية أو دينية أو لغوية أو جنسية مختلفة عن المجموعة التى تعيش معها فى الوحدة السياسية ، فهى أما أن تكون مسالمة ومؤيدة لسياسة الدولة التى تعيش فيها وأما أن تكون ميالة الى الانفصال وتكوين وحدة سياسية قومية جديدة ومن أمثلة النوع الأول البولنديون فى ألمانيا والجالية البخارية واليمنية والأفريقية فى المملكة العربية السعودية · ومن أمثلة النوع الثـــانى البولنديون فى تشيكوسلوفاكيا والالبانيون فى يوغســـلافيا والألمان فى تشيكوسلوفاكيا وسيليزيا العليا ، والنمساويون فى البترول الجنوب فى ايطاليا والألمان فى شلزفيج فى الدانمرك · فهؤلاء جميعا يهددون السلم العالمى وربما يعود خطر هذه الأقليات الى كونها تعيش مجاورة لشعوب تنتمى اليها قوميتها وتود الانضمام اليها لتتكامل وحدتها السياسية القومية · ومن الطريف معــرفة منطقة البلقان والتى يعيش فيها عدد كبير من الاقليات القومية كالأقليـــات الألمانية والرومانية والايطالية والروسية والتركية واليونانية والبلغارية فى عدد من دول البلقان حتى أن المنطقة أصبحت تدعى باسم المتحف الانثرجرافى·

ومن الملاحظ أن الأقليات سواء كانت مسالمة أو غير مسالمة تحافظ دائما على لغتها ، وهذا هو المظهر الذى يميزها عن غيرها من بقية أجزاء الدولة غير أن العديد من الدول تسعى الى كبت لغة الاقليات ونشر اللغة الرسمية للدولة وهذه تختلف من دولة الى دولة ومن أقلية الى أخرى ، فاذا كانت الأقلية مناصرة فانها تمنح بعض الحريات من قبل الحـــكومة المستضيفة أما الأقليات المناوئة فانها تحرم من هذه الامتيازات بحجة أن هذا الامتيـــاز

يساعد على تنمية الفرقة بينها وبين عناصر الأمة التى تعيش معها ٠ ومن الجدير بالذكر أن مؤتمر السلام الذى عقد فى باريس عام ١٩١٩ - ١٩٢٠ م قد أجبر الدول التى ترك بها أقليات على توقيع معاهدة حماية الأقليات والتى بواسطتها أعطيت الاقليات حماية الأرواح والأملاك كما أن على كل دولة موقعة على تلك المعاهدة أن تعامل الأقليات التى بها كسكانها الأصليين دون التمييز بينهم من ناحية المولد او الأصل أو الجنس أو اللون او الدين وأن لكل مجموعة من هذه الاقليات الحق فى أن تمارس طقوسها الدينية بحرية وبأى شكل سواء كان خاصا او عاما كما نصت المعاهدة على الزام الدول اعطاء الاقليات الحق فى أن تدرس لغتها فى جميع مراحل الدراسة غير أن كثيرا من الدول لم تلتزم بهذه الوعود وخاصة ايطاليا حيث أنها لم تعط الأقلية الالمانية فى التيرول الجنوبى ولا الأقلية السلافية فى تريستا حرية تعليم لغتها ، وهكذا مع بقية الدول ففرنسا تبدى وجهة نظرها بأن المواطن سواء كان فرنسى الأصل أو من الأقلية الالمانية يجب ان يتسلح للعمل فى فرنسا وذلك باجادة اللغة الفرنسية فاذا جعلت اللغة الفرنسية لغة اضافية فان المواطن لن يتسلح لمواصلة الحياة الفرنسية وهكذا ٠

اما الأقليات الدينية فليس لها نفس الأثر الذى للأقليات اللغوية الا فى مناطق محدودة من العالم اهمها الأقلية البروتستانتينية فى ايرلندا والأقلية الارثوذكسية والأقلية اليهودية فى بولندا والأقلية الارثوذكسية فى البانيا ٠ والتى تقوم فى وسط محط اسلامى حيث تبلغ نسبة المسلمين حوالى ٧٠٪ من مجموع سكان البانيا ٠

تبادل الأقليات :

بدأت الدولة العثمانية بأول اقتراح لتبادل الأقليات عام ١٩١٣م وكان الهدف منه فى ذلك الوقت هو التخلص من الأقليات المسيحية خوفا من اقتطاع جزء من أراضيها واعطاءه للدول المجاوره بسبب هؤلاء الاقليات التى تعيش فى جسم الدولة ٠ غير أن اقتراحها كان حبرا على ورق حتى بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وحينما تم الاتفاق بين كل من تركيا واليونان على التبادل الاجبارى لجزء من شعبيهما عام ١٩٢٣ م معتمدين على الفوارق الدينية حيث كان باليونان ٣٥٥٦٣٥ تركى مسلم بينما كان عدد اليونانيين

المسيحيين فى تركيا ٥ر١ مليون نسمة وبهذا الاتفاق أجبرت الاقليات فى كلا البلدين على مغادرة منازلهم وترك أعمالهم والهجرة الى الوطن الأصلى دون أن يكون لديهم الوقت الكافى لبيع ممتلكاتهم وتصفية أعمالهم ٠

وبما أن عدد اليونانيين الذين غادروا تركيا كان أكبر من عدد الأتراك الذين غادروا اليونان فلقد كانت خسارة اليـــونانيين كبيرة ٠ ويرى بعض الكتاب أن سوء التفاهم بين الشعبين التركى واليونانى فى الوقت الحاضر وعدم مقدرتهم الوصول الى حل نهائى لمشكلة قبرص انمــــا تعود الى هذه الحقبة من الزمن ٠ ولقد تبع هذه الحركة البشرية الدولية حركات مماثلة بين بعض الدول فلقد تبادلت اليونان وبلغاريا الأقليات حيث غادر بلغاريا الى اليونان ٨٠٠ر١٠١ يونانى مقابل ٥٢٨٩١ بلغارى ولقد كانت هذه الهجرة منظمة وعوض فيها جميع أفراد الشعبين عن ممتلكاتهم ٠

أن أهم تبادل سكانى تم بعد الحرب العالمية الثانية كان بين الهنـــــد وباكستان ويقدر الخبراء بأن حوالى سبعة ملايين هندى هاجروا الى الهند مقابل خمسة ملايين مسلم باكستانى هاجروا الى الباكستان ٠

أن تبادل الأقليات ليس بالحل الأنسب لمعالجة مشاكل الشعوب الا اذا تم بشكل منتظم يعطى الفرد المغادر التعويض المناسب والمرضى كما أن على الدولة المستقبلة أن تهيىء البرامج الضرورية لتوفير الراحة التامة والعمل المناسب لهؤلاء القادمين وهذا ما يصعب تحقيقه فى كثير من الحالات لأن ارضاء الجميع ليس بالأمر السهل ٠

فمما لا شك فيه أن التبادل الارتجالى للشعوب انما ينتج عنه مشاكل جمة لكلتا الدولتين وخاصة أولئك الضحايا الذين سوف يدفعون الثمن غاليا نتيجة لقرارات سياسية ٠ وغالبا ما ينتج عن هذا التصرف شعور بالعداء بين الشعبين والأفضل من هذا وذاك أن لا تكون هناك حاجة الى التبادل وأن تتبع كلتا الدولتين سياسة حكيمة فى اعطاء الأقليات جميع الامتيازات التى يتمتع بها شعبها وأن يعيشوا فى سلام وأمن ٠

اللاجئون ومشكلاتهم :

منذ الحرب العالمية الأولى ازدادت نسبة أولئك الذين أجبروا على ترك

بلادهم وأملاكهم لأسباب سياسية واقتصادية وحربية فلقد بلغ عدد الذين هاجروا منذ ذلك الوقت حتى الآن ما يزيد عن خمسين مليونا من اللاجئين فى مختلف أنحاء العالم كان أهمها هجرة الألمان الذين أجبروا على مغـــادرة كل من تشيكوسلوفاكيا وبولندا عام ١٩٤٥ م ٠ هذا بالاضافة الى أن الاتحاد السوفيتى قد أجبر البولنديين والفنلنديين على مغادرة الأجزاء التى احتلها ٠

وكان الجزء الأكبر من اللاجئين الذين غادروا أوطانهم أثناء الحرب العالمية الثانية حينما تقدمت الجيوش الروسية نحو الغرب وعندما اتبع هتلر سياسة التمييز العنصرى ضد الشعوب ٠ ومعظم هؤلاء اللاجئين الأوربيين قد وجدوا من يستقبلهم بصدر رحب ٠ فاللاجئون الألمان استقصلتهم ألمانيـا الفيدرالية والبولنديون استقبلتهم بولندا والفنلنديون استقبلتهم فنلندا علما بأن هذه الاستقبالات لم تكن سهلة وميسورة لقد واجهت الدولة المستقلة العديد من المشاكل لتؤمن لهم سبل الحياة الكريمة والعيش الرغيد ٠

وفى الواقع ان دمج اللاجئين فى شعب الدولة المستقبلة ليس بالأمر الهين الذى يتصوره الانسان وخاصة اذا كانت تلك الدولة تعانى من نقص فى مواردها الاقتصادية وزيادة فى سكانها ٠ هذا الوضع ينطبق على اللاجئين الفلسطينيين عندما أجبرتهم اسرائيل على ترك أراضيهم ومغادرة البلاد اذ يقدر عدد اللاجئين العرب الذين غادروا منازلهم عام ١٩٤٧ بأكثر من مليون فلسطينى توزعوا على الدول العربية على النحو الآتى : (١)

الدولة	عدد اللاجئين
الأردن	٥٧٠٠٠٠
لبنـــــان	١٢٥٠٠٠
ســـوريا	١٠٥٠٠٠
قطاع غزة	٢٤٠٠٠٠

هؤلاء اللاجئون حافظوا على وحدتهم وتمسكوا بشخصيتهم المســتقلة كفلسطينيين وعاشوا فى أسوأ الظروف الطبيعية تحت رحمة الحســــنات والتبرعات التى تعطى اليهم سواء من اخوانهم العرب أو من المنظمات الدولية

1. New York Time, May, 21. 1930Y.

منتظرين العودة الى وطنهم وديارهم وحتى أولئك الذين غادروا مخيمات اللاجئين للعمل فى الدول المجاورة لم يندمجوا مع شعوب تلك الدول • بل بقيت لهم شخصيتهم المميزة يحافظون عليها بانتظار يوم العودة •

لم يلق اللاجىء العربى الاستقبال الحافل الذى لقيه زميله الأوربى وربما يرجع السبب فى ذلك أن اللاجىء الفلسطينى مزارع فى الدرجة الأولى ترك أراضيه الخصبة ليحل فى صحراء قاحلة مزدحمة بسكانها •فالأراضى شاسعة ولكن توفر مصادر المياه هى التى تقف فى طريق اللاجىء العربى • فاذا قارنا اللاجىء العربى باللاجىء الفنلندى فاننا نجد الأخير قد نزل بأراضى زراعية كثيرة الشبه بالأراضى التى غادرها كما أنه وجد أخوة له فى الوطن الجديد شاطروه لقمة العيش • فمعظم الفلاحين الفنلنديين اقتطعوا أجزاء من أراضيهم لتوطين القادمين • ان هذا الشعور النبيل متوفر لدى الفلاح العربى ولكن ما حيلته اذا كانت أراضيه لا تفى بحاجة أولاده وذويه •

الى جانب اللاجئين العرب فان هناك ما يزيد على مليون لاجىء هاجروا من الصين الى تايوان وهنب كنج يعانون الكثير من قلة العمل كما أن هناك ٢٠٠٠٠٠ لاجىء مجرى تركوا ديارهم أمام الغزو الروسى عام ١٩٥٦ غير أن هؤلاء اللاجئين وجدوا من يستقبلهم فى أوربا الغربية والولايات المتحدة لأسباب سياسية وبهذا يمكن أن نقسم اللاجئين الى قسمين :

اللاجئون لأسباب سياسية :

وهؤلاء تركوا أوطانهم لأن أفكارهم السياسية لا تتمشى مع الأفكار السياسية السائدة فى الدولة فالعرب الذين غادروا اسرائيل لم يكن هدفهم سوى الهروب من النظام القائم على تهويد الدولة الاسرائيلية والخوف من الاضطهاد والقتل وخاصة وأنهم رأوا المذابح فى دير ياسين وغيرها وعدم مساواة العرب باليهود ، وكذلك الصينيون الذين هربوا الى هنج كنج لم يكن هدفهم سوى الهروب من النظام الشيوعى وهكذا يمكن أن يدخل ضمن هذا اليهود الذين هربوا أمام الاضطهاد الألمانى لكونهم يدينون بدين يهودى ولكونهم ينتمون الى سلالة معينة ، والمجريون الذين هربوا أمام الغزو الشيوعى للمجر لأن أفكارهم السياسية لا تتلائم مع أفكار ومبادىء الغازين • والأمثلة على هذا النوع من اللاجئين كثيرة •

اللاجئون لأسباب غير سياسية :

هناك أسباب ثقافية وحضارية تدعو العديد من الناس الى مغـــادرة أوطانهم · فبامكاننا أن نطلق على اللاجئين الهنود واللاجئين الباكستانيين بأنهم لاجئون قوميون لأنهم غادروا بمحض ارادتهم رغبة فى الانضمام الى قوميتهم وعدم الرغبة فى أن يعيشـــــوا أقليات فى وسط غريب ، فهؤلاء اللاجئون لم يجبروا على مغادرة البلاد وانما شعورهم القومى والثقـــافى والحضارى هو الدافع القوى لمغادرتهم وجعلهم لاجئين ·

قد يجلب اللاجئون الخير والرفاهية الى سكان الدولة التى ينزلون بها اذا كانوا يحملون خبرات وتجارب طويلة يمكن الاستفادة منهــــا · فلولا اللاجئون الألمان الذين قدموا من أوروبا الشرقية لما تقدمت ألمانيا الغربيـــة تقدما سريعا وخاصة اذا كانت الدولة التى أتوا اليها فى حاجة الى أيدى عاملة ماهرة وفنية وأن مصادرها الاقتصادية لم تستغل الاستغلال اللازم ، وكان هؤلاء اللاجئون ممن تتوفر فيهم شروط اليد العاملة الفنية المنتجة ·

الفصل السابع

القوة

من الصعب تعريف القوة لأن للفظ استعمالات مختلفة • ففي ميدان الرياضيات تعتبر القوة ناتج ضرب الرقم باستمرار في نفسه • اما في ميدان الفيزياء فأن القوة تعني معدل انتقال الطاقة في عمل احدى المكائن • اما في ميدان العلاقات الانسانية فان القوة تعني القدرة على احداث الآثار المرغوب فيها • وهي بهذا يصبح ميدانها التاثير على عقول وتصرفات الآخرين اما في المفهوم العسكري فأن القوة تعني القدرة على شن الحروب وانجاحها غير انه يجب ان تلاحظ ان التعريف العسكري قد تغير مفهومه في العصر الحاضر نتيجة لاختراع القنابل الذرية والهيدروجونية وامتلاك عدد كبير من الدول لها وهذا يعني ان القوة اصبحت القدرة على الردع المتبادل بين الدول النووية• غير ان القوة العسكرية لا زال لها اثرها في العلاقات الدولية وان الدبلوماسية الناجحة هي تلك الدبلوماسية التي تصاحبها المدافع والطائرات المتطورة • وهنا يجب ملاحظة انه من الصعب تقدير قوة دولة من الدول ما لم تكن تلك الدولة تستعمل قوتها الفعلية في زمن ومكان معينين اما تقديرات القوة في وقت السلم فما هي الا امكانية الدولة المحتملة او مدى قدرة الدولة على استخدام قوتها • وعند الكلام عن قوة الدولة يجب ان نضع في اعتبارنا القوة النسبية لغيرها من الدول المنافسة او المعادية فاذا ما قلنا ان عدد سكان المملكة العربية السعودية سبعة ملايين نسمة مثلا فان هذا العدد لا علاقة له بمعنى القوة الا اذا قارنا بين قوة المملكة العربية السعودية السكانية وبين جيرانها من الدول كما ان العدد المطلق لا يعطي فكرة واضحة عن قوة الدولة الا اذا حللناه فالمقارنة بين سكان المملكة العربية السعودية وغيرها تكون افضل لو حللنا اعداد السكان ووزعناه بين فئات السن المختلفة والجنس والمهارات المتنوعة ومستوى التعليم كما ان عدد الطائرات التي تمتلكها الدولة لا يعني كثيرا اذا لم يعرف مدى وسرعة الطيران وقدرة الطائرة على حمل الأسلحة والذخيرة كما ان عناصر القوى تتشابك مع بعضها البعض فلا يمكن ان نفصل عاملا من عوامل القوى عن غيره من العوامل الأخرى فمثلا القوة العسكرية وحدها لا تكفي اذا لم تكن خلفها عدد من السكان الكافي لتجنيدهم وقت اللزوم واذا لم يكن خلفها تطور تقني وصناعي يستطيع ان يعوض الجيوش عما خسرته في المعركة كما اننا نلاحظ ان الكثرة او القائض في بعض عناصر

القوى قد لا يؤثر كثيرا بل العكس قد تظهر له عيوب فمثـــــلا ازدياد عدد سكان الصين والهند قد يكون عنصر قوة فى وقت الحرب ولكن من ناحيـة اخرى قد يكون عنصر ضعيف حيث تعجز كل من الدولتين عن تزويد سكانها بحاجتهم من الغذاء والملبس والشئون الصحية ٠

وقد تمتلك دولة من الدول بعض المعادن الاستراتيجية الهامة والتى تساهم مساهمة فعالة فى قوة الدولة وقد يؤدى امتلاكها لهذا المعدن الى تنافس الدول الكبرى للحصول عليه ويصبح المعدن فى هذه الحالة عبئا على الدولة قد يجلب لها الاستعمار ويعمل على اضعافها ٠ بالاضافة الى ما تقـــدم يصبح مدى كفاءة الشعوب فى استخدام القوى أمرا حيويا فقد يمتلك احد الجيوش أسلحة متطورة لا يمتلكها عدوه غير أن كفاءته فى استخدامهـــا رديئة قد يجعل جيش العدو بما يملك من اسلحة غير متطورة يسيطر على الموقف ويهزم الجيش الذى يملك اسلحة متطورة ٠

كما أن عناصر القوى تتغير يوما بعد يوم ففى يوم من الأيام كان الفحم يعتبر أحد عناصر القوى الرئيسية أما اليوم فان البترول قد حل محله فى كثير من الاستخدامات بينما قلت اهمية الفحم نوعا ما وقد تشاهد فى المستقبل تطور مقدرة الطاقة الذرية واحلالها محل البترول وبهذا تقل اهمية البترول كمصدر من مصادر القوى كما أن الصواريخ الموجهة وعابرة القارات قد قللت من اهمية الطائرات كمصدر من مصادر القوى وهكذا تغير عناصر القوى بواسطة التطور التقنى واختراع اسلحة جديدة تحل محل الأسلحة القديمـة وحتى الاستعداد للحرب قد تغير حتى أصبحت حروب المستقبل تدار بالازارير من غرفة واحدة فهناك فرق كبير بين قاذفة القنابل والتى تحتاج الى بضع ساعات لتكون مستعدة للقتال والقاذفة المستعدة للاقلاع والقاذفة الموجودة فعلا فى الجو ٠ وأصبحت الحروب الحديثة حروبا مباغتة فلا قيمة للطائرة الموجودة على الأرض اذ أنه قد لا تستطيع أن تحلق فى الجو قبل أن تضرب فى مكانها ولهذا فعند تحليل عناصر القوة يجب أن لا ينظر الى الماضى فقط أو الى الحاضر بل يجب أن ينظر الى ما يمكن أن يكون فى المستقبل ٠ وعنـــد تقدير قيمة دولة ما يجب أن تكون التقديرات دقيقة وأن يراعى عامل الزمن بالدرجة الأولى فمثلا لو قارنا بين عدد الصواريخ عام ١٩٥٠ وعام ١٩٦٠ وعام ١٩٧٠ وعام ١٩٧٥ لوجدنا أن النتائج مختلفة فعدد الصـــواريخ التى تمتلكها دولة ما قد تغير وعدد الدول التى تمتلك الصواريخ قد تغيرت

أيضا وهنا يجب أن ننظر الى عدد الصواريخ وعدد الدول المحتمل أن تمتلك صواريخ ذرية فى المستقبل والتى قد تكون قد طورت صواريخها بطرق سرية فتغير موازين القوى وقت الحروب ٠

والخلاصة أنه لتقدير قيمة الدولة يجب مناقشة بعض العناصر الرئيسية كالسكان والظروف الاقتصادية والتنظيم الحكومى والعسكرى والظروف الاجتماعية والنفسية على النحو الآتى :

١ ـ السكان :

مما لا شك فيه أن هناك علاقة وثيقة بين حجم السكان وقوة الدولة وأن أى زيادة فى عدد السكان انما تعنى زيادة فى قوة الدولة البشرية فى المستقبل وعلى سبيل المثال نجد أن الزيادة السكانية الكبيرة التى تمت فى غرب أوربا خلال القرون الثلاثة الماضية فلولا ذلك النمو وتلك الزيادة لما كان للنفوذ الأوروبى أية سيطرة على معظم دول العالم الثالث ٠ ولولا ذلك النمو لما انتشرت الثقافة الأوروبية فى جزء كبير من سطح الأرض ٠ ولولا أن عدد سكان الاتحاد السوفيتى يقرب من ٢٥٠ مليونا وعدد سكان الولايات المتحدة البالغ أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة لما أصبحت هاتين الدولتين عظيمتين ويجب أن تؤكد هنا أن عدد السكان وحده لا يكفى الا اذا اقترن بالتقدم العلمى والصناعى فالثقافة الغربية لم تنتشر الا بقيام الثورة الصناعية فى أوربا وما صاحبها من تقدم فى العلوم الحديثة والتقنية والتى أدت أيضا الى الزيادة فى أعداد السكان فى أوربا فى خلال القرون الثلاثة الماضية والى قيام امبراطوريات استعمارية وخاصة البريطانية والفرنسية ولا يتصور أن أى زيادة مماثلة فى سكان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية سوف تؤدى الى نفس النتيجة أو نتائج متقاربة ٠ وهنا يجب أن تلاحظ القدرة الانتاجية للدولة فاذا زاد سكان دولة ما عن قدرتها الانتاجية فقد يكون عائقا لتقدم الدولة ورقيها واذا نقص عدد السكان عن قدرة الدولة الانتاجية فقد يكون عائقا لتقدم الدولة وتقدمهم وفى هذه الحالة فانه يجب مراعاة مساحة الدولة وحجم سكانها ومدى كفايتهم الانتاجية وقدراتهم العلمية ٠ حقيقة أنه كلما زاد حجم السكان كان خيرا وبركة على الدولة وخاصة بالنسبة للجيوش أو القوات المسلحة والتى تحمى حمى الدولة من الاعتداءات الخارجية فاذا ما قامت حرب فلا شك أن الدولة صاحبة الكثرة العددية يصبح لديها القوة فى تدعيم

جيوشها وتعويض ما تفقد من جنود فى معركة النضال هذه الميزة لا تتوفر للدول ذات الأعداد الجديدة .

بالاضافة الى ما تقدم فان كبر حجم السكان يعطى الدولة فرصة تعدد الكفاءات أما اذا انخفض حجم السكان فان فرصة الحصول على الكفاءات سوف تقل ويرتفع أجر العامل وهذا بدوره يزيد نصيب العمل فى تكاليف الانتاج فلقد بلغت نسبة اجور العمال فى بعض الدول ما يزيد عن ٥٠٪ من تكاليف القيمة المضافة للانتاج نظرا لندرة العمال الفنيين من أجل ذلك تحاول الدول المتقدمة تقنيا أن تحل الآلة محل اليد العاملة فى كثير من الصناعات. تحاول الدول العربية انتهاج سياسة الحد من نمو السكان ويرجع السبب فى ذلك الى الاهتمام بمستوى المعيشة بالرغم من أن هذا الحد قد يقلل من قيمتها الحربية ومقدرتها الصناعية الا انها تعوض هذا النقص باختراع اسلحة متطورة لا تحتاج الى أعداد كبيرة من الناس وانما تحتاج الى عقول مفكرة فى المرتبة الأولى .

أن الأرقام المجردة للسكان لا تعطينا فكرة واضحة عن السكان بل يجب معرفة أولئك الذين وصلت أعمارهم بين سن العشرين والخامسة والثلاثين فهؤلاء هم الرجال الذين تعتمد عليهم الدولة فى انتاجها وهؤلاء هم القادرون على حمل السلاح وهنا يطرأ سؤال آخر وهو مدى استخدام النساء فى الانتاج وحمل السلاح فاذا قارنا بين الاتحاد السوفيتى والمانيا نجد أن السوفيت استخدموا النساء فى الانتاج وحمل السلاح خلال الحربين العالميتين بينما لم يستخدمهن الألمان وكذلك الحال بالنسبة للحروب بين العرب واليهود ففى الوقت الذى يقوم فيه نساء اليهود بالاشتراك الفعلى فى كل من الانتاج وحمل السلاح فان النساء فى الجانب العربى لم يؤدين نفس الدور وربما يرجع السبب الى توفر القوة البشرية بين العرب . يضاف الى ذلك النظر الى مستوى النساء التعليمى والتقنى فقد تحل النساء محل الرجال فى بعض المجتمعات فى كثير من الأعمال الفنية وخاصة وقت الحروب اذا أعددن ودربن مسبقا للقيام بتلك المهام بينما تلاقى مجتمعات اخرى مشاكل جمة بالنسبة لمن يحل محل الرجل اذا كانت الحاجة ماسة الى اخذه الى ميدان المعركة .

٢ - الظروف الاقتصادية :

هناك علاقة وثيقة بين الجغرافيا والاقتصاد والسياسة فالجغرافيا توجه

الاقتصاد والاقتصاد يوجه السياسة واخيرا يأتى دور الجغرافيا العسكرية والتى تبدأ حينما تنتهى السياسة بطريق مغلق فتفتح لها الأبواب وتمهد لها الطريق للسير قدما بالمجتمعات البشرية نحو مستقبل افضل ويتدخل الاقتصاد ليس فقط لقيادة الدول والمجتمعات نحو حياة افضل وقت السلم وانما يلعب دورا هاما فى تقدير قيمة الدولة وقت الحرب ٠ فمن خلال معرفة الناتج القومى الكلى للدولة ومعرفة دخل الفرد يمكن اعطاء فكرة واضحة عن مستويات المعيشة بين الدول وهذا ينعكس على مدى رضا او عدم رضا الأفراد الذين يعيشون داخل الدول عن نظمهم الاقتصـــــادية ٠ ولمعرفة قوة الدولة يمكن دراسة انتاجها الفعلى وقدرتها على الانتاج وقت اللزوم كما يجب أن يراعى الموارد الطبيعية للدولة ومدى الاكتفاء الذاتى لها كما يجب ملاحظة القدرة على امكان الوصول للموارد الخام وقت السلم ووقت الحرب ومعرفة ما اذ كانت الدولة تقوم بتخزين جزء من وارداتها للاحتفاظ به لأوقات الحـروب ومقدار المخزون لديها من الموارد وهل بامكانها لو توقف استيراد الموارد الهامة والضرورية والتى تؤثر على سير الحروب أن يكتشف او تخترع بديلا لتلك المادة من أجل ذلك اخذت الدول الكبرى والصغرى تبذل جهودها حتى يكون لديها اكتفاء ذاتى فى الموارد الرئيسية ويرتبط معيار القوى بمدى سد الحاجة من السلع المصنعة ولهذا اتجهت جميع الدول وخاصة الدول النامية نحو التصنيع حتى تستطيع أن تزود جيوشها بالأسلحة اللازمة لها كما تزودها بما ينقصها او ما يفقد منها وقت الحروب ٠

٣ ـ التنظيم الحكومى والعسكرى :

لا شك ان للتنظيم الحكومى اثارا قوية على كيان الدولة فقد يرتبط قوة الدولة بالأفراد الذين يديرون الحكم فيها وبنوع النظام الذى يسود بها فقد يتولى الحكم اشخاص اقوياء ومتمرسون فى الشئون السياسية الداخلية منها والخارجية يتمتعون ببعد النظر خصوصا فى مصالح بلادهم فيصبحون من اكبر مصادر القوة فى بلادهم ويخشاهم العدو الذى يريد ان يستنزف موارد تلك البلاد وهنا يبدأ الصراع بين المستعمر وبين الحكومات القوية فيعمل على ازالتها ولو ادى الأمر الى احتلالها عسكريا وتغيير الأفراد ثم سحب قواته مرةثانية وقد يلجأ المستعمر الىابقاء قواته فى تلك الدول لتحمىالأفراد الموالين له ٠ لقد راينا اكتساح القوات السوفيتية لكل من المجر وتشـــيكوسلوفاكيا وكيف انها استطاعت إسقاط الحكومة وتنصيب حكومة جديدة ثم سحبت

بعض قوانها بعد أن حققت أهدافها ومن الأمثلة الأخرى الصراع الذى حدث فى فيتنام وكيف أراد الغرب ابقاء حكومة فيتنام الجنوبية بينمـــــا سعى الفيتناميون الشماليون الى ازالتها ٠

وينبغى أن نشير هنا الى أن الأمثلة على قوة الأفراد الذين حكموا دولهم ثم أجبروا على الإبتعاد عن مناصب الحكم كثيرة ومتعددة لا يتسع المجال الى ذكرها جميعا كما يؤثر نوع النظام السائد على قوة الدولة فاذا كانت الدولة موحدة ومنظمة حضاريا وثقافيا وأن جميع أفراد شعبها يثقون فى حكومتهم وفى قراراتها فان ذلك سوف يعطى الدولة حرية التصرف السريع واتخـــاذ القرارات اللازمة وقت اللزوم دون الرجوع الى أخذ موافقة الشعب أما اذا كانت الدولة تتكون من عدد من القوميات أو الأقليات القوية والتى تريد أن تشارك وأن يؤخذ رأيها فى جميع القرارات فان ذلك سوف يؤخر اتخـاذ القرار السريع وقت اللزوم وحتى لا يتفكك الصف الداخلى وعلى سبيل المثال تطالب الأقليات الكردية بالعراق والأقليات الناطقة باللغة الفرنسية فى كندا بمساواتهم ومشاركتهم فى الحكم وأنهم لا بد وأن يساهموا فى أى قرار تتخذه الدولة ٠ هذه المعارضة الدلخلية قد تعوق الدولة وتمزقها وتضعف قواها أمام القوى المعادية لها ٠

أما بالنسبة للقوى العسكرية فتتلخص فى ثلاثة عوامل أولها القوى الرادعة وتتمثل فى امتلاك الدولة لأسلحة ذرية تهدد بها منافسيها أو أعداءها وثانيها الأسلحة التقليدية وأخيرا استراتيجية للدولة العســـكرية والتى بواسطتها تشعر أعداءها بقوتها وقدرتها على تنفيذ رغباتها ٠ ويعطى الدخل القومى للدولة أو الناتج القومى الكلى ونسبة ما تخصصه الدولة للجـــانب العسكرى فكرة عن مدى قوتها العسكرية فمثلا هناك دول تخصص ١٠٪ من ميزانياتها لشئون الدفاع بينما توجد دول أخرى تخصص ١٥٪ من ميزانياتها لشئون الدفاع وتزداد هذه النسبة الى أن تصل الى ٥٠٪ فى بعض الدول وفى بعض الظروف وهنا يجب معرفة الدخل القومى وما صرف على برامج الدفاع ومدى استمرارية تلك النسب لمعرفة مدى قوة الدولة فاذا كان دخل الدولة صغيرا فان تسليحها سوف يتلاءم ودخلها أما اذا كان دخل الدولة كبيرا فان ذلك ينعكس على قدرتها على التسليح فمثـــلا لو خصصت دولة صغيرة خمسين فى المائة من ميزانيتها على برامج الدفاع فقد لا يؤثر فى ميزان القوى العالمية بقدر ما يؤثر لو رفعت الولايات المتحدة أو الاتحـــاد

السوفيتى حصة برامج الدفاع وهنا يجب مراعاة القدر الكافى من التسليح فاذا كانت كلتا القوتين العالميتين وهما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يمتلكان فى مستودعاتهما أسلحة ذرية وتقليدية كافية لدمار العـــالم فان الزيادة فى برامج التسليح لن يكون لها أهمية كبيرة بقدر ما يكون الاهتمام لو قامت دولة من دول أوربا وأخذت تشحن مستودعاتهـــا بالأسلحة الذرية والتقليدية والذى قد يترتب عليه اختلال توازن القوى فى المنطقة وكذلك الحال بالنسبة لبقية أجزاء العالم ٠

٤ ـ الظروف النفسية والاجتماعية :

ان ايمان الشعب بقضية بلاده لها أهمية كبرى فى قوة الدولة لأن هذا الايمان يرفع الروح المعنوية لدى الأفراد وبما أن أفراد القوات المسلحة هم أفراد الشعب فان ارتفاع الروح المعنوية يعتبر من أهم المسائل التى تؤثر على قوة الدولة أما اذا كان الشعب لا يؤمن بالقضية التى تحارب من أجلها الدولة فان الهزيمة سوف تكون من نصيب الدولة ٠

من أجل ذلك أخذت الدول تكون ما يعرف باسم الشخصية القوميـــة والتى يعرف بواسطتها ذلك الشعب فى الأوساط الدولية فمثلا خلال القرن السابع عشر عرف الانجليز بأنهم أكثر الشعوب مشاغبة بينما عرف الألمان بأنهم أكثر برودا ومنطقية وحبا للسلام غير أن هاتين السمعتين قد تغيرتا من خلال الحروب العالمية فكل دولة فى الوقت الحاضر تحـــاول أن تخلق لنفسها سمعة لأن السمعة الحسنة تعتبر عنصرا من عناصر القوة والتى تساعد الدولة على الحصول على ردود فعل من الدول الأخرى وتبنى الدول سمعتها بناء على قوتها الاقتصادية والعسكرية فبعض الدول الغنية تقدم المعونات للدول الفقيرة لتكسب بها سمعة حسنة ولكى تكون تلك الدول بجانبها وقت الشدائد غير أن تجربة الولايات المتحدة بالنسبة للمساعدات الخارجية قد اثبتت ردود فعل قوية تسىء الى سمعة الدولة فبالرغم من أن بعض الدول تحصل على معونات خارجية الا انها تكن العداء للشعب الأمريكى وربمـــا يرجع السبب فى ذلك الى أن الهدف من اعطاء المعـــونات هدف استعمارى يقصد منه ربط اقتصاد الدولة النامية الصغيرة بالدولة الكبيرة أو يقصد منه أن تفقد الدولة شخصيتها وتصبح ذيلا لتلك الدولة الكبيرة ومن خلال تجارب الولايات المتحدة مع بعض الدول والتى لا يقصد من اعطائها مســــاعدات

خارجية اى اهداف سياسية او عسكرية لاحظنا ان الدولة المستقبلة للمعونة تصبح دولة صديقة غير ان الصداقة مرتبطة باستمرار المعونة فاذا ما توقفت لأى سبب من الأسباب فان تلك الدولة تتحول الى دولة معـــادية وينعكس الهدف الرئيسى من اعطاء المعونة الذى يتمثل فى محاولة كسب سمعة طيبة لدى شعوب للدول .٠

٥ - توزيع القوى العالمية :

يوجد فى العالم حاليا ما يقرب من ١٤٠ دولة مستقلة يختلف بعضها عن البعض الآخر من حيث المساحة وحجم السكان والموارد الاقتصـــــادية والثقافية والتقنية وأكبر الدول مساحة هو الاتحاد السوفيتى وأكثرها سكانا هى الصين وبعض الدول لديها من الموارد الاقتصادية ما يؤهلها لأن تكون قوة عالمية بينما البعض الآخر لا يملك اى من الثروة اكثر من توفير وســـائل معيشية فى مستوى الكفاف كما أن هناك عددا من الدول والتى لا تستطيع ان تعتمد على نفسها وانما تتبع لدول أخرى نظرا لعدم توفر الخبرات السياسية والادارية والفنية بها .٠ ولقد ظهر فى العالم قوتان عالميتان هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ونلاحظ أن هاتين الدولتين استمدتا قوتهما من توافر المساحة والسكان والموارد والثقافة والتقنية ٠ ونتيجة لظهور هاتين القوتين لم يجد بقية العالم أمامه الا أن ينضم الى احدهما سواء عن رغبة او عن رهبة ويتمثل هذا الانضمام فى شكل تحالف او تعـــاطف او أن تلتزم سياسية جديدة وهى ما عرفت باسم سياسة الحياد ٠ غير أن سياسة الحيـاد انقسمت أيضا الى قسمين احدهما سياسة الحياد الايجابى والذى بموجبه تجنبت الدول الدخول فى الصراعات العالمية لكلتا الكتلتين وثانيهما الحيـــاد العدوانى الذى بموجبه تفرض الدولة تحديات لأحد الدول الكبرى او كليهما وذلك بالانضمام الى احدى الدول الكبرى ضد الآخر للحصول على امتيازات فاذا ما وجدت نفسها أنها تورطت مع احدى الكتل انقلبت عليها وانضمت للكتلة الثـــــانية غير أن خوف الدول من الوفاق بين الدولتين العملاقتين وسيطرتهما على العالم دفع بعض الدول الى التجمع وتكوين مراكز قوى جديدة فى العالم فمثلا اذا ما تكاملت الوحدة السياسية لدول السوق الأوربية المشتركة فان القوى الكامنة فى السوق سوف تفوق قوة الولايات المتحـدة أو الاتحاد السوفيتى .٠ كما قامت وحدات اخرى اقتصادية مثل مجموعة دول

البنلوكس (بلجيكا - هولندا - لوكسمبرج) والاتحاد الأسكندنافي في اوربا ، وعسكرية مثل منظمة حلف شمال الأطلسي ومنظمة الحلف المركزي ومنظمة حلف جنوب شرق آسيا ومنظمة حلف وارسو ، وسياسية مثل منظمة الوحدة الأفريقية ومنظمة الجامعة العربية ومنظمة الدول الأمريكية وغيرها . غير أن الوحدات الاقتصادية والسياسية والدفاعية يعترضها العديد من العقبات أهمها أنانية القوى الوطنية أو قوة الشعور القومي للدول الصغيرة . دون النظر الى المميزات التي تحصل عليها الدولة من تحالفها مع دول أخرى فكلما كانت الدولة كبيرة كانت القوة التي تعترضها أعظم ولالقاء مزيد من الضوء على مراكز القوى اليك عرض موجز عنها في العالم على النحو التالي :

١ - امريكا الشمالية :

تعتبر قارة امريكا الشمالية من اكبر مراكز القوى في العالم نظرا لما تتمتع به من تنوع في الثروات الاقتصادية وكثرة عدد السكان بها والذين يعملون على استغلال ثرواتهم وخاصة وانهم يتمتعون بارتفاع مستوى التعليم والتقنية وارتفاع مستوى دخل الفرد . تتميز امريكا الشمالية بوجود دولتين صديقتين هما الولايات المتحدة وكندا . وتوجد مراكز القوى في القارة الأمريكية الشمالية في موقعين أساسيين :

١ - المركز الأول ويوجد في الشمال الشرقي من القارة وخاصة حول البحيرات العظمى وعلى طول نهر سنت لورنس وفي هذا الجزء من العالم تتركز القوى الصناعية حيث توجد حقول الابلاش التي تضم أهم مصادر الفحم الحجري في العالم كما أن مصادر الحديد تتوفر بكميات كبيرة في الجهة الغربية من البحيرات وعلى الفحم والحديد قامت المنطقة الصناعية حول البحيرات ويتميز شمال شرق امريكا الشمالية بوجود المساقط المائية والتي تقع على امتداد منحدرات جبال الابلاش وروافد نهر سنت لورنس ويتمثل أهم هذه المساقط في شلالات نياجرا العالمية والتي تقع على الحدود الأمريكية الكندية . وتتميز هذه المنطقة بالاضافة الى وجود الفحم والحديد والقوى الكهربائية بوجود شبكة من السكك الحديدية والطرق البرية المعبدة تعبيدا ممتازا والأنهار والقنوات وتستطيع السفن المحيطية أن تسير في نهر سنت لورنس الى البحيرات العظمى والمدن الصناعية المتراصة على طول شواطيء

البحيرات . كما يتميز شمال أمريكا الشمالية باعتدال مناخه الذى جذب السكان اليه حتى أصبحت المنطقة من اكبر مناطق العالم ازدحاما بالسكان الذين يتمتعون بالحركة والنشاط وارتفاع مستوى المعيشة . وقد وفر هذا الازدحام السكانى الأيدى العاملة الفنية وغير الفنية وأوجد سوقا واسعة للمنتجات الصناعية . فاذا أضفنا الى العوامل السابقة توفر رأس المال حيث توجد مراكز البنوك والبيوت المالية العالمية وقرب المنطقة من المحيط الأطلسى الشمالى والذى يربط المنطقة بشمال غرب أوربا فان مما يعيب شمال شرق أمريكا الشمالية أنها تمثل هدفا سهلا للطائرات الصواريخ المعادية كل ذلك قد يؤدى الى أخطار جسيمة اذا ما تعرضت البلاد الى هجوم مفاجىء أو غير مفاجىء والجدير بالذكر أن تركز جميع عناصر القوى فى مكان واحد له ميزة اقتصادية فى وقت السلم ولكنه يعتبر من المساوىء الدفاعية الكبرى وقت الحرب ولذلك عملت الولايات المتحدة شبكة من الرادارات والصواريخ الاعتراضية القوية والدقيقة بحيث تخفف التلف والذى يمكن أن تتعرض له البلاد .

٢ ـ أما مركز القوى فيتركز فى البرارى الشاسعة حيث تتنوع المنتجات الزراعية وخاصة القمح وحيث تمتد نطاقات القمح من الحدود الكندية غرب البحيرات العظمى والى قرب ساحل خليج المكسيك وهنا تتعدد النطاقات الزراعية حيث يتركز نطاق القمح الربيعى فى أقصى الشمال يليه جنوبا نطاق القمح الشتوى والى الشرق من نطاق القمح يأتى نطاق الذرة وهنا تتنوع المنتجات حيث يتركز الرعى التجارى أو تربية الحيوانات . والى الجنوب من نطاق الذرة يقع نطاق القطن ثم يليه جنوبا نطاق الأرز وقصب السكر . أما بالنسبة للفواكه والخضر فتتركز فى كل من فلوريدا وكليفورنيا ولهذا لم يبق من الأراضى الأمريكية سوى جبال الروكى وبها تتكدس الثروات المعدنية والغابية والحيوانية فمركز القوى لا يتركز فى الموارد الاقتصادية والبشرية فى القارة الأمريكية فحسب وانما يتركز فى المستوى الرفيع الذى وصل اليه الشعب الأمريكى من تقدم فى مجالات العلم والتكنولوجيا . بالاضافة الى مستوى المعيشة الذى يعتبر من أرقى المستويات فى العالم هذا من الناحية الاقتصادية أما من الناحية الاستراتيجية فان القارة تنتج اكثر قدر من الأسلحة المختلفة سواء النووية منها أو التقليدية ومن الملاحظ أن الشعب الأمريكى لم ينتظر العدو ليصل الى القارة الأمريكية بل أقام خطوط دفاعه الأمامية على بعد الاف الأميال من أراضيه حيث انشأ عددا من الأساطيل

الحربية ووزعها على جميع بحار العالم لتدافع عن امريكابعيدا عن اراضيها كما انشأ عددا من الأحلاف العسكرية فى جميع قارات العالم هدفها تدمير أعداء أمريكا فى مواقعهم ولم يكتف الشعب الأمريكى بكل هذه الاحتياطات بل انه أخذ يرسل أقماره الصناعية فى الفضاء لتدور حول العالم لتخبره بمواقع تجمع الأعداء ٠

وتتمتع القارة بوحدة الثقافة بين افراد الشعب الأمريكى واذا كانت هناك اقلية تتكلم اللغة الفرنسية فى كندا الا انها لا تشكل أية تهديد لوحدة وكيان القارة الأمريكية وقد ساعدت الوحدة الثقافية وقدرة الشعب الأمريكى على امتصاص الأقليات على جعله من أقوى شعوب العالم كما ساعدت على جعل مركز القوى الأمريكى من أكبر المراكز واقواها فى العالم ٠

ويلخص الأستاذ الدكتور جورج ب كريسى مركز أمريكا الشمالية من العالم بقوله :

« اذ كان هناك ثمة قلعة عالمية أو قلب الأرض فان أنسب موقع لها هو أمريكا الشمالية لقد دلت التجربة فى القرن العشرين على أنه لا يمكن أن تنشب حرب دون أن تتحـــول الى حرب عالميـــة ودون مساعدة الولايات المتحدة وتمتاز هذه القارة « أمريكا الشمالية » عن العالم الجديد بأن لهـا من مساحتها الكافية وشكلها المندمج وسهولة المواصلات الداخلية والموقع المتوسط والحدود الجيدة واتصالها بمحيطين تجاريين عالميين وطبوغرافيتها الملائمة ومواردها المعدنيةالغنية ومناخها الممتاز وروحها الديناميكية ما يؤهلها لأن تتبوء المكانة العالمية وأن تكون قلبا للأرض ومن ثم فان على سكانها أن يتعرفوا على مكانتها فى هذا العصر الكونى (١) ٠

لقد كانت الولايات المتحدة فى عزلة عن العالم حتى الحربين العالميتين حينما برزت مشاكل الصراع العالمى وخاصة مع تطور قوة الاتحاد السوفيتى كقوة عالمية وتدهور القوى البريطانية ودخلت أول معركة مع الاتحـــــاد السوفيتى فى الحرب الباردة ٠

---

1. George B. Cressey "The Basic of Soviet Strength" New York,1945, p.245.

٢ ـ الاتحاد السوفيتي :

يعتبر الاتحاد السوفيتي المركز الثاني من مراكز القوى بعد الولايات المتحدة فمن حيث الواقع الجغرافي تقع على نفس خطوط العرض التى تقع عليها الولايات المتحدة غير أن مساحتها اكبر وان كان معظم أراضيه تغطية الصحارى بانواعها الجليدية أو الحارة . وتختلف تضاريس الاتحاد السوفيتي عن تضاريس الولايات المتحدة فى أن سلاسل الجبال تمتد من الشرق الى الغرب بينما تمتد سلاسل الجبال فى الولايات المتحدة من الشمال الى الجنوب واذا وجدت سلاسل جبلية تمتد من الشمال الى الجنوب فى الاتحاد السوفيتي فما هى الا سلاسل جبلية منخفضة سهلة الأجتياز مثل جبال الأورال . وتتميز هذه المساحة بالتنوع النسبى للمناخ والتنوع النسبى للنبات وقد ساعد هذا التنوع على تحقيق ما يقرب من الاكتفاء الذاتى حيث يعتبر الاتحاد السوفيتى من اكبر الدول المنتجة للقمح فى العالم وكذلك الحال بالنسبة للموارد الزراعية الأخرى وان كان فى بعض السنين تجتاح الاتحاد السوفيتى موجات من الجفاف فتضطره الى استيراد القمح غير أن هناك سنين أخرى تجود فيها المحاصيل الزراعية ويصبح لديه فائض فى الانتاج يصدره للدول الأخرى . اما بالنسبة للموارد المعدنية فان الاتحاد السوفيتى غنى بموارده المعدنية وقد قامت على هذه المعادن الصناعات الثقيلة والخفيفة واصبح لدى الاتحاد السوفيتى اكتفاء ذاتى فى المعادن بانواعها الا أن تشتت الموارد المعدنية قد ادى الى تشتيت الصناعات وخاصة بعد الحربين العالميتين اذ كانت الصناعة وتتمثل المنطقة الرئيسية للصناعة فى الثلث الواقع بين البحر الأسود وبحر البلطيق وجبال الأورال والتى كانت دائما عرضة للغزو الأوروبى من الغرب . ويمكن القول أن مركز القوى السوفيتى انما يشمل بصفة خاصة المنطقة الصناعية الوسطى ومنطقة الدونياس ومنطقة الأورال وتتركز فى هذه المنطقة التى تمثل ثلث مساحة الدولة حوالى ٧٠٪ من الصناعات بينما توجد خارجها عدد من المراكز الصناعية اهمها حوض وادى كرنتسك ومنطقة الكوزباس ومنطقة القوقاز ومنطقة وسط اسيا ومنطقة بحيرة بيكال ومنطقة الشرق الأقصى . ونظرا لأن الصناعات الثقيلة تعتمد على مراكز استخراج الفحم والحديد فان أهم المناطق الصناعية تتمثل فى منطقة الدنياس فى حوض الدونتز حيث يوجد أجود أنواع الفحم واكثرها صلاحية لصناعة فحم الكوك واللازم فى صناعة الحديد والصلب والذى لا يبعد كثيرا

عن مناجم حديد كريفوى روج بينما تعتمد منطقة الكوزباس على علم فحم منطقتى الكزنتسك وكاراجندا وتمتاز المناطق الصناعية عبر جبال الاورال بانها بعيدة عن الغزو الخارجى اكثر من نظائرها فى المنطقة الوسطى ومنطقة الكوزباس او فى منطقة موسكو ولينينجراد . وتعمل الحكومة السوفيتية على نشر صناعاتها حيث وصلت الى منطقة بحيرة بيكال فى اقصى الشرق من سيبيريا . وتهدف السياسة السوفيتية الى تحقيق الاكتفاء الذاتى بالنسبة لمنطقة الشرق الأقصى وخصوصا فى الميدانين الزراعى والصناعى ولهذا الأمر اهدافه فى خطط الدفاع عن البلاد . هذا بالاضافة الى ان الاتحاد السوفيتى تحتل المرتبة الثانية فى انتاج البترول والحديد .

ومما يعيب مراكز القوى السوفيتية انها لا تتمتع بوسائل النقل السهلة والتى تتمتع بها الصناعات الأمريكية فاعتماد الاتحاد السوفيتى على السكك الحديدية والطرق المائية الداخلية كبير جدا بينما يعتمد على الطرق البرية بشكل اقل وتعتبر المناطق الداخلية والشمالية صعبة الوصول اليها نظرا لتجمد الانهار والبحيرات والبحار والمحيطات من اجل ذلك يتعرض النقل للاعاقة بدرجة كبيرة وخاصة فى مواسم البرد القارس هذا بالاضافة الى عدم كفاءة وسائل النقل حيث ان خطوط السكك الحديدية لا تتناسب مع المساحة الشاسعة التى يمتلكها الاتحاد السوفيتى . ولما كانت الطرق البرية غير متطورة لهذا كان اهتمام السوفيت بايجاد مخارج للتجارة عن طريق البحر البلطى والبحر الأسود والمحيط الهندى وعن طريق الخليج العربى ونتيجة لذلك يتطلع الاتحاد السوفيتى الى الاستيلاء على كل من تركيا وايران .

كما يتميز الاتحاد السوفيتى بكبر حجم سكانه حيث يصل الى ما يقرب من ٢٥٠ مليون نسمة الا انهم لا يتوزعون توزيعا عادلا فحوالى ٥/٦ السكان يعيشون فى الجزء الأوربى اى فى مساحة تصل الى ثلث مساحة الدولة تقريبا بينما يعيش سدس السكان فى ثلثى المساحة الباقية فى الجزء الآسيوى هذا التركيز السكانى يعتمد اعتمادا كبيرا على غنى الجزء الأوروبى بالأراضى الزراعية وبالصناعات حيث يمكن تشبيهه بالجزء الشمالى الشرقى من امريكا الشمالية رغم صعوبة مقارنة المنطقتين . حقيقة أن المنطقتين تتمتعان بتوفر الفحم والحديد والأيدى العاملة والصناعات وتوفر وسائل النقل البرية والمائية الا انهما يختلفان من حيث توفر راس المال وفى مستوى دخل الفرد

والقوة الشرائية لكل منهما . كما أن الجزء الأوروبى من الاتحاد السوفيتى قد قاسى من الغزو الأجنبى منذ عصر نابليون وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية بينما لم تتعرض الأراضى الأمريكية لاقدام الغزاة . واذا كان شمال شرق أمريكا الشمالية هدفا متوقعا للهجوم فان الجزء الأوروبى من الاتحاد السوفيتى يعتبر الأهداف الرئيسية فى الحرب .

ولمقارنة مراكز القوى فى كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة نجد أن الدولتين يتكونان من خليط من الأجناس والشعوب غير أن الولايات المتحدة استطاعت أن تصهر الشعوب المختلفة وتكون منهم شعبا أمريكيا لا يرتبط بموقع جغرافى معين قدم منه . أما الاتحاد السوفيتى فانه يتكون من خليط من الأجناس والشعوب والذين يعيشون فى أراضيهم ودولهم تحكمهم اقلية من السلافيين الفلاحين والعمال والرعاة أدخلوهم بالقوة الى الحكم الشيوعى . كما تختلف الدولتان فى أن الولايات المتحدة قد اقتنعت وقبلت بحدودها مع جيرانها وليس لها مطامع فى التوسع بينما نجد الاتحاد السوفيتى يتحين الفرص للتوسع والاستيلاء على جيرانه مما أوجد عدم استقرار سياسى على جميع حدوده . ونلاحظ انه بينما يحد الولايات المتحدة دولتان نجد أن الاتحاد السوفيتى يحده احدى عشرة دولة جميعها فى ذعر من الأهداف التوسعية السوفيتية . ويختلف الاتحاد السوفيتى عن الولايات المتحدة بأنه يستخدم أقصى أنواع العنف مع الدويلات التى يخضعها لارادته وقد لاحظنا ما حدث للمجر عام ١٩٥٦ ولتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ . ويمكن القول بأن أهم مراكز القوى فى الاتحاد السوفيتى تتمثل فى مساحته الشاسعة وكثرة عدد سكانه وتقدمه العلمى والثقافى والصناعى بالاضافة الى أن هذه الدولة تعتبر من أكبر الدول التى تمتلك شبه كفاية ذاتية فى الموارد وخاصة الموارد المعدنية . أما بالنسبة لمناطق الضعف فيها فتتلخص فى وسائل النقل وتعدد القوميات غير المتجانسة فى البلاد وأن هذه القوميات تعيش تحت سيطرة القوة فاذا ما ضعفت الحكومة المركزية فلن هذه القوميات سوف تطالب بالانفصال . هذا بالاضافة الى كبر المساحة وكثرة عدد الجيران والموقع القارى .

٣ - أوروبا الغربية :

يعتبر موقع أوروبا الغربية من المواقع الهامة فى العالم حيث تطل على

ثلاثة من أنشط البحار الدولية تجارة وهى بحر الشمال والمحيط الأطلسى الشمالى والبحر المتوسط هذا الموقع الفريد يجعل أوروبا الغربية تواجه قارتين أحدهما أمريكا الشمالية القارة المتطورة اقتصاديا والتى تربطها بها علاقات قوية من التبادل التجارى أما القارة الثانية فهى قارة أفريقيا وان كانت هذه القارة تأخذ طريقها نحو التقدم الا أنها تعتبر من أغنى قارات العالم بالموارد وخاصة الموارد الخام والتى تحتاجها أوروبا الغربية الصناعية ٠ ولا تبعد قارة آسيا عن أوروبا كثيرا وخاصة الجهات الغربية منها ٠

أما من حيث المساحة فقد لا تكون كبيرة مثل الولايات المتحـــدة أو الاتحاد السوفيتى الا أنها تنقسم الى قسمين أحدهما الأراضى الجبلية العالية حيث تمتد سلسلة الجبال من الشرق الى الغرب ممثلة فى جبال الألب وهناك بعض السلاسل الجبلية والتى تمد من الشمال الى الجنوب مثل سلاسل جبال اسكندناوه ٠ أما القسم الثانى فيتمثل فى السهل الأوربى العظيم الذى يمتد من بحر الشمال والمحيط الأطلسى الى جبال الأورال والذى يعتبر الحد الفاصل بين أوربا وآسيا وقد أدى اختلاف التضاريس الى تنوع الظروف المنـــاخية والنباتية ٠ بينما يسود مناخ غرب القارات فى الشمال الغربى ويسود مناخ البحر المتوسط فى الجنوب ولكل نوع من هذه الاختلافات المنـــاخية ظروفه الحيوية ٠

ان المشكلة التى تواجه القادة السياسيين هى تحديد أوربا الغربيـــة فبعضهم يحددها بالأراضى المتـــدة ما بين البحر البلطى وبحر الأدرياتيك وبعضهم يحددها بحدود الستار الحديدى الذى سبق أن أسدله الاتحـــــاد السوفيتى غير أن هناك يوغسلافيا والتى يصعب تحديد موقفها لأنها تحاول الابتعاد عن الكتلة الشيوعية فاذا ما أضفنا يوغسلافيا الى دول أوربا الغربية فان المشكلة الثانية التى تواجهها هى موقف كلا من البانيـــا وبرلين حيث تصبح البانيا جيبا شيوعيا فى قلب أوربا الغربية وتصبح برلين الغربيـــة جيبا رأسماليا فى قلب العالم الشيوعى ٠

تعتبر أوربا الغربية رائدة حضارة القرن العشرين فمنها انطلقت الثورة الصناعية وبها تأصلت الخبرة الفنية غير أن أوربا الغربيـــة مرت بأدوار مختلفة يمكن ايجازها فى ثلاث فترات ٠

وتنحصر الفترة الأولى منها ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩١٣ حيث تميزت هذه الفترة بالتطور السريع والنمو الصناعى والازدهار التجارى وكان لأوربا نصيب الأسد فى التجارة الدولية والاستثمارات الأجنبية أما الفترة الثانية فتقع ما بين عام ١٩١٤ وعام ١٩٤٨ والتى تتميز بقيام حربين عالميتين مما جعل التطور الاقتصادى والاجتماعى ينخفض سرعته بشكل كبير مما أدى بالقارة الأمريكية الشمالية الى السير فى طريقها قدما نحو الأمام أما بعد عام ١٩٤٨ فان أوربا أخذت تستعيد قواها واسترجعت مركزها السابق قبل الحرب العالمية الثانية وأخذ الفراغ الكبير الذى أحدثته الحروب بينها وبين أمريكا الشمالية يتضاءل بشكل ملحوظ بعد أن ضاعفت أوربا انتاجها وصادراتها عن استهلاكها المحلى وهكذا أخذت أوربا الغربية تنافس العالم الصناعى بنجاح حيث زاد عدد العاملين بالصناعة نتيجة للهجرة الكبيرة من الريف الى المدن وارتفع انتاج العامل ارتفاعا يدعو الى الدهشة ويعزى هذا الى سياسة الحكومات الأوربية بعد الحرب فى تطور الصناعات حيث قبلت دول أوربا الغربية المساعدات الأمريكية والتى عرفت بمشروع مارشال فى الفترة ما بين عام ١٩٤٥ وعام ١٩٥٧ · كما اشتركت الحكومات فى رؤوس الأموال العاملة فى الصناعة وفى فرنسا مثلا كانت الحكومة تمتلك مصادر الفحم والغاز الطبيعى والكهرباء وخطوط السكك الحديدية وتسخرها للتطور الصناعى بأسعار زهيدة كما شاركت الحكومة فى بناء مصافى تكرير البترول وصناعة السيارات وصناعة الطائرات ويختلف هذا التدخل الحكومى عن التطور الصناعى الأمريكى والذى لا تشترك فيه الحكومة بشكل من الأشكال عن التدخل الصناعى الروسى الذى تمتلك فيه الدولة كل شىء · وقد أخذت الحكومات تشجع الصناعات فى تلبية متطلبات الدول المستوردة سواء فى جودة بضائعها أو فى سرعة التسليم كما ساعدت الحكومات فى فتح حسابات مع الدول النامية حيث تعطى الدول المشترية الفرصة بأن تشترى منها ماتريد وأن تسدد بالتقسيط فيما بعد · بل ان الأمر قد تعدى ذلك حيث أخذت حكومات أوربا الغربية تتكاتف فيما بينها فى القيام بالصناعات الكبيرة المتطورة والتى من بينها صناعة طائرة الكونكورد الفرنسية - البريطانية الصنع · كما قامت الدول بازالة الحواجز الجمركية بينها وبين بعضها وذلك بقيام السوق الأوربية المشتركة وقد أصبحت أوربا الغربية بعد ازالة الحواجز الجمركية سوقا واحدة حيث ارتفع عدد المستهلكين للسلع المصنوعة فى كل دولة من الدول وخاصة وأن اقتصاديات دول أوربا الغربية متنوعة فأوجدت نوعا من التكامل

الاقتصادى ، ونلاحظ أن بعض الدول يعتمد اقتصادها على الانتاج الصناعى كالمانيا مثلا بينما توجد دول أخرى يعتمد اقتصادها على الانتاج الزراعى كفرنسا وهولندا والدنمرك ٠

تكمن قوة أوربا الغربية اذا فى تطور صناعاتها ويمكن القول بأن تطور الصناعات فى أوربا ما هو الا تطور لاســـتهلاك الوقود ويقال أن الثورة الصناعية فى أوربا الغربية ما هى الا ثورة فى استهلاك الوقود وخاصة الفحم فحتى عام ١٩١٣ كانت تستأثر كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا بحوالى ٩٣٪ من انتاج الفحم الحجرى وهذا العامل له أثره فى توزيع الصناعات الأوربية حتى الوقت الحاضر ٠ تتركز معظم الصناعات الأوربية حيث يوجد الفحم ولو قارنا بين خريطتين احداهما لتوزيع الفحم والأخرى لتوزيع الصــــناعات لوجدنا ارتباطا قويا بين الخريطتين ففى الجزر البريطانية نجد أن الصناعات تتركز حول مرتفعات البنين وفى منخفضات اسكتلندا وفى ويلز ووسط انجلترا وتعتبر هذه المناطق بذاتها هى منــاطق الفحم كما نجد نفس الظاهر لتوزيع الصناعات فى شمال فرنسا وجنوب بلجيكا وفى منطقة الرور بالمانيا ، كمــا ساعد وجود الحديد الخام بالقرب من مناجم الفحم فى بريطانيا وفرنســا وألمانيا والسويد ووجود الأنهار العديدة وروافدها والقنوات الصــناعية التى تربط بعضها ببعض على تكوين شبكة من النقل المائى الرخيص الذى سهل نقل المواد الخام الكبيرة الحجم والثقيلة بين مركز التصنيع كما ساعد على نقل السلع المصنعة الثقيلة والكبيرة الحجم من مراكز التصنيع والى مراكز الأسواق فى المدن الكبرى المزدحمة بالسكان كما تتمتع أوربا الغربية بوجود شبكة من خطوط السكك الحديدية التى تربط مراكز الصناعة والموانىء والمدن الرئيسية ٠

ولا تكمن مصادر القوة فى أوربا الغربية فى مساحتها الجغرافية فحسب وانما فى عدد سكانها ونشاطهم الصناعى والتجارى والذى ليس له مثيل فى أى مكان فى العالم كما يكمن فى أن هذه المنطقة تتمتع بأعلى درجة من مستويات التعليم والحضارة والتكنولوجيا الحديثة وأقصى درجة فى الدقــة ليس فى الجوانب الصناعية فحسب وانما فى السياسات الدولية فتاريخ أوربا الغربية ما هو الا تاريخ توسع وبنــاء ابمراطوريات شاسعة بلغ بعضها الى أن الشمس لا تغرب عن أراضيها كما مرت المنطقة بتجارب عديدة فى انهيــار

تلك الامبراطوريات وانقسامها فهذه المنطقـــة اذا تعتبر مسرحا للخبرات الصناعية والتجارية والتقنية والسياسية ومن أجل ذلك تسعى الدول الكبرى أو القوى الأكبر ممثلة فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى الى السيطرة أو ضم تلك الخبرات الى جانبها وبهذا أصبحت أوربا الغربية منطقة صراع عالمى ووجدت دول المنطقة نفسها أنها لابد أن تتجه نحو الاتحادات الفدرالية المفككة والتى تجعل السلطة أو مركز القوى فى يد الولاية وليس فى يد الحكومة الفدرالية ، ولقد سارت شوطا لا بأس به فى سبيل الاتحاد فوحدت اقتصادها وكان هذا أهم العوامل التى قد تدعو الى الفرقة ٠ أما الاتحاد السـياسى فينتظر أن يتم قريبا وبهذا تصبح أوربا الغربية مركزا ثالثا من أهم مراكز القوى العالمية فى المستقبل وخاصة وان كلا من بريطانيا وفرنسا وألمانيـا والسويد وأسـبانيا والبرتغـال وايطـاليا والنمسا كان كل منهـا يمثل قوة عالمية فى خـلال القرون الخمسـة الماضـية ولا زالت فرنسـا وبريطانيا لهمـا مكانتهما الدولية فلا غـرابة فى أن تعـود هذه القوة وتكون قوة جديدة فى العـالم ٠

٤ - أوربا الشرقية :

هناك اختلاف فى تحديد مفهوم أوربا الشرقية فمن المفروض أنها تشمل أوربا الوسطى لأن أوربا الشرقية تمثل الجزء الأوربى الذى يحتله الاتحـاد السوفيتى غير أن الاتحاد السوفيتى لا يريد أن يطلق على أراضـيه أوربا الشرقية أو أن ينتمى الى قارة معينة ولهذا أطلق اسم أوربا الشرقية على أوربا الوسطى والتى عرفت به ٠ وتمتد أوربا الشرقية كما هى معروفة الآن فيما بين حدود الاتحاد السوفيتى شرقا وكل من البحر البلطى وبحر الأدرياتيك غربا وتشرف على ثلاثة بحار هى البحر البلطى وبحر الأدرياتيك والبحر الأسود٠ ويبلغ امتداد أوربا الشرقية من الشمال الى الجنوب حوالى ١٢٠٠ ميلا أو ما يزيد قليلا عن خمس عشرة درجة من دوائر العرض ويبلغ عرضها حـوالى ١٠٠٠ ميل أو ما يقرب من عشرين درجة من درجات الطول وتعتبر مساحتها أقل بكثير من مساحة أوربا الغربية حيث تبلغ حوالى ربعها فقط وتتميز هـذه المساحة بأن أبعد نقطة لا تبعد عن البحر بأكثر من ٤٠٠ ميل بل أن المسافة بين البحر البلطى والبحر الأسود لا تزيد عن ٨٠٠ ميل حتى أن بعض الجغرافيين يعتبرون أوربا الشرقية ممرا بين أوربا وأوراسيا استخدمتها الهجـرات البشرية خلال عصور التاريخ ٠

وتعتبر أوربا الشرقية من المناطق الاستراتيجية الهامة فى العالم ومركزا من مراكز القوى ومن أجل ذلك كانت ميدانا للصراع بين الامبراطورية العثمانية المختلفة اذ سيطرت عليها امبراطورية النمسا والمجر ثم الامبراطورية العثمانية وحاولت الامبراطورية الألمانية الاستيلاء عليها فى حربين عالميتين وأخيرا خضعت لنفوذ الاتحاد السوفيتى وقد قال عنها السير هالفورد ماكندر أحد الجغرافيين البريطانيين عام ١٩١٩ بأن من يستولى على شرق أوربا يستولى على قلب الأرض ومن يستولى على قلب الأرض يستولى على جزيرة العالم ومن يستولى على جزيرة العالم يستولى على العالم أجمع فمفتاح السيطرة على العالم انما يكمن فى الاستيلاء على شرق أوربا ٠ ويرجع السبب فى هذا التفكير الى أن أوربا الشرقية هى المنفذ الوحيد لوسط آسيا وهى تلك الأراضى المحصورة بين المحيط المتجمد الشمالى من الشمال وبين جبال الألب من الجنوب ٠ وأن من يسيطر عليها يهدد كيان الاتحاد السوفيتى بل وكيان أوربا الغربية فالجيوش الروسية فى أوربا الشرقية لا تبتعد بأكثر من ٤٠٠ ميل عن مدينة باريس و ٥٠٠ ميل عن مدينة لندن وتعتبر هذه المسافة قصيرة جدا حيث تهدد أمن وسلامة أوربا الغربية ٠

ويعيب أوربا الشرقية أنها معقدة التضاريس فباستثناء السهل الأوربى العظيم والذى يقع فى الشمال وخاصة فى بولندا أما بقية أراضى أوربا الشرقية فما هى الا سلاسل من الجبال العالية والتابعة لسلاسل جبال الألب فالى الجنوب من بولندا والى الغرب من تشيكوسلوفاكيا وجنوب ألمانيا الشرقية ترتفع هضبة بوهيميا والى الشرق من تشيكوسلوفاكيا تبدأ سلسلة جبال الكربات والتى تأخذ شكل قوس يمتد الى شرق رومانيا وهناك تكمل القوس جبال الترنسلفانيا وتمتد تلك الجبال الى جبال البلقان حيث تمتد الى البحر الأسود والى الجنوب تأتى جبال الألب الدينارية تاركة بينها وبين جبال الكربات حوض الدانوب فمن حيث التضاريس تعتبر أوربا الشرقية معقدة التضاريس ما عدا أجزائها الشمالية ٠ غير أنها فى نفس الوقت تتميز بوجود عدد من الأنهار أهمها نهر الألب والفستولا والأودر والدانوب هذه الأنهار تخدم المناطق الحيوية فى الاقليم فنهر الألب يخدم هضبة بوهيميا وبواسطته تستطيع هذه المنطقة الصناعية أن تتصل بالعالم الخارجى بينما يخدم نهر الأودر منطقة سيليزيا الصناعية وهاتان المنطقتان من أهم المناطق الصناعية فى أوربا الشرقية حيث تعتمد على مناجم فحم سيليزيا الشهيرة أما نهر الفستولا

فيخدم منطقة وارسو . ولقد ربطت هذه الأنهار بشبكة من القنوات لتسكون طرقا هاما لنقل المواد الخام والسلع الصناعية بين مختلف اجزاء المنطقة هذا بالاضافة الى أن نهر الدانوب يعتبر من الأنهار الملاحية من مصبه على البحر الأسود وحتى مدينة فينا عاصمة النمسا مارا بكل من رومانيا وبلغاريا ويوغوسلافيا والمجر كما أن روافده الجانبية تربط اجزاء هذه الدول بعضها ويصل الى الأراضى التشيكوسلوفاكية .

ويبلغ عدد سكان أوربا الشرقية حوالى ١٥٠ مليون نسمة غير ان هذا الجزء من العالم يمثل المتحف البشرى لعدد من الأجناس أهمها السلاف الذين يمثلون ٦٠٪ من السكان ثم هناك الرومانيون والمجريون والغجر والبوهميون والألمان والأتراك واليهود . ومن أجل ذلك وضع الاتحاد السوفيتى تحت نفوذه الدول الثمانية لأوربا الشرقية وضمها الى ملكه وأصبحت تابعة للنظام الاقتصادى الشيوعى بل أن الاتحاد السوفيتى اقتطع بعض أجزاء من دول أوربا الشرقية وضمها اليه مثل الأراضى الشرقية لبولندا اقليم بساربيا Bessarabia لرومانيا وبعض أجزاء من جبال الكربات والتى كانت تابعة لتشيكوسلوفاكيا .

لقد أصبحت جميع دول أوربا الشرقية تدور فى فلك الاتحاد السوفيتى ما عدا يوغوسلافيا وفنلندا واللتان اتخذتا مبدأ الحياد بين الشرق والغرب. ولقد ارتبطت دول أوربا الشرقية بالاتحاد السوفيتى بحلف وارسو والنظام الاقتصادى الشيوعى الا أن هناك اتجاها بين دول المنطقة بالانفكاك والتحرر من النظام الشيوعى وتطبيق النظام الرأسمالى الغربى اذ قامت بولندا بتوثيق علاقاتها مع الولايات المتحدة وحصلت على معونات اقتصادية منها كما قامت رومانيا بابرام اتفاقيات تجارية مع الولايات المتحدة أيضا وقام رئيس الولايات المتحدة السابق ريتشارد نيكسون بزيارة رومانيا كما أن يوغوسلافيا اقامت علاقات قوية مع دول غرب أوربا والولايات المتحدة غير أن الاتحاد السوفيتى يراقب هذه العلاقات بدقة حتى لا تصل الى درجة تحرر دول أوربا الشرقية من قبضته ، وتلاحظ أنه عندما وجد أن تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ وقد وصلت الى درجة لا يمكن السيطرة عليها أنزل قواته المسلحة فيها وأعادها الى فلكه مرة أخرى وكذلك الحال بالنسبة للمجر عام ١٩٥٦ . ان أهم ما يعيب أوربا الشرقية هو اختلاف اللغة والدين والقوميات المتعصبة ولهذا اتصفت أوربا الشرقية بأنها المنطقة الممزقة من أوربا .

٥ - العالم العربى :

يتميز العالم العربى بموقعه بين قارتين رئيسيتين هما آسيا وأفريقيا وأنه يربط ثلاث قارات رئيسية هى آسيا وأفريقيا وأوربا وقد اكسبه هذا الموقع الفريد مكانة تاريخية كبرى فى الماضى فموقعه المتوسط بين الاقليم الموسمى والاستوائى من جانب وموقعه بين اقليم البحر المتوسط والاقاليم المعتدلة الدافئة والباردة والذى تختلف فيهما ظروف الانتاج من جانب آخر جعل التبادل التجارى يتم بينهما عن طريق العالم العربى والذى يعتبر اقليم عبور بين الشرق والغرب أو جسرا تمر فيه الطرق الرئيسية بين الشرق والغرب حاملة السلع التجارية بين مختلف أجزاء العالم على هذه التجارة العالمية قامت المدن الرئيسية مثل بغداد ودمشق واللتان تقعان على الطريق التجارى بين الخليج والبحر المتوسط حتى أصبحت سوقا دائمة للتجارة ومستودعا عظيما للسلع وعاصمتين لامبراطوريتين اسلاميتين سابقتين ٠

غير أن العالم العربى فقد أهميته وضعفت قواه بعد أن عرف الغرب أسباب قوته الاقتصادية فحول التجارة عن طريقه الى رأس الرجاء الصالح وبالرغم من افتتاح قناة السويس وعودة جزء كبير من التجارة الدولية عبد مياهه الاقليمية الا أنه لم تعد له أهميته السابقة نظرا لتخلفه وعدم استفادته من تلك التجارة المارة فى أراضيه ولكن الله كان به رحيما فقد ظهرت فى دوله ثروات تعود بالخير عليه وأصبح العالم يعتمد على الطاقة البترولية المخزونة فى أراضيه وعاد الغرب مرة أخرى يكيد له ويتآمر عليه ويريد أن يسلبه ما أعطاه الله من خير كما عمل على سلب أمواله والتقليل من سرعة تطوره وازدهاره فتارة يقترح الغرب أن يفرق أمواله على دول العالم النامية ويعمر العالم بأمواله ٠ وفى ذلك تشتيت لثرواته وتعطيل لتقدمه وتارة يقترح بايداع أمواله فى بنوكهم فهم أحرص على أمواله من نفسه يريدونه أن يقيم مصانع بأرضهم تاركين البلاد العربية فى تخلف والشعب العربى فى بطالة ، وهكذا يقوم الصراع بل أنهم لم يكتفوا بذلك بل أخذوا باحتلال البلاد اذا لم يحصلوا على ثرواتها ٠ أن العالم بأسره يخشى هذا العالم العربى ويخشى تطوره وهنا نتساءل لماذا هذا الخوف وهذا الفزع ؟٠

يتمتع العالم العربى بما لم يتمتع به أية بقعة على وجه الأرض اذ أنه يملك جميع مقومات القوة وجميع مقومات الوحدة ، حيث تسكنه أمة واحدة ٠

هذه الأمة تربطها ببعضها مبادىء قوية لا يمكن أن ينفصم عراها ويربطها ببعضها دين واحد انه الدين الاسلامى الحنيف هذا الدين هو الذى يؤلف القلوب بين جميع أفراد هذه الأمة فيوحد التناسق فى التفكير ويعمل على انشاء وتكوين واقامة الروابط الوثيقة بين أجزائه المختلفة أنه دين مبنى على الحق والعدل لا فرق بين فقيره وغنيه ولا بين أسوده وأبيضه وكل امرىء بما كسب رهين انه دستور يعامل المسلم وغير المسلم بالحق والعدل كما أن هذا الدين قد ألف بين قلوب هذه الأمة وحافظ القرآن على لغتها ولتوحيد اللغة مميزات لا يمكن لأحد اغفالها أنها وسيلة التخاطب ووسيلة التفاهم ، انها الحضارة التى تسود جميع أفراد الأمة العربية فاللغة العربية هى الرابطة القوية التى تجمع شتات هذه الأمة فاذا كانت ألمانيا تريد أن توحد من يتكلم اللغة الألمانيا واقامة أمة ألمانية فان الأمة العربية تمتلك هذا المبدأ السامى بجانب المبادىء الأخرى والأكثر سموا • كما أن الأمة العربية تتمتع بوحدة التاريخ المشترك والوحدة والآمال والأمانى والآلام كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء ، رأينا ذلك كثيرا فلم تمر الأمة العربية بمحنة من المحن الا واجتمع أفراد الأسرة يتشاورون ويتدارسون أمرهم ويعملون جميعا كأمة واحدة وهذا ما يحاربه أعداء الأمة العربية بأن يزرعوا بين أبناء الأمة العربية الشقاق والخلاف وأن يفرقوهم عن وحدتهم وقوتهم وللاسف الشديد يجدون من يستمع اليهم فتزداد الخلافات بينهم ولا تجمعهم الا الشدائد نريدهم أن ينظموا جلسات عمل فيما بينهم وأن يتدارسوا مشاكلهم وأن يعملوا على وحدتهم فهم قوة يحسب لها العالم ألف حساب • ويمكن أن يتمتع العالم العربى بتكامل اقتصادى لا يتوفر الا للدول الموحدة مثل الولايات المتحدة التى تتكون من خمسين ولاية والاتحاد السوفيتى والذى يتكون من خمس عشرة دولة والعالم العربى يمتلك المساحة الشاسعة والتى تزيد عن عشرة ملايين كيلو متر مربع ويتنوع فى هذه المساحة الانتاج نظرا لتنوع الظروف المناخية • حقيقة أن الصفة الغالبة على أراضيه هى الجفاف غير أن أطرافه الجنوبية تقع فى الجهات الموسمية الصيفية وأن جهاته الشمالية تقع فى الجهات التى يسود فيها الأمطار الشتوية كما أن العديد من الانهار الكبيرة والصغيرة مثل نهر النيل ونهرى دجلة والفرات ونهر الأردن وغيرها والتى تمد العالم العربى بالمياه فتنمو الزراعة وتتنوع الموارد الزراعية فنجد فى الهلال الخصيب يزرع القمح والأرز والذرة والفواكه بأنواعها والتى يشتهر بها اقليم البحر المتوسط وفى الجنوب أو الجهات الموسمية

الصيفية تزرع الحبوب كالذرة الرفيعة والقمح والشعير والبن وقصب السكر كما تنمو المراعى الغنية بانتاجها الحيوانى فى معظم أجزاء العالم العربى بالاضافة الى أن كثيرا من المعادن توجد فى كل جزء من أجزائه وخاصة البترول والغاز الطبيعى كما يمتلك العالم العربى أضخم ثروة مالية نقدية فى العالم ويتمتع بعدد كبير من السكان يزيد عن مائة مليون نسمة ، فاذا ما توفرت المواد الخام بأنواعها الزراعية والمعدنية ورأس المال والأيدى العاملة والطاقة ووجدت الأسواق وتوفرت النقل البرى والبحرى والجوى كل هذه العوامل المتواجدة على أرضه تدعو للوحدة وتدعو للقوة وتدعو لأن يحمل الرسالة التى أودعها البارى عز وجل فى يده ٠

٦ ـ جنوب آسيا :

يطلق العلماء كلمة جنوب آسيا على شبه القارة الهندية والتى تضم كلا من الهند والباكستان وبنجالادش ونيبال وبوتان وسكيم الا أن حجم هذه الدول وعدد سكانها يختلف من الدولة القزمية مثل سكيم الى الدولة العملاقة مثل الهند ٠ تكمن أهمية جنوب آسيا فى عنصرين هامين هما كبر مساحة المنطقة وضخامة عدد سكانها ، فالهند وهى أكبر دول المنطقة تأتى فى المرتبة الثانية بعد الصين من حيث عدد السكان وتحتل المرتبة السابعة بين دول العالم من حيث المساحة فاذا أضفنا اليها بقية دول جنوب آسيا فانها سوف تحتل مركزا مرموقا فى المجتمع الدولى وكانت جميع دول جنوب آسيا أجزاء تابعة للهند حتى جاء الاستعمار البريطانى وقسم شبه هذه القارة الى وحدات سياسية ٠ لقد أفزع الاستعمار أن لشبه القارة الهندية حضارة عريضة وأن الشعب الهندى شعب مرن يتقبل الحضارات المتطورة التى تدخل بلاده ٠٠ فعندما جاء الاسلام الى الهند وجد قبولا من الناس وأخذ ينتشر فخشى الاستعمار أن تتحول شبه القارة الهندية الى مجتمع اسلامى وخاصة أن الحضارة الاسلامية تسمو بالفرد فتبعده عما لا يقبله العقل وبنمو التعليم فى الهند ازدادت نسبة المسلمين فكراهية الاستعمار الانجليزى للاسلام ورغبته فى نشر المسيحية بين أفراد الشعب الهندى جعله يحارب الاسلام فيثير الخلافات العقدية ومثال ذلك البقرة حيوان مقدس عند الهندوس وحيوان أليف نافع عند المسلمين يستفاد منه فى انتاج الألبان وأكل اللحوم لذا أخذ الاستعمار موضوع الأبقار وجعل منه خلافا جوهريا الهدف منه وقف الزحف الاسلامى على الهند وايقاف تقدم الاسلام وقد أوعز لبعض المثقفين من المسلمين بأنه من الأفضل فصل

المسلمين على الهندوس وانشاء دولة اسلامية فرحبوا بهذه الفكرة ربما لضيق أفقهم أو رغبة فى الزعامة والقيادة وهنا نتساءل كيف تم الفصل، لقد كان الفصل بطريقة يضعف بها من قوة المسلمين وكان من الممكن أن تقوم الدولة الاسلامية فى مكان واحد وأن ينتقل اليها جميع المسلمين بل أراد الاستعمار أن تنقسم الدولة الاسلامية الى قسمين نصفها شرقى ونصفها غربى يفصل بينهما ألف من الأميال وأن يترك منطقة متنازع عليها بحيث يبقى القتال مستمرا والحروب دائرة بين المجموعتين فخلق مشكلة كشمير ومرت الأيام وانقسمت الدولة الاسلامية قسمين واذا أعطيت كشمير استقلالها فان الدولة الاسلامية سوف تنقسم الى ثلاثة أقسام ولذا يمكن القول أن أهم عمل قام به الاستعمار الغربى هو أنه استطاع فصل المسلمين وتفكيكهم أو اضعافهم أما بقية الشعب الهندى فيتكون من جماعات مختلفة فى اللغات والعادات والتقاليد والديانات لا نجد فيها لغة واحدة وطنية يمكن أن تكون اللغة الرسمية بل أن كل جزء من أجزاء الهند يفتخر بلغته وقوميته وعلى هذا فأهم ما يجمع هذا الشعب هو التاريخ المشترك الذى عاشوه منذ آلاف السنين وتعاونهم جميعا فى مقاومة الاستعمار وخوفهم من عودته مرة أخرى ونجد أن اللغة الرسمية للدولة والتى يقبلها الجميع هى لغة المستعمر وهى اللغة الانجليزية لقد حاولت الحكومة الهندية أن تفرض اللغة الهندوسية لغة أهل الشمال كلغة رسمية فى البلاد غير أن الجنوب لم يقبل بها وطالب كل جزء من الهند أن تكون لغته هى اللغة الرسمية ٠ يقال أن جواهر لال نهرو ذهب الى مدراس فى احدى المناسبات ليلقىخطابا وبدأ خطابه باللغةالهندوسية فصاح المستمعون وأخبروه اذا لم يلق خطابه بلغتهم فلن يستمعوا اليه وأخيرا وجد نفسه مضطرا الى أن يلقى خطابه باللغة الانجليزية وهذا دليل على تعدد اللغات وتعدد الثقافات وتعدد الديانات ٠

وتتميز منطقة جنوب اسيا بكثرة عدد سكانها وكبر مساحتها وعظم انتاجها وخاصة الانتاج الزراعى غير أن نصيب الفرد ينخفض لو وزع ذلك الانتاج على جميع أفراد الشعب فمعظم سكان شبه القارة الهندية مزارعون كما أن الزراعة السائدة ليست بالزراعة الراقية أو الواسعة وانما تتبع الأساليب العتيقة من أجل ذلك كان نصيب الفرد من انتاج الوحدة الزراعية منخفضا اذا ما قورن بغيره فى اليابان أو الولايات المتحدة الأمريكية أضف الى هذا التنمية الاقتصادية ضعيفة فى البلاد ويرجع السبب فى ذلك الى كثرة عدد السكان وقلة الموارد المستخرجة وقلة الامكانيات المادية والفنية غير أن

المنطقة لديها من الامكانيات ما يرفع من مستواها الاقتصادى والاجتماعى ، وخاصة وأن المنطقة اتجهت فى السنين الأخيرة نحو التصنيع حتى أصبحت احدى الدول الرئيسية المنتجة للنسيج وأخذت مكانتها ترتفع فى انتـــاج الصناعات الثقيلة حتى احتلت المركز الثالث بعد اليابان والصين فى انتـاج الحديد والصلب فى منطقة جنوب شرق اسيا خاصة أنها تمتلك عددا من المعـادن فرصيدها من الفحم الحجـرى ليس صغيرا وان كانت صـلاحيته لانتاج فحم الكوك اللازم لصناعة الحديد والصلب محدودة كما أن دورها يأتى بعد الاتحاد السوفيتى فى انتاج المنجنيز وبعد الولايات المتحدة فى انتـاج المايكا • وأن بها كميـات من الحديد يغنيها عن الحاجة الى الاستيراد وتنفرد المنطقة بزراعة وانتاج الجـوت وتحتل مرتبة الصدارة فى انتاج الشـــاى وتاتى فى المرتبة الرابعة فى انتاج القطن •

وأهم ما يعيب المنطقة هو عدم توفر رأس المال الكافى للتنمية الصناعية كما يعيبها تمزقها بين الطبقات الاجتماعية واختلاف اللغـــات والديانات والاختلافات الاقليمية فاذا استطاعت الهند تجميع شتاتها والقضـــاء على مشاكلها فلا شك أنها سوف تكون مركزا من مراكز القوى حيث يمكن أن تتحول الى قوة وطنية لها أثر كبير فى ميزان القوى العالمية •

٧ ـ جنوب شرق آسيا :

يقصد بجنوب شرق اسيا تلك الأراضى التى تمتد الى الغرب من شـــبه القارة الهندية وحتى جنوب الصين أى من الأراضى الممتدة من خليج البنغـال غربا حتى جزر الفلبين شرقا ومن الصين شمالا الى استراليا جنوبا ويبـلغ امتداد جنوب شرق آسيا من الشرق الى الغرب حوالى ٤٠٠٠ ميل ومن الشمال الى الجنوب حوالى ٢٥٠٠ ميل ، ولا يقل سكان الاقليم عن عدد سكان الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتى بل يزيد عن ٢٢٠ مليون نسمة غير أن معظم هذه المساحة مغطاة بالبحار المتداخلة • ويعيش السكان فى مساحة تقدر بحوالى ١٫٧٥٦٫٠٠٠ ميل مربع وهذا ما يجعل الكثافة السكانية عالية اذ تصل فى المتوسط الى ١٢١ نسمة فى الميـل المربع الواحـــد وتعتبر هـذه الكثـافة عالية اذا علمنا أن معظم الأراضى تغطيها الجبال والتضاريس الوعـــرة • وبالرغم من كل هذه الظروف فان جنوب شرق آسيا لا يعتبر مزدحما بالسكان اذا قارناه بازدحام السكان فى كل من الهند والصين •

ويتميز جنوب شرق آسيا بموقعه فى الاقليمين الموسمى الاستوائى وينعكس ذلك على درجات الحرارة السائدة وكمية الأمطار وكثافة الغطاء النباتى ففى بعض الجهات نجد الغابات الكثيفة والتربة الفقيرة التى تتأثر بالأمطار الغزيرة والأنهار السريعة الجريان والتى تحمل الكثير من الرواسب بحيث تجعل الاقليم غير صالح للزراعة ويقل فيه عدد السكان بينما توجد جهات أخرى تتميز بفترة جفاف تتراوح ما بين ٤ ـ ٦ شهور وتتميز هذه الجهات بالزراعة الكثيفة فى بعض الجهات وخاصة على ضفاف الأنهار كما تسود الزراعة المتنقلة فى الداخل وتعتبر هذه المنطقة منطقة المتناقضات فهناك جهات يعيش فيها السكان على جمع قوت يومهم وهناك جهات لديها فائض فى الانتاج يجد طريقة نحو الأسواق العالمية • ويتميز جنوب شرق آسيا بأنه يقع فى منطقة الكوارث بأنواعها ، فأحيانا يتأخر موسم الأمطار فيسود الجفاف وتنتشر المجاعات وأحيانا تفيض الأمطار عن حاجة الاقليم فتغرق الحرث والنسل وأحيانا تهب العواصف الشديدة والمعروفة باسم التيفون وخاصة على المدن الساحلية فترفع مستوى البحر وتغرق المدن وتهدم المنازل وتحدث الكثير من الخسائر فى الأرواح والأموال ويتشرد الآلوف من السكان ويصبحون بدون مأوى •

وبالرغم من كل هذه المتناقضات فان أهمية جنوب شرق آسيا تكمن فى موقعه بين أشد جهات العالم ازدحاما بالسكان وهى الصين والهند وبين أقل قارات العالم ازدحاما وهى استراليا • ومن الطبيعى أنه عندما يضيق الاقليم بمن فيه من السكان فانسكان ذلك الاقليم يهاجرون الى الأراضىالمجاورة والاقل ازدحاما بحثا عن لقمة عيش يعيشون عليها ومن هنا يبدأ الزحف السكانى من الشمال على الجنوب شرق آسيا أو كما عرفت سابقا بمنطقة الهند الصينية أو الصين الهندية على أن أهمية استراليا كبيرة ليس للشرق فحسب بل انها المتنفس الوحيد للازدحام السكانى فى المنطقة فان أهميتها أكبر بالنسبة للدول الغربية • وتمثل استراليا بالنسبة للغرب مستودعا للغذاء والمواد الخام الذى يعتمد عليه اعتمادا كبيرا فى حياته وكما هو معروف أنه فى الوقت الذى يكون فيه الصيف فى نصف الكرة الشمالى يكون الفصل شتاء فى نصف الكرة الجنوبى وبالعكس • حيث تقع استراليا فى نصف الكرة الجنوبى • ففى الوقت الذى يقف فيه نمو القمح فى نصف الكرة الشمالى نتيجة لانخفاض درجة الحرارة ينمو القمح فى استراليا لأن درجة الحرارة تكون مرتفعة نسبيا فى نصف الكرة الجنوبى وعندما ينتهى استهلاك القمح المنتج فى

أوربا وأمريكا يبدأ وصول القمح الاسترالى الى الأسواق الغربية هذا من جانب ومن جانب آخر فان استراليا تمد الدول الغربية بالكثير مما تحتاجه من اللحوم ومنتجات الألبان والصوف وغير ذلك من أجل هذا تقف دول المعسكر الغربى ضد أى زحف سكانى على أستراليا ومن أجل هذا تمنع استراليا دخول أى رجل أصفر الى أراضيها ومن أجل ذلك يضع الغرب خط دفاعه الأول فى جنوب شرق آسيا ليمنع الزحف السكانى الى هذه القارة ٠

هذا بالاضافة الى أن جنوب شرق آسيا تستطيع أن تتحمل أعدادا كبيرة من السكان اذ تمثل المنطقة الوحيدة التى لديها فائض فى انتاج الأرز وهو الغذاء الرئيسى لسكان المنطقة فبورما وتايلاند وماليزيا وكمبوديا ولاوس وفيتنام كلها دول مصدرة للارز الى الدول المزدحمة بالسكان فى آسيا كالهند والصين بل أنها تصدر بعضه الى الشرق الأوسط ٠ فلا غرابة اذا كانت الدول الغربية تمنع الزحف السكانى الى المنطقة من أجل أن تقوم هى ببيع ما يفيض عن حاجتها من القمح اليهم كما تستغل منطقة جنوب شرق آسيا والمناطق القريبة والمزدحمة بالسكان كأسواق لمنتجاتها الزراعية والصناعية ٠ يمكن أن يضاف الى ذلك الخوف الاقتصادى من منافسة الرجل الأصفر للرجل الأبيض فى استراليا والذى قد يقود الى انخفاض مستوى المعيشة ٠

كما أن قوة جنوب شرق آسيا لا تكمن فى انتاجها الزراعى فقط وانما فى انتاجها المعدنى فالملايو واندونيسيا وتايلاند تساهم بأكثر من نصف انتاج العالم من القصدير كما تساهم المنطقة بما يقرب من ٢٪ من انتاج العالم من البترول و ٣٪ من البوكسايت و ١٠٪ من الكروم بينما يوجد الفحم الحجرى بنسب قليلة ولكن معظمه من النوع الردىء ٠

أما من الناحية الثقافية فلقد تعرض الاقليم للغزو الصينى الثقافى والبشرى كما تأثر بالثقافة الهندوسية والثقافة الاسلامية وأخيرا الثقافة الأوربية ولذلك تتنوع الثقافات وتتعدد الأديان وتتباين الأجناس فى هذا الاقليم ٠

٨ ـ شرق آسيا :

يضم شرق آسيا اليابان وكوريا الشمالية والجنوبية والصين الشعبية

والوطنية وتتميز هذه المنطقة بأنها من أكثر جهات العالم ازدحاما بالسكان وبها مركزان للقوة أحدهما يتمثل فى اليابان والآخر فى الصين أما كوريا فتعتبر منطقة التقاء القوتين بقوة الاتحاد السوفيتى ويتميز شرق آسيا بتباين المستويات الثقافية والاقتصادية كما يختلفان من حيث المساحة اذ أن الصين تمثل المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتى بينما اليابان محدودة المساحة نسبيا وتسودها التضاريس الجبلية الوعرة ، وكذلك الحال بالنسبة لكوريا ، فالتضاريس الجبلية هى السمة الغالبة على أراضيها ٠ ورغم مساحة الصين الشاسعة الا أن عدد السكان المتضخم سنويا والذى يقرب من ٨٠٠ مليون نسمة لم يترك شبرا الا واستغله فى سبيل المحافظة على بقائه ٠ أما بالنسبة لليابان فان نسبة الأراضى المنتجة للميل المربع الواحد قد بلغت حوالى ٣٨٣٠ نسمة لكل ميل مربع فاذا اضفنا ١٠٠ مليون يابانى الى ٨٠٠ مليون صينى فان عدد سكان الدولتين يتقارب من ٩٠٠ مليون نسمة واذا أضفنا الى ذلك باقى دول المنطقة ليبلغ عدد سكان شرق آسيا الى حوالى ١٠٠٠ مليون نسمة وهذا العدد الذى يمثل حوالى ثلث سكان العالم تقريبا ٠

وعلى هذا تمثل منطقة شرق آسيا قوة بشرية كبرى فى العالم ومستودعا ضخما من الأيدى العاملة وسوقا لا مثيل لها فى أى جزء من أجزاء العالم ٠

حقيقة أن موارد الثروة الطبيعية فى شرق آسيا ليست محدودة من حيث كميتها اذا ما قورنت بوحدات أخرى مماثلة الا أن تواجد الأعداد الضخمة من البشر يجعل الموارد غير كافية لسد متطلبات السكان وهذا ما دفع بأعداد كبيرة من السكان أن تهاجر الى الأراضى والدول المجاورة فعلى سبيل المثال تذكر أعداد الصينيين المهاجرين والذين يعيشون فى الدول المجاورة هى : —

الدولة	عدد السكان الصينيين
تايلاند	١١١ر٥٠٠ر٣
شبه جزيرة الملايو	٠٠٠ر٠١٣ر٣
أندونيسيا	٠٠٠ر٥٩٨ر١
الهند الصينية	٠٠٠ر٢٢١ر١
سنغافورة	٠٠٠ر٨٦١
بورما	٠٠٠ر٣٦٠
سرواك	٠٠٠ر١٦٤
الفلبين	٠٠٠ر١٥٤
بورنيو الشمالية (صباح)	٠٠٠ر٨٣
اليـابان	٠٠٠ر٣٨
هاواى	٠٠٠ر٣٠
كوريا	٠٠٠ر١٨
الهنـــد	٠٠٠ر١٤

هذه الأعداد الضخمة من البشر فى المنطقة يعمـــل معظمها بالزراعة فيقدر أن حوالى ثلاثة أرباع سكان المنطقة يعملون بالزراعة وأن معظم السكان يعتمدون فى حياتهم المعيشية على ما تجود به أراضيهم ولقد استغلت جميع الأراضى الرئيسية والجانبية ولم يترك شبر سواء فى السهول أو على منحدرات الجبال الا واستغل حيث اقيمت المدرجات على سفوح الجبال واستغلت فى الزراعة ، كما بنيت السدود وزيدت مساحة الأراضى الزراعية وقاوم السكان الآفات الزراعية وردمت البحيرات والمستنقعات وتحولت الى أراضى منتجة واستخدمت جميع الوسائل العلمية لرفع طاقة انتاج الفدان ليسد أفواه الملايين المتزايدة كل عام ٠ واذا كانت الصين فى حاجة الى المزيد من الانتاج الزراعى فان اليابان قد دخلت حربا مع جيرانها وأقامت امبراطورية كبيرة امتـدت الى كوريا والصين والهند الصينية واندونيسيا والفلبين ولولا هزيمتها فى الحرب العالمية الثانية بواسطة القنابل الذرية لكانت اليابان من أقوى دول العـــالم فى شرق آسـيا ويرجع خروجها من عزلتهـا ودخولها الى ميدان التوسع الى نقص الأراضى الزراعية بالجزر اليابانية وحاجتها الى أراضى سهلية منتجة ٠

لا تعتمد عناصر القوى فى شرق آسيا على المساحة فحسب وانما تعتمد بشكل أكبر على توافر الأيدى العاملة الفنية وغير الفنية وعلى تواجد المقومات الرئيسية للصناعة،فالصين لديها من مقومات الصناعة ما يجعلها تتطور الى مصاف الدول الكبرى حيث يوجد الفحم والحديد والعديد من المعادن الاخرى أما بالنسبة لرأس المال فان الدولة تحاول تطوير رأس مالها بالتدريج وكذلك الحال بالنسبة لليابان والتى بدأت باجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية لتعمل بها ثم أخذت تطور رأس المال الوطنى وتجعله يحل شيئا فشيئا محل رأس المال الأجنبى حتى أصبحت من أكبر الدول الصناعية فى المنطقة بل ومن أكبر الدول الصناعية فى العالم .

أما بالنسبة لكوريا فان موقعها فى ملتقى مراكز القوى الثلاث الاتحاد السوفيتى والصين واليابان جعلها مثار أطماع هذه الدول وكل واحدة منها تحاول السيطرة عليها واخضاعها حتى تم تقسيمها واحتلتها القوات الأجنبية فالشيوعيون يحتلون الجزء الشمالى والأمريكيون يحتلون الجزء الجنوبى ولم تتفق القوتان العالميتان على مغادرتها وأن الصراع فى شرق آسيا ما هو الا صراع بين مراكز القوى العالمية .

٩ - أفريقيا :

تعتبر أفريقيا من القارات الكبرى فى العالم اذ تبلغ مساحتها ٧ر١١ مليون ميل مربع غير أن جزءا كبيرا منها غير مأهول بالسكان الى حد كبير. فالمساحة الشاسعة واختلاف الظروف المناخية الذى أدى الى تنوع الاقاليم المناخية من الاقليم الاستوائى فى وسط القارة الى الاقليم الموسمى ، فالاقليم الصحراوى وأخيرا الاقليم المعتدل الدافىء ممثلا فى اقليم البحر المتوسط . هذه الأقاليم تتدرج من وسط القارة نحو الشمال والجنوب حيث تنتهى القارة باقليم البحر المتوسط فى شمال وجنوب أفريقيا . ومع تنوع الأقاليم المناخية تتنوع الموارد الزراعية وهذا التنوع فى ظروف الانتاج مع المساحة الشاسعة يعطى القارة الافريقية عنصرين من أهم عناصر القوى ولا يقف الأمر عند هذا الحد فظروف التضاريس والتى تتميز بها القارة الافريقية وهى كثرة الهضاب واختلاف ارتفاعاتها وكثرة أمطارها قد أوجد المساقط المائية العديدة وهذا مصدر من مصادر الطاقة الرخيصة الذى قلما يتوفر لقارة أخرى مثلما توفر للقارة الافريقية واذا كانت الدول الأفريقية لم

تتطور بعد ولم تحصل على الفائدة المرجوة من هذه المساقة الا أن أمامهـا مستقبلا زاهرا خاصة وأن القارة الافريقية تحوى قدرا كبيرا من المعادن الهامة وما صراع الدول الكبرى أو مراكز القوى فى العـالم حـول أفريقيا ما هو الا نتيجـة للرغبة فى الحصول على معادنها وتضم هذه القارة حـوالى ٩٥٪ من الألماس فى العالم و ٤٨٪ من الذهب و ٣٤٪ من البلاتينيوم و ٢٠٪ من المنجنيز و ٣٢٪ من الكروم و ٧٠٪ من الكوبلت و ٢٠٪ من الفاناديوم و ٢٠٪ من النحاس و ١٣٪ من القصدير و ١٠٪ من الرصـاص و ٨٪ من الزنك و ١٧٪ من الأسـبستوس و ٢٩٪ من الفوسـفات و ٣٪ من الحديد و ٢٪ من الفحم ٠ وتعتبر هذه المعادن العديدة بالاضافة الى توافر مصدر من مصادر الطاقة الرخيصة المولد من المساقة المائية كفيلة بأن تقيم مجتمعـا صناعيا كما تساعد أفريقيا لتصبح قوة لا يستهان بها ولا ينقص هذه القارة الا السكان ففيها حوالى ٣٠٠ مليون نسمة أى أن عدد سكانها لا يقل عن مراكز القوة الكبرى فى أمريكا والاتحاد السوفيتى كما أن السكان الافريقيين معروفون بقوة تحملهم للعمل الشاق وقوة ارادتهم واصرارهم على انجـاز وتحقيق رغباتهم كل هذه العناصر الهـامة للقوى تتوفر فى القـارة الافريقية ، ومن أجل ذلك عمل الاستعمار على الابقاء على تخلفهم الحضـارى والثقافى وابعادهم عن مراكز الحضارة ففصل أفريقيا جنوب الصحراء عن أفريقيـا شمال الصحراء مستغلا الظروف الطبيعية وكان الهدف الرئيسى الذى يسعى اليه هو ابعادهم من الحضـارة الاسلامية الروحية والتى تنادى بالمساواة بين الأبيض والأسود وتحث الرجل على التعليم وعلى التطور وعلى مقاومة الاستعمار ومن جانب آخر ابعادهم عن المراكز الحضارية فى أوربا واذا كانت هناك بعثات تعليمية أرسلت الى أوربا فما هى الا بعثات أرسلها المبشرون بالدين المسيحى بعد أن تأكدوا من أولئك الذين أرسلوهم الى الغرب ليبينوا لقومهم بأن الدين المسيحى دين علم وتطور وحضارة وماذا كانت النتيجـة ان أولئك الذين ذهبوا الى أوربا واحتكوا بالحضارة الغربية هم الذين عادوا وطالبوا باستقلال دولتهم غير أنه يجب ملاحظة أن عدد هؤلاء قليل وأن غالبية الشعوب الأفريقية لا زالت تعانى من الجهل والفقـر والمرض ولم يكتف الاستعمار بهذا القدر بل استولى على الأراضى الخصبة والمناجم الغنية المنتجة للمعادن وحارب الرجل الافريقى بأن أبعـده الى معـازل وضع حـوله أسلاكا شائكة ومنعه من الخروج الا باذن سيده الرجـل الأبيض ليعمل عنده بأجـر زهيد ٠

ان المشكلة الافريقية هى مشكلة العالم ولو تعاون العالم الاسلامى مع الافريقيين وفتح لهم المدارس ورفع مستواهم العلمى وحارب الجهل والفقر والمرض لأصبحت القارة الافريقية قوة عالمية تهدد مراكز القوى الغربية التى أقامت قوتها على أكتاف وبمجهودات الافريقيين الذين سلبوا ثرواتهم الطبيعية بمعادنها وبثت مراكز القوى الغربية حضارتها وحاربوا الافريقيين فما تلك الطائرة أو ذلك المدفع الذى يوجه فوهته نحو الافريقيين الا مصنوعا من معدن مستخرج من الأراضى الافريقية صنع فى الغرب وعاد ليقتل أولئك الذين ساهموا فى استخراجه ٠

وتتميز القارة الافريقية بوجود أعداد كبيرة من الأنهار الكبيرة مثل نهر النيل والنيجر والزمبيزى والكونغو وغيرها من الأنهار الصغيرة والتى يصعب حصرها ٠ غير أن معظم هذه الأنهار غير صالحة للملاحة نتيجة لاختلاف ارتفاع مناسيب الهضاب الأفريقية فهى وان أفادت القارة باعطائها طاقة كهربائية الا أنها تعرقل طرق وسائل الاتصال بعكس الأنهار الأوربية التى أمكن ايصال روافدها بعضها بالبعض الآخر لانشاء شبكة من الطرق المائية الرخيصة ٠ ولذلك تعتمد القارة على طرق السكك الحديدية والطرق البرية ٠ وبالرغم من أن القارة الافريقية فقيرة فى وسائل وطرق النقل الا أنه بالامكان قيام شبكة من الطرق تربط أجزاء القارة بعضها ببعض ويعيب القارة الافريقية تعدد الثقافات واللغات فليس هناك لغة واحدة تعم أجزاء القارة بينما نجد أن اللغات المستخدمة هى لغات المستعمر فجزء من أفريقيا يتكلم اللغة الانجليزية وجزء آخر يتكلم اللغة الفرنسية وجزء ثالث يتكلم اللغة البلجيكية وجزء رابع يتكلم اللغة السواحلية وجزء خامس يتكلم اللغة العربية ٠ يعتبر تعدد الثقافات أحد العقبات التى تقف فى طريق الوحدة الأفريقية والتى قد تؤخر هذه الوحدة فاذا كانت اللغة موحدة فان انتشار الثقافة والتفاهم يتم بطريقة سريعة ويا حبذا لو أن القارة الافريقية اختارت لنفسها اللغة العربية وعممتها على جميع أجزاء القارة فان ذلك سوف يساهم مساهمة فعالة فى الاسراع بوحدة شعوبها وتوحيد ثقافتها ٠ وذلك ليس مستحيلا ان وفق الله المسلمين الى التكاتف والقيام بما يجب عليهم نحو دينهم من أمانة التبليغ كما كان السلف الصالح ٠

١٠ – أمريكا اللاتينية :

تتشابه أمريكا اللاتينية مع أفريقيا من حيث عناصر القوى فمساحة القارة تبلغ ٧ر٩ مليون ميل مربع وعدد السكان يصل الى أكثر من ٢٠٠ مليون نسمة كما أنهما يتشابهان فى تعدد اللغات رغم أن اللغة الاسبانية هى اللغة السائدة فى أكثر الوحدات السياسية غير أن الفرنسية تتمثل فى بعض أجزائها مثـل هايتى وتسود اللغة الانجليزية فى جاميكا وترنداد وهندوراس البريطانية وتسود اللغة الهولندية فى كوراسـاو وأوربا وأخيـرا تسـود اللغـة البرتغالية البرازيل ، وتتميز اللغة البرتغالية بأنها أكثر اللغات انتشارا من حيث عدد السكان حيث يتكلم بهـا حـوالى خمسة وثمانون مليون نسمة من سكان البرازيل • أما السكان الأصليون فهم الهنود الحمر ولقد نزل عليهـم كل من الأوربيين والافريقيين غير أن الوضع فى أمريكا اللاتينية يختلف قليلا عن امريكا الشمالية اذ اختلط القادمون مع سـكان البلاد الاصليين وكونوا مجتمعا موحدا أو عددا من المجتمعات • فعندما تزاوج الأوربيـون مع الهنود الحمر أنتجو الخلاسيون Mestizos وعندما تزاوج الزنوج بالهنود الحمر انتجوا ما يعرف بالزمبوس Zambos وعنـدما تزاوج الأوربيون مع الزنوج أنتجوا ما يعرف بالملاتو Mulatoes

وتختلف نسبة الأوربيين والزنوج والهنود الحمر والعناصر المولدة من مكان الى آخر ، فيتزايد عدد الأوربيين فى كل من الأرجنتين وأورجـواى وكوستاريكا أما الهنود الحمر فان أعدادهم تتزايد فى جواتيمالا وبوليفيـا وأكوادور وبيرو وبراجواى والمكسيك والسلفادور وبنمـا وحوض الأمزون أما بالنسبة للزنوج فان كثرتهم العددية تتضـاعف فى كوبا وبورتوريكو وجمهورية هايتى وعدد كبير من جزر بحر الكاريبى والساحل الشرقى للبرازيل وأجزاء من فنزويلا وجوايانا الفرنسية وسورينام وجوايانا البريطانية وتتشابه أمريكا اللاتينية مع أفريقيا فى أن الأولى تضم أربعة وعشرون دولة تختلف عن بعضها من حيث المساحة فبعضها كبير المساحة مثل البرازيل والتى تحتل ثلث القارة وتضم داخل حدودها حوالى ثلثى السكان فى المنطقة بالاضافة الى عدد من الدول الصغيرة والقزمية مثل السلفادور وبعض دول الجزر فى البحر الكاريبى • يلاحظ أن معظم سكان أمريكا اللاتينية يعيشون على الكفاف واتصالاتهم بالعالم الخارجى محدودة وأن معظمهم يعمل بالزراعة حيث تصل نسبة العاملين بها فى بعض الدول الى أربعة أخماس السكان مثل هايتى

وجواتيمالا • ولما كانت موارد أمريكا الجنوبية وخاصة الاقليم الاستوائى تختلف عن موارد أمريكا الشمالية فلقـــد غزت رؤوس الأموال الأمريكية الأراضى الزراعيـــة فى أمريكا اللاتينية وحولت أجزاء كبيرة من الأراضى الى الزراعة الواسعة والمنتجة لقصب السكر والموز والبن والقطن والكاكاو وتركزت زراعة قصب السكر فى البحر الكاريبى والساحل الشرقى للبرازيل بينما تركزت زراعة الموز فى أمريكا الوسطى غير أنه يجب ملاحظة أن نسبة الزراعة الواسعة الى الزراعة المتقدمة والتى يقوم بها الأهالى وخاصـــة الأوربيين منهم ليست كبيرة وأن جزءا كبيرا من الفائض فى الموارد الزراعية يأخذ طريقه اما نحو الولايات المتحدة أو أوربا • تتميز أمريكا اللاتينية باتساع أراضيها الزراعية وقلة عدد السكان اذا ما وزعوا على جميع أجزاء القارة غير أن توزيع السكان بها غير عادل فهناك مناطق مكتظة بالسكان وأخرى فقيرة وبهذا يمكن اعتبار أمريكا اللاتينية من القارات الغنية بثروتها الزراعية والتى لم تستغل استغلالا كاملا فأراضيها لا زالت فى حاجة الى ملايين من البشر لاستغلالها •

أما من ناحية الثروة المعدنية فان أمريكا اللاتينية تعتبر من القارات الغنية بمعادنها اذ تستأثر بحوالى ١٤٪ من انتاج العالم من البترول و ٤٪ من انتاج العالم من الحديد و٢٠٪ من انتاج العالم من الفضة و١٩٪ من انتـاج العالم من الرصاص و٧٪ من انتاج العالم من الزنك و٥١٪ من انتاج العالم من البوكسايت و١٤٪ من انتاج العالم من النحاس و١٠٠٪ من انتاج العالم من النترات الطبيعية و١٢٪ من انتاج العالم من القصدير • ويعيب أمريكا اللاتينية أن رؤوس الأموال الأمريكية قد غزتها فى ميدان استخراج المعـادن فمعظم الثروات المعدنية تمتلكها الشركات الأمريكية ويتم تسويقها فى السوق الأمريكية فاذا أخذنا النحاس مثلا نجد أن من أكبر الدول المنتجة فى العـالم شيلى وبيرو والمكسيك وأن نحاس هذه الدول تستخرج ويســوق بواسطة الشركات الأمريكية وكذلك الحال بالنسبة للألومنيوم فانه ينتج من البوكسايت الذى تستأثر جاميكا وســوريتام وجوايانا البريطانيـة بنصـف انتـــاج العالم منه ليس للأغراض السلمية فحسب ولكن للأغراض العسكرية أيضـا فمعدنا الألومنيوم والنحاس يدخلان بنسبة كبيرة فى الصناعات الحربيـــة وخاصة صناعة الطائرات والأدوات الكهربائية •

وتعتمد الولايات المتحدة فى استهلاكها للبترول على منطقة بحر الكاريبى

نظرا لقربها من الأسواق الأمريكية وتعتبر منطقة البحر الكاريبى من أهم المناطق الاستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة لأنها تعتمد عليها اعتمادا كبيرا فى انتاج الطاقة ٠ وبهذا فان قوة أمريكا اللاتينية تعزى الى مساحتها الكبيرة وتنوع التضاريس والمناخ الذى يؤدى بالتالى الى تنـــوع الانتـــاج الزراعى والمعدنى كما ترجع الى عدد السكان وان كانوا لم يحصلوا على نصيب كبير من التعليم والتقدم العلمى والحضارى فان ذلك يكون فى صالح مراكز القوى الأخرى فى أوربا وأمريكا والذى يسهل استغلال المســـتعمر للثروات الطبيعية غير أن هذه الدول فى طريقها نحو التقـــدم العلمى وهى تبحث عن الوحدة وقد كونت منظمة الوحدة الأمريكية التى تعمل على جمع شمل دول أمريكا اللاتينية ويرجى لها مستقبل زاهر فى القريب وخاصة فى البرازيل والتى تحتل مساحة جغرافية شاسعة وعدد ســـكان هائلا وموارد اقتصادية ضخمة تجعل منها قوة عالمية وقد شقت طريقها نحو النهضـــة الصناعية وأخذت تنمى رؤوس الأموال الوطنية ٠



الفصـــل الثامن

المتغيرات فى توازن القوى العالمية والنظــام السياسى للعالم

لقد اختلف العلماء فى تفسيرهم لمعنى كلمة توازن حيث أن الكلمة قد تعنى المساواة أو التكافؤ كما يدل اللفظ ولكن لا يبحث عن المساواة سوى الشعوب المستضعفة • أما الشعوب القوية فان كلمة توازن تعنى التفوق عندها لأن هذه هى لهجة القوى • أن كلمة توازن تعنى المساواة التامة فى القوى السياسية والعسكرية بين دولتين أو مجموعة من الدول بحيث لا يصبح لأحد السلطة أو القوة التى يستطيع بواسطتها أن يقضى على القوى المناوئة •

أما كلمة القوى فانها تعنى أن تتوفر للدولة المقومات الضرورية والكافية لحماية استقلالها والاستفادة من مركز ممتاز فى الأسرة الدولية فبدون القوى قد تختفى الدولة من الوجود لأنها سوف تصبح لقمة سائغة فى فم اعدائها • اذا فما هو القدر الكافى من القوى ؟ هل هو القدر الذى تستطيع به الدولة أن تحافظ على نظام حكمها وأن توطد دعائم الحكم فيها • أم هو القدر الذى بواسطته تستطيع الدولة أن تنشىء علاقات متكافئة مع غيرها من الدول ؟ وحيث أن القناعة ليست من طبيعة الانسان فهو دائما يطلب المزيد وبما أن الانسان هو المسير لشئون الدولة فلا شك أنه دائما يبحث عن المزيد من القوى فالمطالبة بالمزيد من القوى لا تشكل خطرا على الدولة أو الدول المجاورة • وانما الذى يشكل خطرا هو أن تصبح الدولة أقوى من الدول المجاورة وبهذا يمكن أن تمثل القوى بالمال فكلما حصل الانسان على جزء منه طلب المزيد • وهذا يضع الدول المجاورة فى سباق للحصول على المزيد من القوى لغرض اللحاق بمن سبقهم أو المحافظة على التفوق •

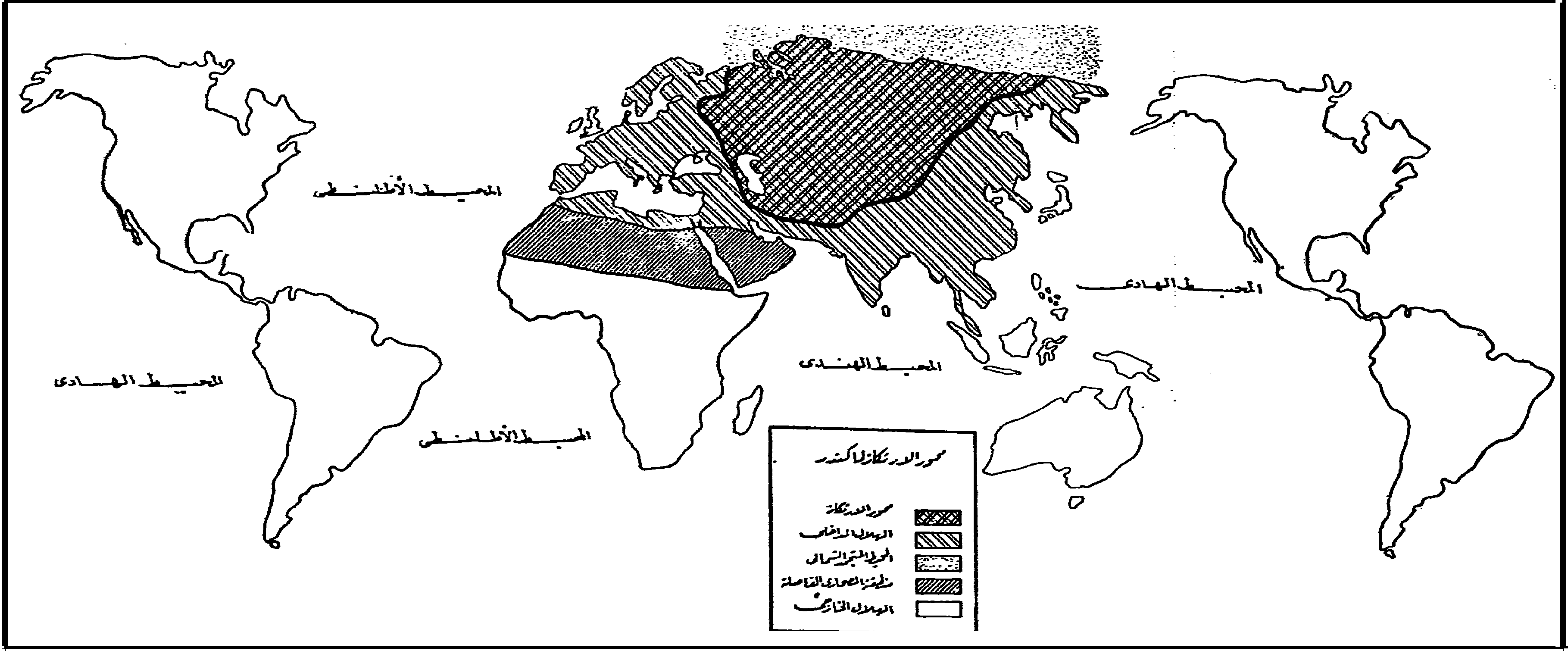
من هذا المنطلق يمكن أن نتساءل ما اذا كانت كلمة توازن القوى تعنى التطور العسكرى أم أنها تعنى المساواة السياسية بين دولتين أو أكثر من الدول بحيث يصبح لكل دولة او مجموعة من الدول قوى مســـاوية للقوى المضادة • أو ربما تعنى توزيع القوى العالمية فى زمن معين للمحافظة على وضع معين • وقد تعنى أن هناك اختلافا فى ميزان القوى وأن الدولة التى تردد هذه الكلمة تحاول ابعاد أنظار العالم وتضليلهم من أنها تتجه نحو الحرب واخلال توازن القوى فى المنطقة • من أجل ذلك فلابد من أن ننظر الى الكلمة

بشيء من التحفظ لأنها تعنى فى كثير من الأحيان التفوق والسيطرة ولان الدولة دائما تسعى لأن تكون فى مركز القيادة فلابد أن يكون التوازن فى مصلحتها وليس فى المساواة ٠

ترى فى الوقت الحاضر الكتلة الشيوعية محاطة بعدد من الدول الصغيرة والتى تحارب مبدأ الشيوعية ٠ هذا النظام السياسى العالمى لم يأت جزافا وانما كان نتيجة لأحداث تاريخية وجغرافية الهدف منها هو توازن القوى العالمية ٠ لقد سلط الأضواء على توازن القوى العالمية وخاصة القوى البحرية ممثلة فى بريطانيا العظمى والقوى البرية ممثلة فى نمو وتطور الاتحـــاد السوفيتى ٠ استاذ الجغرافية بجامعة لندن السير « هالفورد ماكندر » عام ١٩٠٤ حينما القى محاضرته الشهيرة المعروفة باسم محور الارتكاز (١) فى الجمعية الملكية البريطانية والتى تتلخص بأن التاريخ البشرى قد تأثر كثيرا بالغزوات المتتالية والتى قدمت من وسط آسيا ٠ وأن أوربا هى أكثر مناطق العالم تأثرا ٠ فمعظم الهجرات خرجت من مكان غير معروف على وجه التحديد من وسط آسيا ولكن البوابة التى خرجت منها هذه الهجرات تقع بين جبال الأورال والبحر الأسود وخاصة فى الفترة بين القرن الخامس والقرن السادس عشر ٠ فمن هذه البوابة خرج البلغاريون والمجريون والتتار والمغول وغيرهم وانتشروا نحو الشمال والغرب والجنوب وهاجموا الحضارات القديمة فى أوربا والشرق الأوسط مما اضطر بعض الشـــعوب الى الهجرة أمام هذه الغزوات كشعب الانجـــلو ساكســـون الذين عبروا بحر الشمال الى الجزر البريطانية هذه الهجرات المتلاحقة جاءت من منطقة الاستبس الآسيوية والتى يسهل فيها الحركة لركاب الجمال والخيول هذه المنطقة تتميز بالتصريف المائى (اتجاه الأنهار) نحو المحيط المتجمد الشمالى والذى يصعب فيه العيش أو الحركة أو الاتصال الخارجى ٠ وبهذا يصعب الهجوم عليها من جهة الشمال أما من جهة الشرق والجنوب فان المنطقة محصنة بسلسلة من الجبال العالية كجبال شرق آسيا وجبال الهملايا وجبال الألب ٠ ولهذا فان منطقة محور الارتكاز هى منطقة حصينة بحيث يصعب على القوة البحرية مهاجمتهـا ٠ لذا ذكر « ماكندر » أيضا بأن منطقة محور الارتكاز محاطة بشريط من الأرض سماها الهامش أو الهـــلال الداخلى Inner or Marginal Crescent

---

1 Halfor J. Mackinder, "The Geographical Pivot of History" Geografical Journal XXIII, 1904, p.421-444.


المحيط الأطلنطى
المحيط الهادى
المحيط الهندى
المحيط الأطلنطى
المحيط الهادى
محور الارتكاز لماكندر
محور الارتكاز
الهلال الداخلى
المحيط المتجمد الشمالى
منطقة الصحارى الفاصلة
الهلال الخارجى

والتى تنحدر أنهارها نحو البحار المفتوحة وهذا ما يساعد القوى البحرية على غزو المنطقة عن طريق الأنهار العديدة · ثم هناك شريط آخر يتكون من الجزر التى تحيط بالقارات كالجزر البريطانية والجزر اليابانية ، وهذه الجزر معرضة لسيطرة القوى البحرية أيضاً · كما أضاف لهذه الجزر القـــارات الكبيرة كالعالم الجديد واستراليـــــا وسماها أراضى الهلال الخـــارجى Land of Outer Insular Crescent لقد حذر ماكندر من نهوض القوى البرية والممثلة فى منطقة محور الارتكاز والتى تشمل أراضى الاتحاد السوفيتى فى الوقت الحاضر · ولم يمض طويلا على مقالة السير هالفورد ماكندر حتى جاءت الحرب العالمية الأولى وانتهت عام ١٩١٩ م بانعقاد مؤتمر السلام ببـــــاريس وهناك قدم ماكندر كتابه المثل الديمقراطية (١) والواقع Democratic Ideal and Reality والذى قدم فيه نظريتـــــه الشهيرة والمعروفة باسم نظرية قلب الأرض Heartland وفيها تصور ماكندر العالم القديم (قوربا وآسيا وأفريقيا) كتلة واحدة سماها جزيرة العالم واعتبر منطقة محور الارتكاز بأنهـــــا قلب الأرض · وتتلخص نظرية قلب الأرض فيما يأتى :

١ — أن من يسيطر على شرق أوربا وهى البوابة الوحيدة لمنطقة محور الارتكاز يتحكم فى قلب الأرض ·

٢ — ومن يسيطر على قلب الأرض يتحكم فى جزيرة العالم ·

٣ — ومن يسيطر على جزيرة العالم يتحكم فى العالم كله ·

لقد كان ماكندر يؤمن بأن منطقـــــــة قلب الأرض لديها من المزايا الاقتصادية والحربية والاستراتيجية الشىء الكثير · وكان يرى أن موقع المانيا هو موقع استراتيجى بالنسبة لقلب الأرض فليس أمامها من العوائق ما يمنعها من السيطرة على قلب الأرض · ومما تجدر ملاحظته أن منطقـــة قلب الأرض والتى ذكرها ماكندر عام ١٩١٩ تختلف قليلا عن منطقة محور الارتكاز التى حددها عام ١٩٠٤ م (شكل ١٦) ·

---

1. H.J. Mackinder. "Democratic Ideal and Reality" Norton Inc. New York, 1962.

لقد توسعت منطقة قلب الأرض لتشمل البحر البلطى ونهر الدانوب الأدنى والبحر الأسود وآسيا الصغرى ومنطقة أرمينيا والتبت ومنغوليا . ويقال أن ماكندر أضاف هذه المناطق نظرا لفشل بريطانيا فى السيطرة على البحر البلطى والدخول الى البحر الأسود عبر المضايق التركية فى أثناء الحرب العالمية الأولى . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية لتؤيد نظرية قلب الأرض لماكندر وخاصة عندما غزت المانيا روسيا وهزمتها فى مطلع الحرب غير أن المانيا هزمت فى نهاية الحرب وخرجت روسيا منتصرة ، وهذا ما جعل السير هالفورد ماكندر يعتقد بأن نظريته بعد الحرب العالمية الثانية أقوى منها عام ١٩٠٤ وحينما نشرها لأول مرة . غير أن الأحداث جعلته يعدل فيها بعض الشيء .

لقد أحدثت نظرية قلب الأرض ردود فعل فى جميع أنحاء العالم كان أهمها فى المانيا والولايات المتحدة الأمريكية . لقد كان يقود الحركة الألمانية الدكتور كارل هاوسهوفر والذى ركز جهوده فى دراسة الجغرافيا والتاريخ لقد كان هاوسهوفر خبيرا سياسيا لشئون المحيط الهادى والشرق الأقصى حيث قضى جزءا من حياته كمراقب عسكرى لهيئة الأركان الألمانية فى اليابان ويقال أن هاوسهوفر كان متأثرا بآراء فردريك راتزل وماكندر وكانت آراؤه تنعكس فى المجلة التى كان يشرف على نشرها عن الاستراتيجية العالمية . وكان يؤيد فى مقالاته تحالف المانيا والاتحاد السوفيتى للسيطرة على أوربا الشرقية . وبهذا يمكن لألمانيا أن تسيطر على بقية القارة الأوربية . غير أنه كان دائما يلمح بأن صراع السيطرة على قلب الأرض سوف يضع المانيا فى موقف عدائى مع روسيا وربما يقودها الى حرب معها . وهنا سوف يكون الاختيار للقوة البرية فمن واجب المانيا أن تبنى قوة برية ضاربة قوية لأن مشاتها سوف يقررون مصيرها . كما أن هاوسهوفر أدرك قيمة القوى البحرية وأثرها فى المعركة فكان يدعو الى تحطيم القوى البحرية أولا وقبل كل شيء وقد كان متفائلا بأن القوة البرية لألمانيا سوف تنتصر فى النهاية (١) . هذا بالنسبة لألمانيا .

---

(١) أما علاقة هتلر بكارل هاوسهوفر فقد كانت محدودة وربما يرجع السبب فى ذلك الى أن زوجة هاوسهوفر كانت يهودية وهذا ما كان يكرهه هتلر . غير أن الاثنان تقابلا فى سجن لاند سبرج وتبادلا وجهات النظر بالاضافة الى أن هتلر ربما كان يقرأ =

أما ردود الفعل لنظرية قلب الأرض فى الولايات المتحدة فلقد كانت تتمثل خير تمثيل فى رجلين أحدهما الفردثاير ماهان (١) المؤرخ والضابط البحرى والذى ألف كتابا فى الاستراتيجية العالمية تحت عنوان أثر القوى البحـــرية فى التاريخ The Influence of Sea Power Upon History حيث كان ينظر الى قوة الدولة من عدة زوايا أهمها الموقع الجغرافى والظروف الطبيعية وطول الحدود وعدد السكان والصفات القومية للناس وصـــفات الحكومة ويمكن أن نلخص آراء ماهان فيما يلى :

- موقع الدولة على البحار الدولية وقوة التضاريس التى تســـود الدولة فاذا كانت الدولة تقع على بحار دولية ولكن ليس فيها موانىء طبيعية تربطها بالعالم الخارجى فانها لا تصبح دولة بحرية وأن موقعها هذا لا يعود عليها بفوائد كثيرة مثلها مثل الدول التى لا تقع على البحر على الاطلاق فكلما زادت الموانىء الطبيعية فى الدولة كلما أعطت الدولة قوة الى قوتها وكلما كان فى الدولة أنهار ملاحية كلما زادت أهميـــة الدولة حيث تصبح الدولة فى وضع يسهل عليها تصدير منتجاتها للجهات الداخلية والخارجية هذه المميزات جميعها قد تضع الدولة فى موقف صعب اذا لم يكن للدولة قوة بحرية تستطيع أن تدافع بها عن حدودها •

مقدار طول الحدود البحرية وحجم السكان ، فاذا كانت الحدود البحرية طويلة وكان عدد السكان قليلا فان حدودها البحرية لن تخدم مصلحة الدولة بشـــكل كبير • وعلى العكس من ذلك فاذا كانت الحدود البحرية طويلة

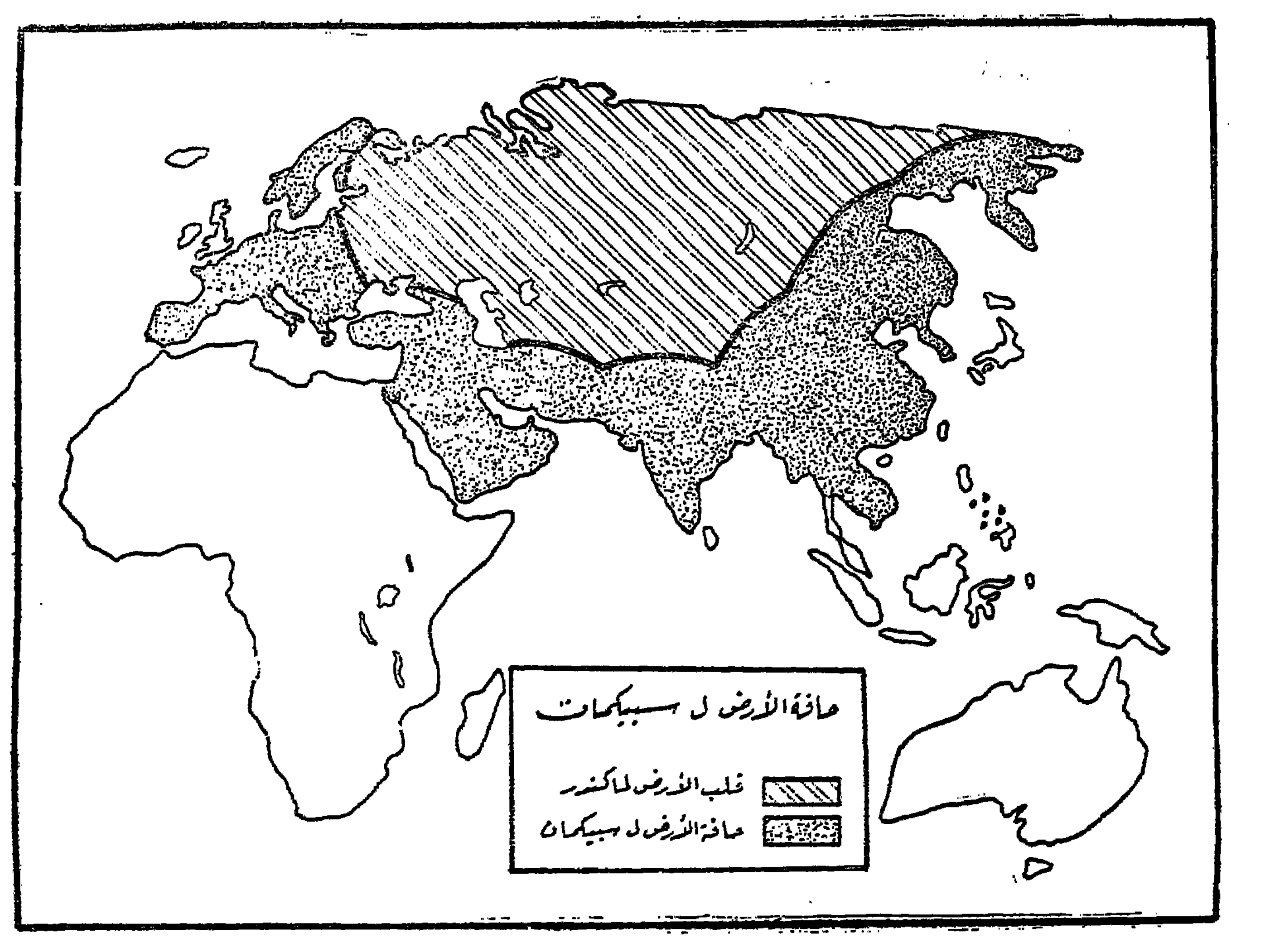
= آراء كارل هارسهوفر من خلال المجلة التى كان يحررها فى معهد ميونخ • ومما يثبت هذه الحقيقة أن بعضا من أفكار هاوسهوفر وردت فى كتاب هتلر « كفاحى » فقد كان هتلر ينظر نحو توسع دولته فى اتجاه الشرق أو بمعنى آخر فى اتجاه قلب الأرض ويعلل سياسته هذه بقوله ليس هناك ما يضمن حرية الدولة فى الحياة غير رقعة متســـعة كافية على هذه الأرض وأن المانيا أمام أحد أمرين اما أن تكون قوة عالمية أو لا تكون شيئا على الاطلاق • ولكى تصبح قوة عالمية فانها تحتاج الى الحجم الذى يمنحهـــا الأهمية الضرورية وبعد انتهاء الحرب العالمية وانتهاء هتلر عام ١٩٤٤ اعتقل كارل هاوسهوفر ثم أفرج عنه ولكن سرعان ما وجد كارل هاوسهوفر وزوجته منتحرين فى منزلهما فى مقاطعة بفاريا الالمانية عام ١٩٤٦ •

1. Alfred Thayer Mahan "The Influence of the Sea Power Upon History" 1680-1783, Boston 1890.

وكانت الدولة مزدحمة بالسكان فانه يصبح من السهل الاتصال الخارجى من كل جزء من سواحلها والتجارة مع العالم الخارجى وهذا ما يجلب لهـا الخير والرفاهية ٠

بالاضافة الى أن حجم السكان سوف يسـاعد على الدفاع عن هذه الحدود الطويلة فى حالة هجوم خارجى ٠ وأخيرا طبيعة الشعب وعلاقتـه بحكومته وعلاقة حكومته بالحكومات الأخرى له أثر واضح على قوة الدولة البحرية ٠

لقد كان ماهان يربط بين قوة الدولة وقوتها البحرية فاذا كانت الدولة تريد السيطرة على العالم فان من الواجب عليها أن يكون لديها قوة بحـرية كبيرة وأن يكون لديها قواعد بحرية بعيدة عن شـواطئها حتى لا تسمح لأعدائها الوصول الى شواطئها ٠ كما كان ماهان ينظر الى المميزات التى تتمتع بها بريطانيا وخاصة سيطرتها على المواقع البحرية الاستراتيجية من العالم كجبل طارق وقناة السويس ومضيق باب المندب وسنغافورة وغيرها ٠ لقد كان ماهان ينظر الى الولايات المتحدة على أنها جزيرة أو شبه جزيرة محاطة بالبحار من كل جانب وأنه يجب عليها أن تمتلك قوة بحرية قوية وقواعد بحرية حولها سواء فى جزر هاواى نحو الغرب أو منطقـة البحر الكاريبى ونيوفوندلاند نحو الشرق ٠ بالاضافة الى أنه كان ينظر الى الولايات المتحدة بأنها سوف تحل محل بريطانيا كقوة بحرية فى هذا العالم ٠ وملخص آراء ماهان أن الدولة التى تقع على البحر يجب أن يكون لديها قوة بحرية مدعمة بجيوش برية ليس فى أراضيها فحسب بل وفى قواعد خارج حدودها حتى يمكنها أن تدفع الخطر عن أراضيها قبل أن يصل الى سواحلها ٠ لقد ركز ماهان اهتمامه الى تاريخ أوربا وشمال الأطلسى والمحيط الهندى وأشار الى ما قاله ماكندر ينطبق على الاتحاد السوفيتى كقوة برية تتمتع بمسـاحات شاسعة من الأراضى بحيث يصعب الوصول الى وسطها وخاصة وسط آسيا ، كما أشار ماهان الى أن المنطقة الواقعة بين خطى عرض ٣٠ درجة و٤٠ درجة شمالا ما هى الا منطقة نزاع بين القوى البرية ممثلة فى الاتحاد السـوفيتى والقوى البحرية ممثلة فى بريطانيا فى ذلك الوقت وأن قناة السويس وقناة بنما سوف تكون مناطق نزاع سياسى فى المستقبل وتنبأ بأن كلا من بريطانيا واليابان وألمانيا والولايات المتحدة سوف تجد من مصلحتها السيطرة على كل من الاتحاد السوفيتى والصين وكان يرى أنه لا بد من وجود عازل بحرى بين


حافة الأرض لـ سبيكمان
قلب الأرض لماكندر
حافة الأرض لسبيكمان

شكل (١٧)

أمريكا وبين الاتحاد السوفيتى بحيث تسيطر أمريكا على البحار والمحيطات وأن لا تدع القوى المعادية لها أن تنزل الى مياه المحيطات ٠

أما الرجل الثانى فى الولايات المتحدة والذى اهتم بدراسة نظرية قلب الأرض لماكندر فهو نيكولاس سبيكمان (١) ٠ مدير معهد بيل للعلاقات الدولية بجامعة بيل ٠ درس سبيكمان نظرية ماكندر لقلب الأرض والتطـورات التى طرأت عليها خلال الأحداث العالمية التى مر بها العالم فى الحربين العالميتين وراقب اتجاهات الدول وخاصة ألمانيا والاتحاد السـوفيتى فى الوصول والتحكم فى أوراسيا وخرج بنتائج عدة أهمهـا أن لموقع الدولة الجغرافى أهمية كبرى فى رسم سياستها الداخلية والخارجية وبالرغم من أنه قد شك فى قدرة منطقة قلب الأرض من السيطرة على العالم لأنه كان يعتقد بأن الاتحاد السوفييتى لا يتمتع بالميزات التى تؤهله لمركز القيـادة ٠ فالأحوال المناخية والثروات الطبيعية فى روسيا كما رآها لا تشجع على التوسع ٠ لقد كان سبيكمان ينظر الى أن مركز الثقل فى الاتحاد السوفيتى هو فى روسيا الأوربية وليس فى القسم الآسيوى من الاتحاد السوفيتى غير أن سبيكمان خرج بنظرية جديدة لتوزيع القوى فى العـالم سماها « حافة الأرض أو الريملاند Rimland » ويقصد بحافة الأرض هو الهلال الداخلى والذى يطوق قلب الأرض ٠ لقد اعتبر سبيكمان حافة الأرض وهى المناطق الساحلية التى تفصل بين قلب الأرض والبحار والمحيطات من أهم مناطق العالم استراتيجية وتشمل معظم قارة أوربا باستثناء روسيا الأوربية وآسيا الصغرى والجزيرة العربية والعراق وايران وأفغانستان والهند وجنوب شرقى آسيا والصين وكوريا ٠ اعتبر هذه المناطق مناطق التقاء أو مناطق التصادم بين القوى البرية ممثلة فى قلب الأرض والقوى البحرية ممثلة فى الدول الكبرى غير الاتحـاد السوفيتى وألمانيا ٠ وملخص نظرية سبيكمان هو :

« ان من يتحكم فى منطقة حافة الأرض يسيطر على أوراسيا ومن يسيطر على أوراسيا يتحكم فى أقدار العالم » (شكل ١٧) ٠

لقد اعتبر سبيكمان الجزر البريطانية واليـابان مركزين استراتيجين

---

1. Nicholas J. Spykman "The Geography of the Peace" New York,1944, p.34.

الأحلاف العسكرية

دول الحلف الأطلسي

،، جنوب شرق آسيا

،، الكتلة الشيوعية

شكل (١٨)

هامين يمكن أن يساعدا منطقة حافة الأرض من الناحية الحربية • أما بالنسبة لافريقيا جنوب الصحراء الكبرى فلم يعرها اهتماما كبيرا لأنها مناطق منعزلة ومتخلفة ولا تشكل خطرا فى القريب العاجل على الأقل • كما اعتبر قارات العالم الجديد بأنها مراكز جديدة للقوى تتميز بانعزالها عن العالم القديم بالمحيطات الكبيرة والتى يصعب اجتيازها بسهولة • فهو بهذا يرى أن أمريكا تتعادل مع العالم القديم فى مركز القوى والطاقة المستغلة والمسخرة للسيادة العالمية • كما أنه أكد للعالم أنه اذا ما أريد سلام دائم لهذا الكون فان على القوى البحرية ممثلة فى الولايات المتحدة أن تعرقل قيام أى اتحاد بين مراكز القوى فى العالم القديم وخاصة اذا كانت تلك القوى سوف توجه ضد الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الجديد • كما أكد أن قيام اى اتحاد فى منطقة حافة الأرض سوف يكون خطرا على كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية على السواء • وكان سبيكمان يشجع قيام تحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ليتعاونا على حفظ السلام العالمى • وهذا هو الاتجاه الحديث فى العلاقات الأمريكية ـ السوفيتية •

من أجل ذلك قامت الولايات المتحدة بانشاء أحلاف عسكرية تحيط بالاتحاد السوفيتى أو بالقوى البرية ممثلة فى حلف الأطلسى والذى يمتد من شمال غرب أوربا وحتى تركيا ثم الحلف المركزى (حلف بغداد سابقا) والذى يمتد من تركيا غربا الى الباكستان شرقا وأخيرا حلف جنوب شرق آسيا والذى يكمل شبه الدائرة • ولهذا رابطت القوات الأمريكية ليس فقط فى البحار والمحيطات وانما فى قواعد عسكرية تمتد على طول منطقة حافة الأرض فى كل من ألمانيا وتركيا وايران وكوريا الجنوبية (شكل ١٨) •

ونتيجة لتوصية سبيكمان لعبت الولايات المتحدة وخلفاؤها فى أوربا الغربية دورا فى تمزيق منطقة حافة الأرض الى دويلات ، فقسمت أوربا الى قسمين : أوربا الشرقية وأوربا الغربية ثم قسمت كل قسم الى عدد من الدول وصل الى حوالى خمسة وعشرين دولة • ففى الجانب الشرقى قامت بولندا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ورومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا أما فى الجانب الغربى فقامت كل من السويد والنرويج والدانمرك وهولندا وبلجيكا ولكسمبرج وفرنسا وايطاليا واليونان وسويسرا والنمسا • وبالرغم من أن بعض هذه الدول قد سبق آراء سبيكمان • هذا بالنسبة لأوربا •

اما بالنسبة للعالم العربى والاسلامى فقد قسم الى دويلات صغيرة حيث قامت فرنسا بتقسيم كل من سوريا ولبنان كما قامت بريطانيا بتقسيم كل من العراق والمملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين هذا بالاضافة الى أن شمال أفريقيا قد قسم الى مراكش والجزائر وتونس وليبيا وجمهورية مصر العربية والسودان وقامت بشبه الجزيرة العربية عدة دول عرفت فيما بعد بالمملكة العربية السعودية وجمهورية اليمن الجنوبية ومسقط وعمان والامارات وقطر والبحرين والكويت : أما بقية العالم الاسلامى فقد قسم الى كل من تركيا وايران وافغانستان وقام الانجليز الذين كانوا يحتلون شبه القارة الهندية بتقسيم كل من بورما والهند والباكستان • وحيث أن مصلحة كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية تقتضى زيادة تفكيك وتفتيت شبه القارة الهندية حتى لا تصبح قوة كبرى فى جنوب اسيا فقد شجعتا تقسيم الباكستان الى دولتين فخلقت دولة بنقلاديش بالرغم من أن باكستان هى حليفة أمريكا فى الحلف المركزى ومن واجبها الدفاع عنا فى حالة أى هجوم عليها غير أن مصلحة أمريكا تقتضى عدم التدخل والسماح للهند الدولة المحاربة بتقسيم دولة باكستان ولذلك فانها وقفت مكتوفة الأيدى عندما قامت الهند بفصل باكستان عن بنقلادش • أما بالنسبة لجنوب شرق آسيا فان فرنسا قد قامت بدورها بأن حافظت على تفكيك المنطقة الى دويلات صغيرة مثل فيتنام الشمالية وفيتنام الجنوبية ولاوس وكمبوديا •

كما قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتفكيك كوريا وتقسيمها الى دولتين كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية وانطلاقا من مبدأ التفكيك والتقسيم فقد لاقت الدول الكبرى بعض المشاكل من بعض الشعوب المؤمنة بكيانها وتوحيدها من أجل ذلك نزلت القوات الأمريكية الى كوريا وحاربت كوريا الشمالية للمحافظة على ابقاء كوريا مقسمة الى دولتين فى بداية الخمسينات ولا زالت القوات الأمريكية مرابطة بكوريا الجنوبية حتى عامنا هذا ١٩٧٤م ، أما بالنسبة لفيتنام فقد وجدت الجيوش الفرنسية مقاومة شديدة بحيث لم تستطع أن تواجه تيار الوحدة الفيتنامية وبهذا فقد غادرت القوات الفرنسية وحلت محلها قوات أمريكية • وهكذا استمرت الحروب فى فيتنام زهاء خمسة عشر عاما دون الوصول الى نتيجة مما دفع القوات الأمريكية الى مغادرة البلاد • ولكن الحرب فى جنوب شرق آسيا لم تنته بعد حيث انتقلت الى كمبوديا ومن المتوقع أن تنتشر فى جميع أجزاء الهند الصينية نظرا لعدم رغبة هذه الشعوب البقاء مقسمة الى دويلات •

أما فيما يختص بمشكلة العرب واسرائيل فيمكن أن يرجعها الى أن الدول الكبرى وخاصة أمريكا وبريطانيا ترى أن العالم العربى يمثل وحدة جغرافية قوية حيث تتضافر جميع العوامل لتكون منه وحدة جغرافيـــة واقتصادية وسياسية • فالمنطقة محصنة من الناحية الطبيعيـــة بفواصل طبيعية تفصل بين العالم العربى والأمم المجاورة فمن الشمال يقع كل من البحر المتوسط وجبال طوروس ومن الشرق تحده كل من زاجروس والخليج العربى ومن الجنوب يحده بحر العرب والمحيط الهنـــدى والبحر الأحمر والصحراء الأفريقية الكبرى • كما يتميز العالم العربى بوجود امة واحدة تتكلم لغة واحدة وتدين بدين واحد لها عاداتها وتقاليدها الموحدة وتاريخهـا المشترك الواحد فاذا درسنا العالم العربى من الناحية الاقتصادية فاننا بدون شك سوف نجد المنطقة تتمتع بتكامل اقتصادى ممتاز • كل هذه الظروف تدعو جميع أفراد العالم العربى من المحيط الأطلسى غربا وحتى الخليج العربى شرقا الى أن ينادوا بالوحدة العربية •

من أجل هذه الظروف الممتازة لتوحيد العـــالم العربى خشى الغرب وخاصة أمريكا بالذات توحيد هذه المنطقة ولهذا دفعت باليهود الى المنطقة وهى تعلم علم اليقين أنهم لا يستطيعون البقاء فى هذا الجزء من العالم ما لم يقف الغرب خلفهم يؤازرهم ويمدهم بالمعونات الاقتصادية والعسكرية • ومن أجل ذلك وضع الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية اسرائيل فى قلب العالم العربى وما هى الا دولة عسكرية دخيلة الهدف من وجودها ضمان بقاء دول العالم العربى مقسمة ومفككة ومجزأة • ان بقاء اسرائيل مرهون بتفكيك هذا العالم العربى وأن توحيده يعنى نهاية هذه الدولة • من أجل ذلك عمل الغرب على بقاء اسرائيل سرطانا فى جسم العالم العربى ففى بقائهـا ضمان لسياسة أمريكا الخارجية وهو تفكيك منطقة حافة الأرض وفى بقائها ضمان لعدم توحيد المنطقة لاستنزاف مصادر الثروة الطبيعية فيها • من هذه الزاوية يجب على العرب أن يعملوا جميعـــا من أجل وحدتهم وأن يجمعوا شملهم وأن لا يدعو أية قوة على وجه الأرض تفككهم وتضعفهم لتســـتغلهم منفردين كلا على حدة • لقد رأينا التجارب الوحدوية التى مرت بالمنطقة وأن اتحاد كل من مصر وسوريا قد فشل واتحاد كل من العراق والأردن قد انتهى واتحاد مصر وليبيا قد تحطم فى وسط العواصف وهكذا مصير كل اتحاد يقوم ليس فقط فى المنطقة العربية وحسب وانما أيضا فى أى منطقة داخل حافة الأرض لأن فى اتحاد منطقة حافة الأرض تهديد لكل من الولايات المتحـدة

والاتحاد السوفيتى ٠ لكل من القوى البرية والقوى البحرية كما سبق أن أوضح سبيكمان ٠

لقد علق على نظرية قلب الأرض الاستاذ « جورج ب كريسى (١) بقوله اذا كانت هناك قلعة أو قلب للأرض فانه يجب أن يكون فى أمريكا الشمالية وليس فى أوراسيا حيث أن حجم القارة الأمريكية منـاسب وشكلها مندمج واتصالاتها الداخلية والخارجية ممتازة وموقعها متوسط فهى تقع على اثنين من أكبر المحيطات فى العالم وأن تضاريسها وغنى معادنها وامتياز مناخها وروح الحركة التى يتميز بها سكانها كل ذلك يدعو الى أن تكون قلبا للأرض٠ كما انه انتقد ماكندر فى أن منطقة قلب الأرض بأوراسيا ليس لها اتصال بالبحار والمحيطات الدولية ولهذا فان القوى البحرية لا تستطيع الوصـول اليها فاذا كان ذلك فى الماضى له بعض الصحة فان هذه القـاعدة لا يمكن الاعتماد عليها فى العصر الحديث ٠ فالأستاذ جورج ب كريسى انتقد ماكندر فى أنه غير من موقع قلب الأرض من وسط آسيا عام ١٩٠٤ الى شرق أوروبا عام ١٩١٩ وأخيرا اعتبر حدود الاتحاد السوفيتى هى منطقة قلب الأرض عام ١٩٤٣ وبهذا تحولت منطقة قلب الأرض الى القوى الوطنية للاتحاد السوفيتى أكثر من أنها مركز للقوى العالمية ٠

أما الأستاذ / ج٠ت٠ رينز (٢) ٠ فقد علق على نظرية قلب الأرض بقوله أن تطور وسائل المواصلات الجوية قد وسع من دائرة قلب الأرض لتشـمل دائرة مركزها القطب الشمالى ونصف قطرها يمتد الى البحر المتوسط تدور حول الكرة الأرضية لتشمل أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا ٠ حيث أن القوى الجوية قد غيرت معنى قلب الأرض فكل دولة عظمى قوية لديها قلب للأرض وأن القوى الجوية لم تترك أهمية كبرى للمناطق الداخلية الحصينة فالحركة السريعة هى العامل الاستراتيجى الهام والذى بواسطته يمكن للطائرات أن تحل محل الخيول فى حركتها السريعة كما كانت فى الماضى ٠

غير أننا يجب أن نلاحظ أن الاتحاد السوفيتى والذى تميز بحركة الخيول

---

1. George B. Cressey "The Basic of Soviet Strength" New York, 1945, p.245.
2. G.T. Renner "Peaceby the Map Collier's CXIII 1944,p.44.

السريعة فى الماضى قد أصبح قوة برية لا يستهان بها وأن التقدم فى تحسين وسائل النقل الجوى والبرى والبحرى قد جعل تحركه سهلا وميسورا بالاضافة الى أن أهم ما يميز الاتحاد السوفيتى هو تطوره السياسى وقدرته على وضع مخططات استراتيجية ٠

أما بالنسبة لتطبيق هذه النظريات المختلفة على العصر الحديث فيمكن تتبعها بأن الاتحاد السوفيتى وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى والثانية أخذ يوزع مراكز قواه وينشرها فى آسيا السوفيتية بعد أن كانت مركزة فى أوروبا السوفيتية كما أن الاتحاد السوفيتى أخذ فى النهوض كقوة عالمية كبرى وأن لم يصل الى قوة الولايات المتحدة الا أنه يسير فى ذلك الاتجاه كما أن الأحداث الأخيرة والتى قام الاتحاد السوفيتى فى المجر عام ١٩٥٦ م وفى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ربما تنير لنا الطريق الى أن روسيا تنظر الى شرق أوروبا أو مفتاح قلب الأرض نظرة شرهة ولم تسمح بتحول هذه الأجزاء من العالم فى صالح ميزان القوى البحرية ثم أن الاتحاد السوفيتى أخذ يكون حوله كتلة شيوعية تختلف فى مبادئها ومثلها عن الكتلة الغربية أو العالم الحر ٠

يقابل هذا التكتل الشيوعى تكتل آخر من جانب المعسكر الغربى وهو عبارة عن سلسلة من الأحلاف الاقتصادية والعسكرية تبدأ بأوروبا ممثلة فى حلف شمال الاطلسى والسوق الأوربية المشتركة ثم حلف بغداد سابقا والحلف المركزى حاليا وأخيرا حلف جنوب شرق آسيا ٠ هذه الأحلاف جميعا تتركز فى منطقة حافة الأرض والتى دعى اليها سبيكمان وأن أى ضعف يحدث من جانب الدول الغربية الكبيرة وعلى رأسها الولايات المتحدة فى مساعدة دول حافة الأرض كدول أوربا الغربية واليونان وتركيا وايران وأفغانستان والباكستان وجنوب كوريا سوف ينتج عنه ضغوط من قبل الكتلة الشيوعية للخروج من العزلة التى تقع فيها ٠ هذه الضغوط أو التوسع الشيوعية قد يأخذ اشكالا مختلفة فى سبيل هدف واحد وهو السيطرة على حافة الأرض والوصول الى المياه الدافئة والتى قد دعى اليها ماكندر منذ زمن بعيد ٠

ولكن يجب أن نعلم أن العالم قد تطور فى سلم الحضارة وأن الحروب فى العصر الحاضر لم تعد كما كانت من قبل حيث تستخدم الأسلحة التقليدية، فالتقنية الحديثة قد تقدمت بشكل كبير فى كل من الاتحاد السوفيتى والولايات

المتحدة ودول أوربا الغربية وأن الحروب القادمة لن تكون فى مصلحة أى من الكتلتين الشرقية والغربية فالصواريخ عابرة القارات والأقمار الصناعية وامكانية استخدامها فى الحروب تتقدم يوما بعد يوم وأن تقدم الجيوش البرية لم يعد له قيمة كبرى أما الطائرات الحديثة والسريعة اذ بالامكان أن توقفها فى لحظة تحركها وأن العالم أصبح مغطى بشبكة من الرادار والتى تشعر كل كتلة بتحركات الكتلة الأخرى ٠ ربما يكون لهذا التقدم العلمى آثاره فى احباط فعالية النظريات السابقة الذكر ولكن يجب أن يأخذ فى الحسبان أن استخدام هذه الأسلحة سوف يعود بالعالم الى حيث بدأ اذا لم تنته الحياة على وجه الأرض فكل كتلة تحسب ألف حســـــاب فى استخدام الذرة فاذا استبعدنا الأسلحة النووية واستخداماتها فلربما يكون للنظريات السابقة بعض الفعالية أو الاهتمام ، لهذا فان العالم يجب أن يتصف بشىء من الحكمة فى علاقاته الدولية قبل أن يفوت الأوان ٠

الفصـل التـاسع

الجغرافية العسكرية والاستراتيجية

أولا : الاستراتيجية العالمية :

هناك ارتباط وثيق بين الجغرافية العسكرية والاستراتيجية وخاصـة الاستراتيجية العالمية فقد سلط الجغرافيون السياسيون الأضواء على الجهات التى يبدو أنها تنطوى على خطر كامن ليثيروا انتباه القـادة السـاسيين والعسكريين حتى يأخذوا حذرهم ولا يؤخذوا على غرة فمثلا عندما القى السير هالفورد ماكندر محاضرته عن محور الارتكاز فى الجمعية الجغرافية الملكية عام ١٩٠٤ كان هدفه توجيه انذار للقوى البحرية ممثلة فى بريطانيا من خطر نمو القوة البرية المتطورة فى الاتحاد السوفيتى (١) وعندما نشر كتابه عن المثل الديمقراطية والواقع عام ١٩١٩ وبين فيه نظرية قلب الأرض كان هدفه اظهار الاستراتيجية العالمية والصراع الدولى من أجل السـيادة العالمية • فمسئولية الجغرافى السياسى هى تقدير الأهميـة الاستراتيجية المتغيرة فى مختلف أجزاء العالم لما لديه من امكانيات يمكن بواسطتها قياس القوة النسبية للدول من خلال متابعة تطويرها لمواردها الاقتصادية والبشرية والسياسية كما يمكن معرفة الأهداف التى تسعى الدول الى تحقيقها •

لقد كانت لكتابات السير هالفورد ماكندر أصداء كبيرة فى جميع أجزاء العـالم واعتبر رائدا لاستراتيجية القرن العشرين • اذ أنه ناقش وحلل الظروف الجغرافية والتاريخية والسياسية للأراضى التى يحتلها الاتحـاد السوفيتى فى الوقت الحاضر فوجد أنها قلعة حصينة محاطة بالجبال العالية من الشرق والجنوب ومحاطة بالبحار والمحيطات المتجمدة من الشمال يستطيع سكانها أن يهاجموا من حولهم واذا ما هوجموا عادوا الى حصـنهم المنيع وهزموا أعداءهم وهذا ما حدث للفرنسيين بقيـادة نابليون عندما هاجم الأراضى الروسية كما حدث للألمان عندما هاجموا الأراضى الروسية فى خلال الحربين العالميتين لقد تنبأ ماكندر منذ عام ١٩٠٤ بأن الصراع القادم فى

---

(١) راجع الى الفصل الثامن من كتاب الدولة : دراسة تحليلية فى مبـادىء الجغرافية السياسية للاستاذ حسين حمزة بندقجى •

العالم سوف يكون بين قوتين عالميتين هما القوى البرية ممثلة فى الاتحاد السوفيتى والقوى البحرية ممثلة فى بريطانيا والتى كانت تحمل راية القوى البحرية وقد حذر ماكندر بريطانيا من تدهور مركزها البحرى اذا تطورت القوة البرية وبالفعل لقد انتهت بريطانيا كقوة بحرية وقويت عضلات القوى البرية حتى أصبحت من اقوى دول العالم ولولا الانذار الذى وجهه ماكندر فى عامى ١٩٠٤ و١٩١٩ لما خرجت الولايات المتحدة من عزلها وحملت راية القوى البحرية وواصلت الصراع والنزال مع القوة البرية العالمية وتحولت الاستراتيجية العالمية الى العمل من أجل السيادة العالمية بين القوتين العالميتين وهما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى ·

لقد قاد حركة الدراسة الاستراتيجية فى الولايات المتحدة الأستاذ نيكولاس سبيكمان حيث نشر اربعة أبحاث وكتابين تتعلق جميعها بالاستراتيجية والسياسة الخارجية الأمريكية والعلاقات الدولية · ودراسته للاستراتيجية تتلخص فى خمس نقاط :

أولا : أنه ناقش الآراء الاستراتيجية العالمية لماكندر وعدل فيها حيث وضع الحدود الغربية لنظرية قلب الأرض والتى تقول أن من يستولى على شرق أوربا يستول على قلب الأرض (الاتحاد السوفيتى) ومن يستول على قلب الأرض يستول على جزيرة العالم (العالم القديم : آسيا وأوربا وأفريقيا) ومن يستول على جريرة العالم يستول على العالم · لقد عدل سبيكمان الحدود الغربية لمنطقة قلب الأرض وقال « ان منطقة قلب الأرض "Heart Land" تمتد غربا الى خط يربط البحر الأسود بفنلندا ·

ثانيا : ان سبيكمان جاء بنظرية مضادة لنظرية ماكندر قلب الأرض حيث قلل من أهمية منطقة قلب الأرض وقال انها لا تمتلك الموارد الطبيعية الكافية لجعلها قوة عالمية نظرا لسيادة الجليد على معظم أراضيها وسيادة الصحراء على بعض أراضيها · أما نظريته الجديدة فلقد سماها ـ حافة الأرض » وهى تلك الأراضى الواقعة بين حدود منطقة قلب الأرض لماكندر والبحار والمحيطات الدولية فى العالم القديم وقال أن أراضى حافة الأرض لديها من الامكانيات ما يجعلها تسود العالم فمنها يمكن السيطرة على قلب الأرض من جهة وعلى بقية أجزاء العالم من جهة أخرى وتتلخص نظرية حافة الأرض فى أن من يسيطر على حافة الأرض Rimland يحكم آسيا

وأوربا وأن من يحكم آسيا وأوروبا يسيطر على مصائر العالم ·

ثالثا : اقترح سبيكمان أن تقوم القوى البحـــرية ممثلة فى الولايات المتحدة الامريكية بالسيطرة على أراضى حافة الأرض وذلك بتشجيع تقسيمها الى دويلات صغيرة ما أمكن وذلك وحتى تتمكن من السيطرة عليهم ومن أجل ذلك تلاحظ أن السياسة الأمريكية فى هذا الجزء من العالم هى سياسة التقسيم والتفتيت ولو اضطرها الأمر الى انزال قواتها العسكرية فمنذ عام ١٩٥٠ وجيوشها تحتل كوريا الجنوبية لا لشىء سوى للمحافظة على وجود دولتين كوريتين ولقد نزلت القوات الأمريكية فى فيتنام وقاتلت خمسة عشر عاما لتحافظ على وجود دولتين فيتناميتين ولا زالت تحتل الأراضى الألمانية ليحافظ على وجود دولتين المانيتين ·

رابعا : لقد أوصى سبيكمان القوى البحرية بأن تعمل كل جهدها عــلى الا تدع دولتين مهما كان صغرها أن تتوحدا فى منطقة حافة الأرض لأن فى توحيدهما خطرا على أمن وسلامة الولايات المتحـــدة فهو بهذا يريد أن يضعف العلم البعيد على أراضيه وحتى لا يصبح قوة تنافس القوة البحرية الأمريكية ولهذا نرى كيف أنه لا يمكن تحقيق أمنيات الأمم ، فالأمة العــربية تتكلم عن الوحدة العـــربية منذ عشرات السنين أنهـــا أمنية فقط من الناحية النظرية وان كانت عناصر الوحدة متوفرة لديها فاللغة وهى وسيلة التخاطب والتفاهم واحدة والعقيدة وهى من أهم وسائل الترابط (وليس هناك عامل أقوى من الترابط الروحى) موحدة والتكامل الاقتصادى يمكن أن يقـــوم بل أن الفائض النقدى يذهب لينمى جميع دول العالم · كل هذه العوامل المجتمعة .والتى لم تتوفر لبقعة على سطح الأرض موجودة ولكن الوحـــدة العربية بعيدة المنال لأن القوى العالمية تعارض قيامها · ولقد رأينا كيف انتهى الاتحاد المصرى السورى وغيره من الاتحادات التى قامت فى العالم العربى· بل رأينا كيف انتهت الوحدة الباكستانية بين شرقها وغربها ويعتقد أنه لا مكان لوحـــدة فى منطقة حافة الأرض ما دامت السياسة الخارجية الأمريكية تدعو الى التقسيم والتفتيت ·

خامسا : دعى سبيكمان الى قيام عدد من الأحلاف العسكرية فى منطقة حافة الأرض فقام حلف شمال الأطلنطى والحلف المركزى وحلف جنوب شرق اسيا لتغطى منطقة حافة الأرض وتقاوم القوة البرية الممثلة فى الاتحـــاد

السوفيتى ولتحافظ على تفكيك وتفتيت منطقة حافة الأرض ولتكون خط الدفاع الأول للقوى البحرية ممثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية ٠

لقد ربط سبيكمان بين العلاقات الخارجية والعلاقات الداخلية للدولة فوضع استراتيجية قياس المتغيرات فى العاملين وأهمها العلاقات المشتركة بين جغرافية الدولة والسياسة الخارجية القائمة أو المقترحة ولقد تضمنت دراسته هذه ثلاثة أبحاث نشر الأول منها عام ١٩٣٨ تحت اسم الجغرافية والسياسة الخارجية (١) والثانى عام ١٩٣٩ بعنوان الأهداف الجغرافية فى السياسة الخارجية (٢) والثالث عام ١٩٤٢ تحت اسم الحدود والأمن والتنظيم الدولى (٣) ٠ ففى بحثه الأول يسير على خطى ماكندر حيث يدرس العلاقة المشتركة بين البيئة الجغرافية والسياسة الخارجية أو التخطيط للاستراتيجية فيرى أن توازن القوى أحد مهام الجغرافيا السياسية وأنه يجب أن ينظر بعين الاعتبار الى الموقع العالمى والموقع الاقليمى والحجم ويشمل الموقع العالمى دراسة الأقاليم المناخية الكبرى ودراسة القارات ودراسة البحار والمحيطات أما بالنسبة للموقع الاقليمى فيدرس علاقة الدولة بالدول المجاورة ويتناول حجم المشاكل المتعلقة بتوحيد أجزاء الدول ويبحث عما اذا كانت الدول المجاورة أكثر قوة أو أكثر ضعفا أم أنها متكافئة فى القوة ٠

أما بالنسبة لبحثه الثانى عن الأهداف الجغرافية للسياسة الخارجية فتشمل دراسة طبيعة التوسع والتغير الجغرافى الذى يطرأ على سياسة توازن القوى فينتقد عصبة الأمم على تقديم أمن للدول الأعضاء ورغبة بعض الدول فى تحقيق أهداف جغرافية معينة ويدرس طبيعة التوسع وخاصة كيفية معالجة الحدود السياسية والتى يعدها تعبيرا استراتيجيا عن التوازن القائم لقوى الدولة فى وقت من الأوقات وأن أى تغير فى موقع حدود سياسية أو تغير فى السياسات الخارجية معناه تغير فى ميزان القوى السياسية ٠

---

1. Nicholas J. Spyksman "Geography and Foreign Policy" American Political Science Review 32, pp.28-50 and 213-36.1938.
2. Nicholas J. Spylsman "Geography Objective in Foreign Policy" Amer. Pol. Sc. Rev. 33,pp.391-410 and 591-614,1939.
3. Nicolas J. Spyklsman "Frontiers, Security and International Organization" Geographical Review, 32,pp.436-47. 1942.

أما بحثه الثالث عن الحدود والأمن والتنظيم الدولى فلقد قامت جمعية الجغرافيين وجمعية العلوم السياسية الأمريكية فى جلسة مشتركة بقراءة بحثه والذى أكد فيه أن الدولة المستقلة مسئولة عن سلامة أراضيها وأن حدود أية دولة من الدول ما هى الا دليل على فروق القوى للدول المجاورة من أجل ذلك تعتمد بعض الدول فى حماية حدودها على اجـراءات فردية بينما تقوم دول أخرى بحماية حدودها عن طريق التحالفات أو عن طـريق نظـم الأمن الجماعى ولقد أوضح فى بحثه دور التقدم التقنى فى الأسلحة وعـلاقته بالحدود وخاصة فى قيام الدول العازلة Buffer Stotes وأن الاستقرار لن يسود الا اذا كانت الدول المتجاورة ذات قوى متكافئة ولهذا فان سبيكمان ينادى بالتعاون بين الجغرافيين وعلماء السياسة لوضع أفضل الحلول للسلام والذى يعتبره أيضا غير دائم ٠

ان منجزات سبيكمان تعتبر مكملة لاستراتيجية ماكندر فلقد أيقظ الرأى العالم الأمريكى وعلماء السياسة الأمريكيين الى أهمية فهم العلاقة بين البيئات الجغرافية والاستراتيجية العالمية ولقد وضع نهاية للجدل الذى كان سائدا فى عصره عن اعادة أمريكا الى عزلتها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ٠

هذا من جانب الاستراتيجية الأمريكية أما الجانب الآخر من الاستراتيجية المعارضة لأمريكا فهى استراتيجية الاتحاد السوفيتى التوسعية ٠ ففى الوقت الذى بدأ فيه ماكندر يكتب عن قلب الأرض والقوى البرية لم يكن الاتحـــاد السوفيتى سوى دولة ضعيفة تكافح للبقاء فى ظل ظروف صعبة غير أن أحوال الاتحاد السوفيتى الاقتصادية والعسكرية قد تغيرت وأخذ السوفيت يضعون استراتيجية اكتساح جيرانهم وضمهم الى دولتهم الكبرى ٠ لقد استمدت روسيا استراتيجيتها من موقعها الجغرافى ومساحتها ومواردها الطبيعيـة فتطلعت الدولة الروسية بعد توحيدها الى التوسع بحيث لا توقفها الا دولة أقوى منها حتى أصبحت أراضيهـا الفســيحة تضـمن ســلامتها وعمـــاد دفاعها ٠

ولقد كتبت البراندا يوم ١١ سبتمبر عام ١٩٤٧ تقول « أن أروع خدمة قدمتها موسكو هى توحيدها لروسيا المجزأة فى دولة واحدة وحكومة واحدة وقيادة واحدة وأن كل دولة فى العـــالم لم تســتطع التحـرر من التجزئة

والتنازع لا يمكنها أن تأمل فى المحافظة على استقلالها وتحقيق تقدم اقتصادى وثقافى محسوس ٠ فالبلد الموحد فى دولة مركزية هو وحده الذى يتوصل الى تحقيق تقدم ثقافى واقتصادى محسوس يتوطد به استقلاله (١) » فالاستراتيجية السوفيتية هى استراتيجية توسعية قائمة على النظرية الشيوعية وانتشارها فى جميع انحاء العالم وأن الدولة السوفيتية لا تلتزم بحدود جغرافية ثابتة فالدستور السوفيتى لعام ١٩٢٤ أعلنها صراحة بان الاتحاد مفتوح لجميع الجمهوريات السوفيتية المقبلة وأنه خطوة نحو اتحاد عمال جميع بلاد العالم فى جمهورية اشتراكية سوفيتية واحدة (٢) وهكذا بدأ الصراع بين المعسكرين الغربى والشرقى وحدث ما لم يتوقعه السوفيت لقد كان خوفهم من انجلترا أكبر قوة بحرية فى العالم الا أن ألمانيا النازية هى التى بدأت بالهجوم والتوسع فتضاربت المصالح التوسعية بين روسيا وألمانيا فبعد ان اتفقا على تقسيم بولندا فيما بينها نرى الاتحاد السوفيتى يتحد مع دول العالم الغربى الرأسمالى للقضاء على التوسع النازى وهذا ما لم يتوقعه الألمان عندما شنوا حروبهم ضد الدول الأوربية وانتهت الحربان العالميتان الأولى والثانية بعد أن أحدثت تغيرات فى ميزان القوى العالمية وفى استراتيجيات الدول وانقسم العالم الى معسكرين وبدأت الحرب الباردة بين المعسكرين وتوقع السوفيت حدوث انفجار حرب جديدة ضدهم فى أى وقت فظهر عليهم روح الصراع وتصاعدت الحرب الباردة حتى ظن الغرب أن الاتحاد السوفيتى يستعد لاكتساح أوربا الغربية وآسيا وهكذا استعد كل منهما للآخر وحدثت الاشتباكات فى بعض الجهات الجانبية مثل كوريا وفيتنام وكاد أن يصطدم الجانبان فى مشاكل العالم العربى واسرائيل ٠ غير أن مرور السنين قد هدأ من فزع الروس وخوفهم من قيام حرب ضدهم حيث جاء خروشوف واقنع الحزب الشيوعى بأن الحصار الرأسمالى لروسيا قد انتهى وأن روسيا محاطة بدول شيوعية من جميع الجهات فى آسيا وأوربا وأن النظرية القائلة بأن العالم مقسم الى قسمين انما هى نظرية خاطئة وذلك لوجود معسكر ثالث يتكون من الدول النامية والتى نالت استقلالها والمعادية للدول الرأسمالية وأن الاستراتيجية السوفيتية يجب ألا توجه ضد الدول الرأسمالية وانما تساعد الدول النامية والدول المناضلة ضد الاستعمار لأن ذلك سوف يضعف العالم الرأسمالى

---

(١) روى مكريدس مناهج السياسة الخارجية دار الكتاب العربى ٠ بيروت صفحة ٢٥١ ٠

(٢) المرجع السابق ٢٥١ ٠

وظهر ذلك لأول مرة عندما قام السوفيت يتبنى تمويل مشروع السد العالى وتقديم المساعدات والخبرات الفنية الى الهند وسوريا والعراق وفى مساعدة الدول المناوئة للاستعمار فى الأمم المتحدة ٠

هناك استراتيجية عالمية ثالثة تعتنقها دول عدم الانحياز أو تسمى بدول الحياد الايجابى وتعتمد هذه المجموعة من الدول تعتمد فى استراتيجيتها على تفادى الارتباط بأى معسكر من المعسكرين الشرقى أو الغربى وخاصة وأنها قاست من مرارة الاستعمار وتخشى من أن انضمامها الى احدى المعسكرين يفقدها الاستقلال الذى حصلت عليه والذى كافحت طويلا من أجله ورغبتها فى الابتعاد عن التوتر الدولى الذى يسود بعض أجزاء العالم وتكريس جهودها فى استغلال مواردها وطاقاتها للتنمية الاقتصادية ولاستكمال نموها الاقتصادى والاجتماعى والارتفاع بمستوى شعبها العلمى والتقنى ٠ ولهذه الاستراتيجية مزايا عديدة حيث أن دول عدم الانحياز تجنب شعوبها الدخول فى مهاترات الحرب الباردة وتخشى تطور الحرب الباردة الى حرب ساخنة فتضطر الدول المنحازة الى الدخول فيها وهذا قد يسبب لها خسائر كبيرة فى الأرواح والعتاد والأموال ٠

كما أن لدول عدم الانحياز الحرية فى اختيار النظام السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى يتلائم مع ظروف البيئة التى تعيش فيها الدولة أما اذا انحازت دولة ما فان اقتصادها يرتبط ارتباطا وثيقا مع الدولة الكبرى المنحازة اليها وتصبح تحت رحمتها فاذا أخذنا المملكة العربية السعودية كمثل حى فاننا نلاحظ أنها لا ترتبط فى اقتصادها بدولة معينة ، فبامكانها أن تحصل على الطائرات المدنية من دولة ما والطائرات الحربية من دولة أخرى وبامكانها أن تحصل على المدفعية الثقيلة من دولة ثالثة والدبابات من دولة رابعة والصواريخ المضادة للطائرات من دولة خامسة هذا التنوع لا يجعل مصير الدولة فى يد دولة واحدة فاذا ما حصل خلاف بينها وبين احدى الدول فان أحد أسلحتها قد يتعطل وليس جميع أسلحتها وبامكانها وفى فترة وجيزة أن تحل سلاحا آخر محل ذلك السلاح أما الدول المنحازة فانها ترتبط ارتباطا وثيقا بالدول التى تمدها بالأسلحة وبالتالى لا تستطيع التحرر منها بسهولة لأن الطائرة أو الدبابة أو أى قطعة من السلاح فى حاجة الى قطع غيار فاذا لم تقم الدولة المصنعة لذلك السلاح ببيع قطع الغيار فان الجهاز الرئيسى لا يدوم طويلا ٠ وللدول المحايدة والتابعة لاستراتيجية عدم الانحياز مزايا

اخرى كثيرة فباستطاعتها أن تصنع جوا من التعاون الدولى فيما بينها وان تسود المحبة والوفاء بين تلك الدول بدلا من العداء والخصام والمشاكل التى لا تنتهى وبامكانها أن تقوم بالوساطة بين الدول المتنازعة وتخفف من شدة توترها فعدم الانحياز لا يعنى السلبية أمام المشاكل الدولية أو عدم المساهمة فى حل مشاكل السلم والحرب بل أن لتلك الدول غير المنحازة تأثيرا قويا فى حل مشاكل العالم سواء داخل المنظمات الدولية أو خارجها . ولقد أعلنت منظمة الدول غير المنحازة مبادئها الرئيسية والتى تتلخص فيما يلى :

١ - الامتناع عن الاشتراك فى الأحلاف والتنظيمات .

٢ - عدم الانحياز لأى من المعسكرين الكبيرين .

٣ - تضامن الدول المحايدة مع الشعوب غير المستقلة واعتبار العدوان على جزء منها عدوانا عليها جميعا .

٤ - العمل المشترك على تحرير البلاد التى لا تزال غير مستقلة .

٥ - احترام حق الشعوب فى تقرير مصيرها .

٦ - ادانة التمييز العنصرى .

٧ - تأكيد مبدأ التعايش السلمى .

٨ - احترام سيادة الدول صغيرها وكبيرها .

٩ - حل المنازعات بدون التهديد باستعمال القوة أو استخدامها وفقا لمبادىء الأمم المتحدة .

١٠ - ضرورة نزع السلاح العام الشامل .

١ - استخدام الطاقة الذرية فى الأغراض السلمية .

١٢ - الغاء وتحريم استخدام وتجارب الأسلحة النووية .

١٣ - معارضة الاشتراك فى التكتلات والأحلاف والمواثيق العسكرية .

١٤ - تصفية القواعد الأجنبية بوصفها تشكل ضغوطا ضد الأمم والشعوب التى تقع فى أراضيها .

١٥ - تضافر الجهود فى سبيل تحقيق التعاون الثقافى والعلمى والتربوى وتحقيق الحرية والعدالة والسلام بين دول العالم .

ثانيا : الاستراتيجية العظمى للدولة أو الاستراتيجية الوطنية

يمكن تعريف الاستراتيجية العظمى للـدولة بأنها فن تخطيط وتنسيق وتوجيه كافة الموارد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية لتحقق المصلحة الوطنية والمحافظة عليها . وهنا نتساءل عن مفهوم المصلحة الوطنية؟ اختلف المفسرون فى تفسير المصلحة الوطنية للدولة فبعضهم عرفها بأنهـــا مجموعة القيم النابعة من الشعب . وبعضهم فسرها بأنها السعى لزيادة قوة الدولة . ومهما اختلفت التعبيرات فان المصلحة الوطنية تعتبر من الأهداف التى يضعها المجتمع من خلال تجاربه الحضارية والثقافية لتقوم بربط أفراد المجتمع . وهذه الأهداف هى التى تحدد للناس معايير الحق والعدالة وعلى نهجها تسير الدولة ويعمل الشعب للمحافظة على كيانه فاذا قلنا أن المصلحة الوطنية للدولة الاسلامية هى نشر الاسلام فان ذلك يعنى أن الدولة تقـــوم بتخطيط وتنسيق وتوجيه كافة الموارد الاقتصادية والسياسية والاجتمـاعية والعسكرية لنشر الاسلام لا على الصعيد المحلى داخل الدولة وانما فى جميع أنحاء العالم . ويقوم شعبها بالعمل المتضامن المخلص فى سبيل تحقيق المصلحة الوطنية للدولة . من هذا المنطلق تضع الدولة استراتيجيتها العظمى وتعمل على تحقيق هذا الهدف بالوسائل المختلفة والتى تضمن التقـــدم نحـــو المصلحة الوطنية . ينظر البريطانيون الى التجارة مع الدول الشيوعية على أنها استراتيجية يقصد منها الحصول على أكبر قدر من الفوائد الاقتصادية والتى تقوى من شأن الدولة بينما تختلف نظرة الامريكيين الذين يرون أن التجـارة مع الدول الشيوعية يدفع الى تقوية عدو محتمـل ويعتبر نظرة البريطانيين نظرة اقتصادية بينما تعتبر نظرة الأمريكيين نظرة سياسية .

وهناك تعريفات متعددة للاســـتراتيجية العظمى : فبعض السياسيين يعرفونها بأنها فن اعـــداد واستخدام القـــوة الســـياسية والاقتصادية والسيكولوجية للدولة الى جانب قواتها المسلحة فى السلم والحرب لتأمين الأهداف الوطنية . ويعرفها آخرون بأنها فن استخدام كافة موارد الأمة لتحقيق الأهداف الواردة فى السياسة الوطنية ، أما بالنسبة للاهداف الوطنية فيمكن أن نلخصها فيما يأتى : —

الأهداف الوطنية

١ - حماية السيادة الاقليمية ودعم الأمن القومى .

كثيرا ما تتعرض الدول الى ضغوط من قبل دول أخرى مجاورة او غير مجاورة وفى هذه الحالة لابد أن تعمل الدولة على حماية كيـــانها واستقلالها فاذا لم تفعل ذلك فانها تفقـــد جـــوهر الاســـتقلال وهـــو السيادة التامة على جميع أراضيها والتى قد يترتب عليها استيلاء دولة أجنبية على كل جزء من أراضيها من أجل ذلك تقاوم الدولة كل تهديد يوجه نحو قيمها او مصالحها وقد تضطر الدولة للمحافظة على أمنها وسلامتها أن تتحـالف مـع واحـد أو عدد من الدول المجاورة مثل تحالف الدول العربية المواجهة لاسرائيل اوقد تحاول الحصول على معونات اقتصادية وعسكرية من دول أجنبيـة مثـل المساعدات الأمريكية لاسرائيل والمساعدات العربية لدول المواجهة اوقد توقع ميثاق عدم اعتداء بينها وبين دولة أو دول أخرى يكون الهدف منها هو حماية الأمن القومى للدولة أو أن تتبع سياسة الحياد الايجابى لتخفيف العداء الذى قد تتعرض له الدولة من أحد الدول المتصارعة .

٢ - زيادة قوة الدولة :

ان الطبيعة الانسانية تسعى دائما الى السيطرة وامتلاك القوة وحتى لو أدت الظروف الى سلبها من الآخرين فكل دولة من الدول لابد وأنها قامت على أنقاض دولة أو دول سابقة انتزعت منها مقومات قوتها ولكل دولة من الدول حى أدنى من القوة لبقاء كيانها السياسى فبدون القوة لا تستطيع الدولة أن تفرض الأمن فى الداخل وأن ترد المعتدى الخارجى وأن تحافظ على كيانها واستقلالها وأن تقاوم كل من يتعرض لاستقلالها وسيادتها . فاذا بحثنا عن الدوافع التى دفعت بعدد من الدول الكبرى الى الخروج من حدودها والسيطرة على دول أخرى أو استعمار أقطار أخرى نجد أنها تبحث عن المزيد من عناصر القوى وما الصراع بين الدول الكبرى الا صراع من أجل الحصول على مزيد من القوى فالدول الكبرى تتسابق فى الحصول على موارد الثروات فى الدول النامية لتزيد المتخلف تخلفا وتزيد قوتها قوة .

٣ - رفع مستوى معيشة السكان

قد يتزايد عـــدد السكان بنسبة اكبر ممـــا يجود به الأرض من موارد

ينخفض المستوى الاقتصـــادى للسكان وهنا تعمل الدولة على زيادة الطاقة الانتاجية للبــلاد بشتى الطـــرق فمن الوســـائل التى يمكن أن ترتفـــع بها الطاقة الانتاجية أن تستثمر الدولة أموالها خارج حـــدودها ٠ هـــذه السياسة القومية بدأتها بريطانيا ثم تبعتها الولايات المتحـدة وفرنسا والمانيا واليابان ٠ ومن بين الأهداف القومية والتى قادت العـــالم الى حربين عالميتين هو رغبة المانيا فى احتلال أراضى الدولة المحيطة بها لترفع من مســـتوى معيشة سكانها الألمان باستيلائها على مصادر الثروة فى الدول المجاورة ٠ واذا نظرنا الى المناجم ومناطق استخراج البترول والثروة المعدنية فى معظم الدول النامية نجد أن رأس المال العامل فى استخراج المعادن بها هو رأس مال أجنبى ، ولقد تنافست كل من بريطانيا والولايات المتحدة فى استغلال أكبـر قدر ممكن لرؤوس اموالها فى هذا الميدان غير أن الحربين العالميتين جعلت بريطانيا فى مركز تخلف بينما تضاعفت رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة فى الدول النامية والتى امتلكت معظم أسهم الشركات فى العالم ٠

واذا نظرنا الى الاقتصاد البريطانى نجده يعتمد اعتمادا كبيرا على مواد خام تستوردها من خارج حدودها وتقوم بتصنيعها ثم تصدرها ٠ كل هـــذه العوامل تتضافر فى سبيل رفع مستوى الشعب داخل الدولة ولهذا تتباهى الدول بأنها حققت أعلى مستويات للمعيشة والدخل فى العالم ولهذا تتسابق الدول فى سبيل الوصول الى أعلى المستويات ٠

٤ ـ التوســـع

ان التوسع على حساب الدول المجاورة يعتبر أحد الأهداف الوطنيـة فالدولة الألمانية حاولت أن تتوسع وتضم الأراضى المجاورة وقادت العالم الى حربين عالميتين ولولا التوسع لما أصبحت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى قوتين عالميتين ولولا توسع الكتلة الشيوعية فى جنوب شرق آسيا لما قامت الحرب فى كل من كوريا وفيتنام ولولا التوسع الاسرائيلى على حساب العالم العربى لما قامت المشاكل فى المنطقة كما أن كل قوة عالمية سواء فى العصر الحاضر أو خلال الأزمنة السابقة لم تقم لولا أنها توسعت على حساب جيرانها فالدولة الناشئة تستمر فى توسعها الى أن تواجه دولة فى قوتها وعند ذلك تصل حدودها الى مرحلة التوازن وهكذا تأخذ فى التوسع من جميع جهاتها

فالحـــدود السياسة اذا ما هى الا مراكز توازن القـــوى بين الدول كمـــا ذكر سبيكمان ٠

٥ ـ الدفاع عن مبدأ أو عقيدة ونشرها خارج الدولة

عندما تتحمل الدولة مسئولية نشر مبدأ من المبادىء أو عقيدة من العقائد يصبح هذا العامل أحل أهدافها الوطنية وهى بهذا تحاول أن تغرى الـدول المختلفة باعتناق مبدئها أو عقيدتها وقد يستلزم ذلك تضحيتها بجـــزء من ثرواتها كأن تعطى الدول بعض المعونات الاقتصادية والمالية والحربية فى بعض الأحوال ، ويمكن أن نلاحظ هذا المثل بين الكتلتين الكبيرتين فكل منهمـــا يخصص جزء من ميزانيته للمساعدات الخارجية والمعونة الخارجية ولهـــذا الغرض يصبح أمن الدولة مرتبطا الى حد كبير باحاطتها بحزام من الدول التى تعتنق مبدأها فالاتحاد السوفيتى لم يهدأ روعه ويخف توتره الدولى الـذى أصابه بعد الحرب العالمية الثانية الا بعد أن تأكد من وجود حزام من الدول المحيطة به والتى تعتنق مبدأه وبذلت الولايات المتحدة الكثير من المساعدات والمعونات الخارجية للدول المحيطة بالاتحاد السوفيتى لتضمن وجود حـزام يؤمن بمبادئها ويقاوم مبادىء عدوها ٠ ولقد رأينا تصرف الاتحاد السوفيتى مع كل من المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ عندما حاولتا الابتعاد عن مبادئه وعقائده ٠

٦ ـ المحافظة على القيم الثقافية والحضارية :

قد يكون أحد الأهداف الوطنية المحافظة على ثقـــافة الشعب أو الأمة فكثيرا ما تغزو دولة من الدول دولة أخرى وتحـــاول فرض لغتها وثقافتها وعاداتها وتقاليدها ٠ ومن هنا يبدأ التفاعل بين الحضــــارتين فاذا كانت الحضارة الأصلية عريقة ولها جذور راسخة فانها تأخـــذ ما يناسبها من الحضارة الجديدة وترفض ما لا يتناسب معها أما اذا كانت الحضارة الأصلية بدائية فانها فى هذه الحالة تأخذ كل ما جاءها من جديد متطور ٠ ففى الحالة الثانية لا يقوم صراع بين الحضارتين وهذا ما حدث فى أجزاء عديدة من العالم عندما غزتها الحضارة الغربية حتى أصبحت تسود أمريكا الشمالية ومعظـم أمريكا الجنوبية واستراليا ونيوزيلند أو بعض أجزاء من أفريقيا ٠ أما بالنسبة للحالة الأولى والتى لقيت فيها الحضارة الغربية مقاومة من الحضارة الأصلية

فانها لم تستطع أن تستمر وعلى سبيل المثال لم تستطع الحضارة الغـربية أن تحول عادات وتقاليد وقيم سكان العالم العربى بل لاقت مقاومة شديدة فى شمال افريقيا عندما شعرت بأن الحضارة الغربية قد تغلغلت فيها وأنها كادت أن تقضى على لغتها الأصلية وكذلك الحالة بالنسبة لجنوب وجنوب شرق وشرق آسيا فهذه الجهات لها طابعها الخاص المميز ولها حضارتها العريقة التى تعتز بها ولهذا فقد قاومت كل ما لا يتناسب وطبيعتها ٠ ومن أجل ذلك وضعت كل من أمريكا واستراليا قيـــودا على هجـــرة الســـكان اليهـــا خوفا من أن تغـــزوها الحضـــارات الشرقية بأعدادها الكبيرة فتغير من طبيعة الحضارة الغربية ٠

٧ ـ السلام :

أصبحت كلمة السلام من أهم الأهداف الوطنية لدولة وخاصة تلك التى قاست من ويلات الحروب التى عرفت معرفة حقيقية معنى الحرب وقد أصبح السلام نتيجة لذلك أهم هدف من أهداف الدول كما أصبح تجنب الحـــروب والعمل المتواصل على نشر السلام بين دول العالم من أهم غاياتها ٠ ولقد أدركت بعض الدول أن جزءا كبيرا من مميزاتها يذهب فى سباق التســـلح وأن هذه الأموال الطائلة لو وجهت نحو التصـــنيع والنمـــو والازدهار الاقتصادى لكان أفضل ولذلك يمكن وضع عامل السلام فى مقدمة الأهـداف الوطنية ولهذا تعمل الدول على الاقلال من تكاليف التسلح وزيادة النمـــو الاقتصادى غير أنه يجب ملاحظة أنه فى بعض الأحوال يكون السلام عائقـا أمام بعض الدول فى تحقيق أهدافها الوطنية ولهذا فان هناك دولا سوف تقاوم الدول المحبة للسلام وتقف حجر عثرة أمام تحقيق أهدافها الوطنية فمثـــلا تقف اسرائيل حجر عثرة أمام تطور العالم العربى ٠ ووحدته ونموه وازدهاره وفى هذه الحالة تصبح الحرب هدفا رئيسيا للسلام الذى سوف يستتب بعـد هزيمة العدو وصدق القائل : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » ٠

وسائل الاستراتيجية العظمى

بعد أن عـــرفنا الاستراتيجية العظمى يجب معـــرفة الوســـائل التى

يجب أن نتبعها فى سبيل تحقيق الاستراتيجية · ويمكن حصر هذه الوسائل فيما يلى :

١ ـ التسوية الودية أو الاقناع

وهذه أسهل الوسائل التى تستطيع الدولة بواسطتها أن تحقق رغباتها وأن تحافظ على سلامتها وأمنها وأن تسير فى استراتيجيتها أما الطريقة التى تتم بها التسوية فهى أن يقوم رؤساء الدول أو ممثلوهم بزيارات متعددة لتحديد معالم موقفهم وازالة الملابسات التى قد تعترض وسائل التقدم عن طريق الاقناع حيث يخاطبون مشاعر الدول الأخرى باقناعها بأن استراتيجيتهم تتمشى مع معتقدات تلك الدول فمثلا حينما تحاول اسرائيل اقناع الولايات المتحدة الأمريكية باستراتيجيتها فانها تقنعها بأنها تعمل على المحافظة على المصالح الاستراتيجية الأمريكية فى منطقة العالم العربى وبهذا تستطيع أن تحظى بتأييد أمريكا وأن تنفذ استراتيجيتها من خلال التأييد التى تحصل عليه ·

أما اذا كانت الدولة صاحبة الاستراتيجية من الدول القوية فقد تستخدم التهديد فى اقناعها وذلك بأن تقنع الدول الصغرى بالعواقب التى سوف تترتب على معارضتها للاستراتيجية التى تتبعها وقد يشمل أسلوب التسوية الودية أو الاقناع بالمفاوضات وساطة بعض الدول فى بعض النقاط المختلفة عليها أو استخدام لجان تقصى الحقائق واذا لم تثمر هذه الطرق فقد تلجأ الدولة الى التحكيمات الدولية كأن تقدم شكواها الى المنظمات الدولية كمجلس الأمن أو محكمة العدل الدولية وهذا ما نراه قائما فى النزاع العربى الاسرائيلى حيث تقوم الولايات المتحدة بدور الوساطة وتقوم الأمم المتحدة بدور المحكم ·

٢ ـ الاغراءات والمساومات

اذا فشلت التسوية الودية فان وسائل الاغراء تأخذ دورها وقد تقوم الوسيلتان فى وقت واحد بحيث تجد الدولة المتعصبة لرأيها نفسها أمام الاستفادة من بعض المميزات مقابل تنازلها عن مميزات أخرى ن وتختلف طبيعة الاغراءات فقد تكون اغراءات مادية أو اغراءات معنوية فمن الاغراءات

المادية التنازلات الاقليمية عن بعض أجزاء الدولة مقابل حصول الدولة الأخرى على أجزاء مقابلة لما فقدته مثل ما تم بين المملكة العربية السعودية والأردن حيث تنازلت المملكة العربية السعودية عن أجزاء من أراضيها جنوب ميناء العقبة مقابل أجزاء أخرى على الحدود الأردنية السعودية ٠ وقد تكون الاغراءات عبارة عن معونات اقتصادية تقدمها الدولة مثل تخلى بعض الدول لعدائها مقابل بعض المعونات الاقتصادية ٠ وقد تكون الاغراءات عبارة عن معونات عسكرية كمنح أو بيع بعض السلع بأسعار منخفضة أو تقديم أسلحة متقدمة للدولة ومن قبيل ذلك الاغراءات الأمريكية للعديد من الدول مقابل أن تخفف من عدائها لأمريكا وحتى لا تلجأ الى الكتلة المعادية وقد تكون الاغراءات معنوية بأن تعد الدولة القوية بالتدخل بجانب الدولة الضعيفة فى حالة أى اعتداء عليها اذا ما تعرضت لهجوم مسلح كما تفعل أمريكا بالنسبة لاسرائيل مقابل تنازلها عن سياستها التوسعية ٠ وقد تعطى الدولة امتيازات جمركية وذلك بتخفيض الجمارك على السلع القادمة من دولة من الدول لتحافظ على صداقتها مثلما تفعل أمريكا مع اليابان وقد تكون الاغراءات فى هيئة مساعدات فنية وتقنية من أجل تطور الدولة العلمى والفنى وغالبا ما تشكل لجان من كلتا الدولتين للعمل على تحقيق هذا الهدف كما نراه اليوم بين المملكة العربية السعودية وأمريكا وألمانيا واليابان وجميع الدول المتطورة اقتصاديا ومن الاغراءات مساعدة الدول لبعضها فى المنظمات الدولية كأن تقف بجانبها فى تأييد القرارات التى تصدرها المنظمات الدولية فى صالحها مثلما تفعل مجموعة الدول الآسيوية والأفريقية لبعضها وكذلك الدول العربية ٠ وقد يكون الاغراء التستر على موضوع معين قد يسبب مشاكل للدولة اذا أثير أمام الرأى العام الاقليمى أو العالمى وهكذا نرى الاغراءات كثيرة ومتعددة ٠

٣ ـ الضغوط المباشرة

هناك وسائل عديدة للضغوط على الدول أهمها الدعايات المعادية التى تستخدم بعض الحقائق ثم يتم تشويهها ويضاف اليها الكثير من الأكاذيب وتقوم الدول بالرد على الدعايات الكاذبة وكثيرا ما تخصص اذاعات تقوم ببث برامج معادية لتلك الدولة بغية فقدان الثقة بين الحكومة وشعبها أو ادخال عنصر التشكيك فى اخلاص الحكومة لشعبها كما تشمل الضغوط فرض

قيـود على التجارة مع دولة من الدول مثــل القيــود التى تحــاول الدول الافريقية والدول الصــديقة لها فرضــها على حـكومة جنــوب أفريقيا وروديسيا حتى تتخلى عن سياستها العنصرية وتشمل الضغوط أيضا المناورات الحربية على حــدود الدولة بحيث توهم الدولة المعــادية بأنها تتعــرض للهجوم بين عشية وضحاها أو تحريك الأساطيل الحربية واقترابها من الميـاه الاقليمية للدولة المعــادية أو وضــع الجيوش فى أهبة الاســتعداد وعلى حدود الدولة كما تشمل الضغوط الحروب النفسية الاشاعات التى تطلقها الدول المعادية لاضعاف موقف الحكومة وخاصة أيام الانتخابات وحتى يقوم الشعب بتغيير الحكومة المتشبثة بموقفها ووضع حكومة جــديدة أكثر مرونة والتى يمكن التأثير عليها ولا شك من أن الحروب النفسية لعبت أدوار كبيرة فى الحروب السابقة وكانت نتائجها ايجابية من خــلال اثارة التهكم على الحكومة وأحداث البلبلة والتفرقة بين أفراد الشعب الواحد ٠

٤ ـ الأعمال غير الودية أو المعادية

تكون الأعمال غير الودية أو المعادية بمثابة حروب على مستويات مختلفة قد تستخدم منفردة وقد تستخدم جميعها فى وقت واحد وتنحصر أهم هــذه الأعمال المعادية فيما يأتى :

(أ) الحــرب السياسية :

وهى عملية تخويف أو ارهاب وتبدأ بقطع العلاقات السياسية والدبلوماسية بين الدول وترحيل كل من الدولتين رعاياها من الدولة الأخرى كما حدث عام ١٩٥٦ عندما قطعت بريطانيا وفرنسا علاقاتها مع جمهورية مصر وأجلت جميع رعاياها استعدادا لحرب قادمة فى ذلك العام ٠ وحدث ذلك أيضا عام ١٩٦٧ عندما قطعت بعض الدول العربية كمصر وسوريا والعراق والجزائر علاقاتها مع الولايات المتحدة احتجاجا على المساعدات التى قدمتها أمريكا لاسرائيل لاعتبارها أعمــالا غير ودية من جانب أمريكا ضــد الدول العــربية وتشمل الحرب السياسية الوقوف ضد العدو فى المنظمات الدولية واذا راجعنا حسابات الأصوات المعطاة للقرارات التى اتخذت فى جانب العرب والقرارات التى اتخذت بجــانب اسرائيل فى الأمم المتحــدة لاستطعنا أن نعــرف أصدقاءنا وأعداءنا اذ أخذت الولايات المتحدة تجمع الأصوات ضد العرب

لاصدار قرار لا يقضى بانسحاب اسرائيل من الأراضى المحتلة فى الجمعية العمومية للامم المتحدة وفى مجلس الأمن كما أنها استخدمت حق الفيتو ضد قرارات كادت أن تجبر اسرائيل على الانسحاب من الأراضى العربية • وتعتبر الأعمال التى قامت وتقوم بها الولايات المتحدة ضد العرب أعمالا غير ودية على الاطلاق بالرغم من أنهـــا تقـــوم فى بعض الأوقات بدور الوساطة ولكن على شرط أن لا تضيع مكاسب اسرائيل ولابد أن تحصل على مقـابل اذا انسحبت من الأراضى العربية • فهى بهذا تساعد اسرائيل على أن تساوم على الأراضى التى تحتلهـــا ولا ترغب من المجتمـــع الدولى أن يتـــدخل ويأمرها بالانسحاب ومن الأعمال غير الودية أن تقوم دولة كبيرة بتســـليح دولة معادية حيث يساعد هذا التســـليح المعتدى كثيرا على التمادى فى اعتداءاته •

(ب) الحـرب الاجتماعيه :

تعتبر الحرب الاجتماعية حربا داخلية فى وسط المجتمع يتسلل خلالها العدو وليثير الفرقة والأحقاد القديمة فى نفوس سكان الدولة الواحـدة ويستطيع العدو بواسطتها أن يقوم بأعمال من شأنها هدم القيم التى تعتمد عليها الدولة فمثلا يثير الخلاف بين النظم القديمة والنظم الحديثة ويحاول أن يشعر الشعب بأن حكومته لا تساير ركب الحضارة وأنه من الواجب تغييرها • وقد يثير الخلافات الثقافية داخل الدولة ويتمثل ذلك فى نجاح الانجليز فى تقسيم الدولة الواحدة الى دولتين أولا ثم الى ثلاث دول كما حدث بالنسبة استغلال الخلافات الدينية فى الهند وقيام دولة باكستان بقسميها الشرقى والغربى ثم فصل باكستان الشرقية عن الغربية وصنع مشكلة كشمير •

وهناك خلافات كبيرة بين القوميات والأقليات المختلفة فى أمريكا الجنوبية يثيرها دائما الاستعمار من دولة الى أخرى حيث يوجد المهاجرون الأوربيون والزنوج والهنود الحمر والمولدون وهناك خلافات كبيرة أيضا بين الأكراد وسكان العراق وبين شمال وجنوب السودان وبين عدد من الدول العربية نفسها وفى داخل الدولة الواحدة بين المجموعات المختلفة التى تعيش فيها ويجب على الدولة مقاومة الحروب الاجتماعية بأن تعمل كل جهدها على ازالة الخـــلافات الاقليمية والثقافية والجنسية بين أفراد شعبها حتى لا تكون بالنسبة للعدو أرضا خصبة يزرع بذور الحقد بين أفرادها •

(جـ) الحرب الاقتصادية :

للحرب الاقتصادية عدة وجوه معقدة منها منع وصول الموارد التى تحتاجها الدولة · فكثيرا ما نرى أن عددا من الدول الكبرى يمنع بيع نوع من السلع قد تكون سلعا حربية أو ذخيرة أو قد تكون سلعا استهلاكية كالقمح وقد استخدمت الولايات المتحدة القمح كأحد أساليب الضغوط على الدول التى لا تتمشى مع استراتيجيتها فمثلا منعت القمح عن جمهورية مصر العربية فى وقت من الأوقات كاجراء غير ودى للتعبير عن عدم رضى الولايات المتحدة الأمريكية عن الاستراتيجية المصرية التى كانت تهدد مصالح أمريكا فى العالم العربى · وكما حدث أن منعت كل من بريطانيا وفرنسا تصدير السلاح الى الدول العربية وهما يعلمان أن الدول العربية تعتمد عليهما فى ذلك اعتمادا كبيرا وأن اسرائيل تعتمد على الولايات المتحدة الأمريكية · ويشكل منع بيع السلاح الى دول المنطقة عملا عدائيا للعالم العربى أكثر من اسرائيل بل أنه يساعد العدو الاسرائيلى على تفوقه فى ميدان التسليح وهكذا تصبح الدول العربية تحت رحمة دول الغرب · ومن الأعمال غير الودية للحرب الاقتصادية حرب المقاطعة الاقتصادية ، فالاستراتيجية العربية تطبق مبدأ المقاطعة للدولة المحتلة أراضيها واذا كان هذا عملا غير ودى فان المقاطعة قد جاءت نتيجة حروب مستمرة بين الدولتين وكثيرا ما أوصت المنظمات الدولية كمجلس الأمن باتخاذ استراتيجية المقاطعة للدول الخارجة على القانون الدولى كدولتى جنوب أفريقيا وروديسيا وطالبت بمقاطعتهما اقتصاديا وحربيا ويقصد بهذه الاستراتيجية اعطاء الفرصة لهاتين الدولتين لتغير سياستيهما العنصرية · ومن الأعمال غير الودية رفع الأسعار لبعض أو جميع السلع بحيث تلاقى الدول الفقيرة صعوبات فى سبيل الحصول على ما تحتاجه من مواد · كذلك يعتبر الصراع بين الدول الصناعية والدول النامية شديد فى هذا المجال اذ ترغب الدول الصناعية الحصول على المواد الخام من الدول النامية بارخص الأسعار بينما تبيع منتجاتها الصناعية بأسعار مرتفعة · وقد تهدد الدول الصناعية الدول النامية بالاستيلاء على أراضيها اذا ما حاولت القيام برفع أسعارها لأن ذلك سوف يسبب لها ضيقا اقتصاديا لا تقبله اما اذا حدث هذا الضيق الاقتصادى بالنسبة للدول النامية فهذا أمرا ليس له أهمية كبرى ولا يستحق النقاش من جانب هذه الدول الصناعية ·

ومن الوسائل غير الودية فى المجال الاقتصادى التلاعب بالنقد الدولى أو

بالعملات العالمية سواء بارتفاعها أو انخفاضها او بتزييف النقد الأجنبى أو اغراق الأسواق بالعملات أو بتجميد رؤوس الأموال الموضوعة خارج البلاد· ورفض سداد ديون الدولة المعادية أو تاميم أموالها · ومن الوسـائل غير الودية تشجيع العمال على رفع اجورهم مما يجعل أسعار السلع ترتفع فى البلاد أو تشجيعهم على الهجرة وذلك باغرائهم بالأجور المرتفعة فى دول مجاورة وارهاب الفـلاحين والمزارعين بترك قراهم والالتجـاء الى المـدن وذلك بواسطة العصابات الارهابية الى غير ذلك من الوسائل العديدة التى تتخذها الدول ضد بعضها لاظهار عدم رضاها واعطاء الدولة الأخـرى الفرصة للتراجع عن رأيها ·

٥ – استخدام القوة المسلحة :

عندما تستنفذ الدولة جميع الوسائل الودية ولم تسـتطع أن تحـقق استراتيجيتها تلجأ أخيرا الى استخدام القوات المسلحة · وتعتبر الحـرب الحل الأخير والذى تلجأ اليه الدولة فى سبيل تحقيق استراتيجيتها أو فى سبيل ضمان مصالحها الوطنية ولا تلجأ اليها الدولة الا اذا وجدت أنها أفضل الطرق وأسرعها · فمن خلال الحرب تحقق الدول استراتيجيتها فى توسعها الاقليمى أو الحصول على امتيازات اقتصادية أو تغيير الحكومة الوطنية التى تتعارض مع مصالحها وتضع حكومة جديدة تكون عميلة لها ثم تسحب قواتها من البلاد بعد تحقيق أهدافها وضمان سير استراتيجيتها · اذا فالحرب تعتبر الحل الأخير الذى لا تلجأ اليه الدول الا بعد فشل جميع الوسائل الأخرى أما عن أسباب استخدام القوة المسلحة فيرجع الى اعتقـاد أحـد الطـرفين المتنازعين بأن مصالحه الوطنية تصبح مهددة وأن لديه فرصة ثمينة متـاحة لابد من استغلالها للحصول على الأهداف الوطنية بقوة السلاح وأنه لا توجد وسيلة أخرى فى تحقيق أهدافه الوطنية ووضع استراتيجيته العظمى واذا ما وجدت احدى الدولتين المتنازعتين أنها قادرة على احراز نصر عسكرى وأنها سوف تفرض ارادتها بالقوة فانها تتجه نحو الحرب أما بالنسبة لحجم الحرب فهذه تعتمد على مقاومة الطرف الثانى فاذا ما وجد أن النتيجة لن تكون فى مصلحته فانه قد يستسلم ولا تتعدى الحرب أياما أو أسابيع أما اذا رأت القوة الأخرى أن لديها فرصة لكسب الحرب فانها تستمر فيها الى أجل غير مسمى وقد تنتهى الحرب دون أن يحقق أحد الطرفين نصرا مؤكدا ·

وعند التخطيط لاستراتيجية حربية لابد من دراسة مسارات العمل لتلك الحرب وهنا يجب دراسة القوة الوطنية المعارضة ومدى مقاومتها ومدى قدرة الدولة على مواصلة الكفاح ضد المعتدى ، ومقدرة الدولة المعتدية على الاحتفاظ بالأراضى التى تحتلها ومدى معارضة الأخلاقيات الدولية والرأى العام العالمى والقانون الدولى · وقد تواجه الدولة المعتدية ادانة واستنكارا لتدخلها المسلح فى شئون الدول الأخرى بل قد تلاقى الدولة المعتدية عقوبات وجزاءات من المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة أو محكمة العدل الدولية ، وقد تلاقى الدولة المعتدية معارضة حتى من صديقاتها · ونلاحظ انه عندما اعتدت كل من فرنسا وبريطانيا واسرائيل على جمهورية مصر عام ١٩٥٦ ادانت ذلك الاعتداء جميع دول العالم ولاقت الدول الثلاث معارضة من أصدقائها فى أوروبا وأمريكا ووقفت الأمم المتحدة ضد ذلك الاعتداء وأجبرت المعتدى على التخلى عن اعتداءاته · وقد تكرر هذا الأمر عام ١٩٦٧ · ونظرا لأن الرأى العام العالمى قد هيأ للاعتداءات الاسرائيلية وقد سبق الحرب مشاورات واتصالات عديدة بين الدول الغربية فى أوربا وأمريكا · وقامت وسائل الأعلام باظهار أن العرب هم المعتدون وأن اسرائيل فى وضع المدافع عن نفسه ومن أجل ذلك انقسم الرأى العام العالمى بعد الحرب مباشرة الى قسمين ما بين معارض ومؤيد ولكن مع مرور الأيام واقتناع الرأى العام العالمى بأن اسرائيل دولة معتدية لا ترغب الا فى التوسع والاحتلال · وقف الرأى العام العالمى ضدها فى حرب عام ١٩٧٣ واعتبر العرب يحاربون من أجل تحرير أراضيهم وقد صرح بذلك الكثير من زعماء العالم · ومما لا شك فيه أن للرأى العام العالمى أثره فى مسارات العمل العسكرى فى أى جزء من أجزاء العالم وخاصة وأن العالم أصبح صغيرا وأن أساليب الاتصال قد تطورت والغيت العوائق الطبيعية فى ايصال الخبر الى جميع أجزاء العالم · غير انه لا يفوتنا أن هذا العالم ينقسم على نفسه الى مذاهب وعقائد مختلفة ونظم سياسية متعددة وهنا يتدخل العامل السيكولوجى واتجاه الدول نحو الدولة المعتدى عليها فاذا كانت استراتيجيتها تتعارض مع استراتيجية الدولة المعتدى عليها فان الأعمال العدوانية تقتصر على كونها أعمالا بطولية اما اذا توافقت استراتيجية الدولة المعتدى عليها مع استراتيجية الدولة أو الدول الأخرى فانها تدبر العدوان وتندد بالمعتدى واذا كانت قوية ساهمت فى ايقاف الاعتداء اما بالطرق الدبلوماسية فى المنظمات الدولية أو التدخل المنفرد مع الدولة المعتدى عليها وهذا ما حدث بالنسبة للتدخل الأمريكى فى فيتنام حيث لاقى معارضة من

دول الكتلة الشرقية ولاقى بعض التأييد من دول الكتلة الغـــربية كما تدخل الاتحاد السوفيتى بامداد فيتنام الشمالية بالأسلحة والعتاد والذخيرة وحتى تستطيع مقاومة الاعتداء الأمريكى • وكذلك الحال بالنسبة للحروب العـربية الاسرائيلية حيث وجـــدت اسرائيل مؤيدين لها من بين دول أوربا الغربية ومعارضين لها من بين الدول الافريقية والآسيوية •

وأخيرا وقبل أن يشرع فى التخطيط لاستخدام القوات المسلحة لا بـد وأن يراعى موقف القانون الدولى فلقد ميز القانون الدولى بين الحرب العادلة والحرب غير العادلة فالحرب العادلة هى الحرب التى تقوم على أساس الدفاع عن النفس وعلى أساس استرجاع الحقوق المغتصبة • وقد نظم القانون الدولى وسائل استخدام القوة المسلحة وذلك بضرورة احترام الدول لحق كل منها فى الاستقلال والسيادة والامتناع عن استخدام الوسائل العدوانية والعمل على حل المنازعات بالطرق السلمية والمفاوضات ورفض الاعتراف بالأراضى التى تؤخذ بالقوة غير المشروعة ومعارضة العدوان بأى شكل من الأشكال ووضع جزاءات على الدول التى تستخدم قواتها المسلحة فى الاعتداء على غيرها من الدول غير أن الكثير من الدول تبرر عدوانها بأنها تخدم القانون الدولى وأنها بأعمالها الحربية تعمل على استقرار الأمن واستتباب السلام فى العــالم • ولقد منح القانون الدولى الدولة حق الدفاع عن سيادتها واستقلالها وحقهـا فى البقاء غير أن الدول القوية تتدخل فى شئون الدول الضعيفة مبررة ذلك بأن سلوك هذه الدول يؤثر على أمنها وسلامتها فلقد تدخلت الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ وحاصرت جزيرة كوبا ومنعتها من أن تكون قاعدة روسية تهدد أمن وسلامة الولايات المتحدة عندما أراد الاتحاد السوفيتى أن يجعلها قاعدة متقدمة له يهدد بها أمريكا • كما دار النقاش فى قاعات مجلس الأمن حـول قيام الولايات المتحدة بوضع قواعد متقدمة فى معظم الدول الأوربية وتركيا وايران والباكستان وتايلاند وجزر المحيط الهادى واحاطة العالم القديم بعدد من الأساطيل الحربية كالأسطول السادس فى البحر المتوسط والأســـطول السابع فى المحيط الهادى بينما لم تقبل أحد سواها أن يحوطها وتكمن الاجابة فى أن القوى هو الذى يفرض ارادته وأن القانون الدولى دائما يفسر لمصلحة القوة والأقوياء •

وهنا نتساءل عن الهدف الذى يسعى اليه القوى من استخدام قواته المسلحة هل القوى يريد المحافظة على مركز القيادة ولا يرغب أن يكون له منافس مثل الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية أو النزاع ما بين حلفين

عسكريين هما حلف شمال الأطلسى وحلف وارسو أو توازن القوى فى العالم العربى بين القوات العربية والقوات الاسرائيلية لأن أى احتلال فى ميـــزان القوى من أحد الجانبين يترتب عليه قيام حرب من الجانب القوى • وهل الهدف من استخدام القوة هـــو الســـيطرة مثلما فعـــل الاستعمار عندما أخـــذ يحارب الدول الضعيفة ويخضعها لسيطرته الواحدة تلو الأخرى أم هــــو السيطرة على بعض الدول حتى لا تنضم الى دولة معادية فتقوى جوانبها وتحدث اختلالا فى ميزان القوى العالمية كأن يتبع المثل القائل اذا لم تـكن صديقى فأنت عدوى • وقد يكون الهدف من استخدام القوة هو السيطرة وضم أراضى دول أو بعض أراضى دول لما لها من أهمية استراتيجية للدولة فمثلا ضمت روسيا دويلات البحر البلطى وهى استونيا ولاتفيا ولتوانيا وبروسيا الشرقية وجزءا كبيرا من الأراضى البولندية الى جسم الدولة الروسية رغبة منها فى الوصول الى البحر البلطى أو ايجاد جبهة بحرية تطل على أوربا الغربية تستطيع منها أن تتصل بجميع دول العالم كما أن تطلعها الى الوصول الى البحر المتوسط والمحيط الهندى يجعل اســـتراتيجية الاتحاد السوفيتى استراتيجية استحواذ لكل من تركيا واليونان وايران • وأخيرا قد يكون هدف بعض الدول القوية اضعاف الدول الأقل قوة وتفتيتها أو عدم السماح لبعض الدول من أن تتحد وتكون قوة كبيرة يخشى عـــداؤها وهنا تبدأ استراتيجية التخريب • لقد تكاتفت الدول العظمى على تفتيت وتفكيك كل من امبراطورية النمسا والمجر وعلى تفكيك وتفتيت الامبراطورية العثمانية وعلى عدم السماح العربية بأن تتحقق وتكون امبراطورية عربية كبيرة وتمثل هذه الاستراتيجية استراتيجية التخريب الوطنى التى تلعبها الدول الكبرى ضد الدول الصغرى لابقاء القوى قويا وازدياد الضعيف ضعفا •

فعلاقة الجغرافية العسكرية بالاستراتيجية العظمى كبيرة اذ أنها تبحث عن الخطوط العريضة والتى تحدد اتجاه القوى والأهداف والمصالح الوطنية وتحديد أماكن النزاع الفعلى أو المحتمل والتنبؤ بوقت ومكان الأحداث • وتنحصر وظيفة الجغرافية العسكرية فى تقييم توازن القوى وتقدير الأماكن التى يحتمل أن يحدث فيها صراع على المصالح فبواسطة تحديدها للمصالح والأهداف الوطنية للدول ومقارنة قدرة كل من الدول المتصـــارعة على فرض أرادتها بناء على الأهمية التى تعلقها كل دولة من الدول على مصـــالحها وأهدافها يمكن تقدير توازن القوى بين الدول ومعرفة الدرجة التى يكون فيها

التوازن خطيرا والظروف الداعية الى خوض غمار الحرب ، كما يمكنها أن تضع جدولا زمنيا للحرب بناء على ما تملكه الدول المتصارعة من عناصر القوى ومدى قدرتها على الاستمرار فيه ٠

ثالثا : الاستراتيجية العسكرية :

من الصعب أن نفصل بين الاستراتيجية العالمية والاستراتيجية العظمى والاستراتيجية العسكرية فكل واحدة منها تعتمد على الأخرى يتأثر بها ويؤثر كلية عليها كما أنه من الصعب أن نفصل الاستراتيجية العسكرية عن الشئون المدنية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية لأن الحرب الآن لم تقتصر على معارك الجيوش فى الميدان فحسب بل تعدتها لتشمل جميع مظاهر الحياة، ولقد ذهب اليوم الذى كانت فيه المعارك محدودة وكانت عبارة عن مبارزات بين الفرسان أو التحام بين الجيوش فى مكان معين يستخدم فيها القـــائد جميع أنواع المناورة والخداع والحركة والمفاجأة وجاء اليوم الذى أصبحت فيه الحرب شاملة يستخدم فيها الشعب قاطبة «كمخلوق بشرى واحد توضع كل موارده وقوته وشجاعته وذكائه موضع التجربة فى وقت الحرب » (١) وبهذا أخفقت الاستراتيجية القديمة والتى كانت تعتمد على عمليات المجابهة والحصار وحلت محلها استراتيجيات حديثة تعتمد على خفة الحركة والمناورة السريعة والقوة النارية ٠ أن كلمة الاستراتيجيةتعود فى أصلها الى الكلمـــة اليونانية Strategos والتى تعنى فن قيادة الجيوش غير أن مفهوم اللفظ قد تطور مع تطور الجنس البشرى فعرفه كلاوزفيتز بأنه « نظرية اســتخدام الاشــتباك كوسيلة الوصول الى هدف الحرب » (٢) وهذا التعريف لا يختلف كثيرا عن سابقه ٠ وعرفها ليدل هارت بأنها « فن توزيع واستخدام مختلف الوسائط العسكرية لتحقيق هدف السياسة » (٣) وعرفها الجنزال أندريه بوفر بأنها «فن استخدام القوة للوصول الى أهداف سياسية » (٤) ويعرفها المارشال فوشى

---

(١) ميكافيلى « فن الحرب » ص ٣٩٣ ٠

(٢) للجنرال ٠ و ن كلاوز فيتز « فى الحرب » الجزء الاول ترجمة ديرى والمقدم الهيثم الايوبى دار الطليعة ببروت ١٩٦٩ صفحة ١٨١ ٠

(٣) ليدل هارت الاستراتيجية وتاريخها فى العالم ترجمة المقدم الهيثم الايوبى دار الطلبة بيروت ١٩٦٧ ص ٢٩٨ ٠

(٤) الجنرال اندريه بوفر « مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ترجمة أكرم ديرى والمقدم الهيثم الايوبى دار الطليعة بيروت ١٩٦٨ صفحة ١٢٩ ٠

بأنها « فن استخدام القضية بأقصى فاعلية ممكنه » (١) ·

ويختلف تعريف الاستراتيجية ليس فقط من زمان الى آخر بل وأيضا من مكان الى آخر فى الزمن الواحد كما يختلف أيضا حسب قوة القائد الذى يعرف الاستراتيجية فى دليل ضباط أركان القوات المسلحة الامريكية بأنهـــا « فن وعلم واستخدام القوات المسلحة للدول بغرض تحقيق أهداف السياسة القورية عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها (٢) · بينما يعرفها الأستاذان لويس بلتير Louise Peltier وايتزل بيرسى G. Etzel Pearcy

بأنها « الاستخدام العلمى لطاقة القوى المتاحة للقائد فى تحقيق أهـــداف عسكرية أو أهداف سياسية بالطرق العسكرية (٣) ويعرفها آخرون بأنها «علم وفن استخدام وتطوير القوى السياسية والمعنوية والاقتصادية والعسكرية فى السلم وفى الحرب لتعزيز سياسة الدولة ولتحقيق أهدافها باحـــراز النصر وتجنب الانهيار · وهنا يجب التمييز بين الاستراتيجية العظمى والاستراتيجية العسكرية حيث ؤن الأولى تتنـــاول صراع المصالح أما الثانية فتتنـــاول الطريقة المثلى لحل النزاع ووضع حد للصراع · فالفرق بين الاستراتيجيتين أن الأولى تمثلها الدولة بينما تمثل الاستراتيجية العسكرية أحد هيئات الحكومة التنفيذية · فالهدف من الاستراتيجية العسكرية الوصول الى الأهداف التى حددتها الاستراتيجية العظمى للدولة سواء كانت تلك الأهداف هجومية كاحتلال الأراضى او دفاعية كحماية الأراضى من الاحتـــلال · وحيث أن الصراع بين ارادتين قد تكونان قويتين فان أى اجراء من جانب واحد يقابله اجراء مضاد من الجـــانب الآخر ويعتبر دور الاستراتيجية صعبا وهنا تظهر المهارة الفنية فى اختيار أفضل السبل للاقناع واخضـــاع الخصم للارادة حيث يقول كلاوزفيتز اننى لست سيد نفسى ما دام « العدو » بامكانه أن يملى على ارادته كمـــا أملى عليه ارادتى) · ولهذا يجب اتباع خمس عناصر هامة هى :

١ ـ العناصر السيكولوجية وتشمل الروح المعنوية ·

---

(١) المرجع السابع ص ١٢٥ ·

(٢) دليل اركان القوات المسلحة الامريكية لعام ١٩٥٩ ص ١٧٥ ·

3. Louis C. Peltier and G. Etzel Pearcy Military Geoqraphy Printon. 1966.

٢ ـ القوة العسكرية وتشمل حجم هذه القوة وتشكيلها وتنظيمها ٠

٣ ـ هندسة المواقع وتشمل المواقع النسبية وحركة القوى وعلاقاتها الهندسية بالعوائق والمسارات والأهداف وغيرها ٠

٤ ـ التضاريس وتشمل الجبال والأنهار والغابات والطرق التى تؤثر على الأنشطة ٠

٥ ـ الامدادات وتشمل وسائلها ومصادرها :

ويركز كلاوزفيتز على عنصر المفاجأة والتجمع والتأييد الشعبى واستخدام القوى المعنوية العالية كما يركز أيضا على حسن اختيار المواقع بالنسبة للارض وتدعيم الحصون وخطوط الامدادات ٠ فالهدف هو اخضاع ارادة العدو والوصول الى وضع العدو فى موقف لا أمل له بعده فى متابعة الصراع وذلك بأن ننزع سلاحه نزعا شاملا أو أن نضعه تحت شروط يحس فيها بأنه مهدد (١) أما ليدل هارت فيرى أن الهدف من الاستراتيجية هو اعداد الظروف الملائمة للقيام بمعركة ما لتكون الخسائر اقل والنتائج أفضل (٢) ٠ ويعلق الجنرال بوفر على أهداف الاستراتيجية بقوله « أن هدف الاستراتيجية الوصول الى وضع يؤدى الى تفتيت معنويات الخصم بشكل كاف يجبره على قبول الشروط المفروضة عليه (٣) ٠ أما بالنسبة لاختيار الوسيلة التى يجب أن تطبق بها الاستراتيجية فتتمثل فى اختيار استراتيجية معينة تطبق فى مكان معين ، لأن الظروف الطبيعية والبشرية تختلف من مكان الى آخر كما أن النسبة بين القوتين المتصارعتين متغيرة ويجب عند اختيار الوسيلة أن ينظر القائد الى نقاط القوة ونقاط الضعف فى كلتا القوتين المتحاربتين وأن يوجه ضربته الرئيسية الى احدى نقاط الضعف عند العدو وقد تكون نقاط الضعف متواجدة فى الجانب المعنوى من القيادة السياسية أو القيادة العسكرية أو تكون فى قدرات القوات المسلحة ممثلة فى تدريبها على استخدام أحدث

---

(١) بلتير وبيرسى « الجغرافية العسكرية » الفصل الرابع ٠ وكلاوزفيتز الجزء الاول الكتاب الاول الفصل الاول ٠

(٢) ليدل هارت « الاستراتيجية وتاريخها فى العالم » ترجمة الهيثم الايوبى دار الطليعة، بيروت ١٩٦٩ صفحة ٤٠٢ ٠

(٣) الجنرال بوفر مدخل الاستراتيجية العسكرية ص ٣٠ ـ ٣١ ٠

المعدات الحربية أو قد تكون فى السكان ممثلة فى عدم تجانسهم وعـــدم انسجامهم ، وهكذا وحتى عند وضع المخططات وتحديد الوسائل فان العدو سوف يقوم بردود فعل قد تجبر القوى المحاربة على تغيير خططها . فالهدف الرئيسى للخطة هو اضطراب تشكيل العدو وتشتيت قواته وتهديد خطوط تموينه وتراجعه ولكى يتم تحقيق ذلك لابد من دراسة تنظيم الجيش المعادى ومعـرفة أساليب تموينه ونوعية قادته ومستوى معنوياته وطبيعة أرضه وكيفيـــة التأثير على قادته فقد يكون للالتفاف حول العدو وضرب مؤخرته تأثرا قويا يجبر العدو على الالتفاف لصدها وتوزيع جهده ما بين المقدمة والمؤخـرة وتكون لهذه الحركة آثار قوية على نفوس القادة والجنود لأنهم يشعرون بأن العدو يحيط بهم من الأمام والخلف وهذا ما قد يجبر العدو على بعثرة قواته فيرهقه تموينها وامدادها ويسهل القضاء عليها متفرقة . من أجل ذلك تقوم الدول بتدريب فرق العصابات وترسلها الى مؤخرة خطوط العدو الهجومية لتقوم بتسديد ضربات سريعة ومتعددة تهدد أمن العدو وتنهك قواه وتحطم معنوياته وتجبر جزءا من جيشه على التبعثر وحتى لو كان المقصود من التبعثر هو البحث عن العصابات والقضاء عليها .

لقد أوضح الجنرال بوفر عددا من الوسائل الاستراتيجية فى كتـــابة الاستراتيجية العسكرية تلخص فيما يلى بعضا منها : -

الوســائل :

١ - اذا كانت الوسائل قوية وكان سبب النزاع صغيرا فان مجرد التلويح بهذه الوسائل كاف لاجبار الخصم على قبول الشروط المفروضة عليـه أو التخلى عن محاولاته وتطلعاته على نطاق واسع .

٢ - اذا كان سبب النزاع صغيرا والامكانيات محدودة لا تكفى لتحقيق تهديد حاسم فان البحث عن النتيجة الحـــــاسمة يتم بعملية خداع ومخاتلة سياسية ودبلوماسية واقتصادية .

٣ - اذا كان حقل حرية العمل العنيف محدودا والوسائل محدودة أيضـا ولكن الهدف كبير ، يتم الوصول الى النتيجة الحاسمة بسلسلة من الأعمال المتعاقبة بقوات محدودة وعمليات محلية مع تأمين توافق الضغط

المباشر والضغط غير المباشر اذا لزم الأمر ٠

٤ ـ اذا كان حقل حرية العمل العنيف كبيرا ولكن الوسائل المتوفرة ضعيفة لا تكفى للحصول على نتيجة عسـكرية حاسمة ٠ أمكن اللجوء الى استراتيجية صراع طويل الأمد يرمى الى اتعاب العدو وانهاكه معنويا وقد تكون الوسائل المستخدمة بدائية ولكن أساليب استخدامها ٠٠٠ تجبر العدو على بذل جهد أكبر بكثير من أن يستطيع تحمله الى ما لا نهاية ويستخدم هذا النوع من الصراع ٠٠ فى حروب التحرير ويؤدى غالبا الى نتائج ناجحة ٠

٥ ـ اذا كانت الوسائل العسكرية المتوفرة قوية بشكل كاف ثم البحث عن النتيجة الحاسمة بالعمل العسكرى على شكل صراع عنيف قصير الأمد ان أمكن ٠ وقد يكفى تدمير القوى المعادية على أرض المعركة اذا كان سبب الصراع غير حيوى بالنسبة للخصم والا فان احتلال كل أو بعض أراضيه كاف لتجسيد الهزيمة ماديا أمام أعين الشعب حتى يقبل الشروط المفروضة عليه ٠٠ ولقد أثبتت الحربان العالميتان انه لا يتم الوصول الى النتيجة الحاسمة دائما ٠٠ الا اذا كانت الامكانيات العسكرية الواقعية تسمح بتحقيق نصر عسكرى كامل وسريع (١) ٠

من خلال العرض السابق نلاحظ تعدد الاستراتيجيات وتنوعها وأنه من الصعب اختيار استراتيجية واحدة حيث تتداخل العوامل العسكرية مـع العوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية والمالية والحضـارية والتقنية ٠ وسنلخص هذه العوامل فيما يأتى :

اولا : الجغرافية الاستراتيجية :

تعرف الجغرافية الاستراتيجية بأنها جغرافية الخطط العسكرية كالتدريب وهندسة العمليات وبيئة مناطق العمليات ومصادر الدعم فهى بهذا تدرس اثر العوامل البيئية على الأنشطة العسكرية والتنبؤ بما سيحدث فى ظل ظروف معينة وتبحث الجغرافية الاستراتيجية المهمة العسكرية المطلوب القيام بهـا

---

(١) الجنرال بوفر مدخل الى الاستراتيجية العسكرية ص ٣٥ ـ ٤٠ ٠

ومكان قيامها ثم تحلل الخطوات التى يجب أن تتخذ مع ظروف البيئة المختلفة وبمقارنة الخطة مع مسارات العمل تقدم الجغرافية الاستراتيجية توصياتها • فالجغرافية الاستراتيجية تقوم بتقدير العمليات وتبين ما قد يساعد أو يعوق تلك العمليات آخذة بعين الاعتبار ما يمكن أن يقوم به العدو • فبحصر الوسائل المختلفة التى يمكن أن تتم بها المهمة ويتصور ردود الفعل يمكن اختيار أفضل الوسائل لانجاح العمليات العسكرية وابطال ردود الفعل التى قد يالم بها العدو فمثلا لو تدخلت الجغرافية الاستراتيجية فى تحليل عملية عبور القوات المسلحة المصرية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية لما تركت منطقة الدفرسوار بدون حماية يتسلسل منها العدو ويلتف حول القوات التى عبرت القناة •

ولابد عند التخطيط من النظر الى الهدف أولا ثم وضع الخطة بشكل تنازلى أو تصاعدى حسب الحاجة مع عمل جداول زمنية لتحقيقها معتمدة لا على التطورات والخيالات غير الواقعية وانما على التقدير الدقيق للاعداد اللازمة من القوى البشرية والقوى النارية ومعدلات الحركة وامكانية الطرق المؤدية الى الهدف ودور ووسائل النقل وكمية الامدادات اللازمة والتامين ضد ما هو غير مرئى أثناء الحركة وتوقع أحداث عديدة فى كل خطوة يخطوها الجيش •

ولقد لخص الأستاذان بلتير وبيرس مبادىء الجغرافية الاستراتيجية فى ستة نقاط نوجزها فيما يأتى : -

١ - **امكانية الوصول :** وتشمل الحاجة لوسائل خاصة تقيم حرية اختيار الطرق والمسافات وساعة الصفر والعوائق والقواعد والمسالك وتختلف امكانية الوصول حسب الوسيلة المستخدمة كاستخدام السيارات أو الطائرات أو السفن • فالطائرات تتمتع بسرعة كبيرة ولكنها تحتاج الى مطار للهبوط وتختلف امكانية الهبوط اختلافا كبيرا عن امكانية الوصول فقد يؤخر امكانية الوصول ظروف الطقس عند نقطة الوصول أو الهبوط • أما بالنسبة لاستخدام السيارات أو العربات المصفحة فانه لابد وأن تسير على سطح أملس خال من العقبات اذ أن الغابات والمستنقعات والجبال الوعرة والصحارى • وكل هذه العوامل تعوق حركتها وتؤثر على امكانية الوصول الى الهدف فاذا كانت وسيلة الوصول هى السفينة فيجب أن يراعى ظروف البحر ونوع السفينة وقدرتها على مواجهة التغيرات المختلفة للبحر ويجب عند دراسة امكانية

الوصول أن يوضع فى الحسبان جميع المعوقات التى قد تؤخر أو تؤجل سير العمليات والتى قد تعطى العدو فرصة الاستعداد ٠

٢ ـ **مرونة التحرك** : وهى القدرة والمرونة فى التحرك وهى أيضا اجمالى قدرة التحرك ومن بينها سرعة التقدم وحرية اختيار نظم النقل وتدفق المرور وتشمل مرونة التحرك أيضا وجود طرق ممهدة ومشاكل عنق الزجاجة اذا كانت الطرق تلتقى فى مكان معين ٠ ولا تعتمد مرونة الحركة على اتجاه الحركة فحسب بل على ما هو مطلوب تحريكه وتنظيمه فالأسلحة الثقيلة مثلا اقل حركية من الأسلحة الخفيفة والمعدات ذات المحركات الذاتية أكثر حركية من المعدات التى لابد من جرها والقوات المنظمة أكثر حركية من المدنيين غير المنظمين وفى الحقيقة فان مرونة التحرك تعنى أكثر من أجهزة النقل التقليدية بل هى تشمل التنظيم للحركة وتأخذ فى الاعتبار كفاءة كافة الأجهزة حيث تشمل سرعة رد الفعل وحرية اختيار ما هو أهم وأكثر من ذلك كله ارتباطها باطار فكرى مرن ٠

٣ ـ **الرؤية** : وتشمل مدى الرؤية الأفقية والرأسية أو الاحساس بما يدور حولنا وكذلك أثر القيود التى تفرضها التضاريس والمناخ والمنشآت التى هى من صنع الانسان وتشمل أيضا تشييد الأسقف والاخفاء والتمويه وتحديد الهدف والميدان الفعال للنيران ٠٠ وتختلف الرؤية وفقا لاتجاه المشاهد ووفقا للظروف التى يحيط به ٠ فالمسافة التى يمكن أن يشاهدها المراقب فى المجال الجوى تعتمد على ما اذا كان ينظر نحو عنبر طائرات قريبا منه أو عبر المجال الجوى ٠ كما يعتمد مدى الرؤية على ما اذا كان المراقب موجودا على ظهر الباخرة أم فى كابينة الطاقم فالشخص الذى يرقد فى ميدان تكسوه أعشاب طويلة تكون رؤيته الأفقية محدودة وعلى النقيض التام من ذلك رؤيته الرأسية غير محددة عندما ينظر الى أعلى ٠ وقد تفرض العواصف وأدخنة المعارك أو ظلام الليل حدودا مؤقتة على الرؤية وتستخدم الجغرافية الاستراتيجية فى تحليل الرؤية وفى وضع معايير لقياسها وفى التنبؤ بظروف الرؤية لأغراض تخطيطية ٠

٤ ـ **امكانية الاتصال** : وتعنى القدرة على نقل المعلومات والآثار التى قد تحدث نتيجة الطقس والعواصف المغناطيسية وأثر التضاريس والتطورات الثقافية فى سهولة انشاء وتشغيل وصيانة أجهزة الاتصال ٠ وتتضمن

الجغرافية الاستراتيجية أيضا دراسة الظروف التى تؤثر على أجهزة الاتصال. فمثلا فى المناطق التى تقل فيها كثافة السكان نجد أن وسائل الاتصال أقل كفاءة من المناطق الحضارية المزدحمة بالسكان اذ أنه من السهل مد الأسلاك وتركيب أجهزة الارسال فى الأماكن التى توجد بها طرق عن الجهات التى لا يوجد بها طرق للمواصلات وتختلف العواصف الثلجية والأعاصير من مكان الى آخر وبالتالى فانه قد تحدث تباينات اقليمية فى امكانية الاعتماد على أجهزة الاتصال ففى بعض الأماكن يمكن أن تحدث الجبال أو الغابات عوائق لعمليات الارسال وهذا ما يقيد كفاءة القيادة .

٥ ـ **الوفرة** : أن الجغرافية الاستراتيجية للوفرة لا تنظر الى وجود الرجال والمعدات والامدادات فحسب بل تنظر أيضا الى وجودها فى الأماكن المطلوبة وفى الوقت المناسب كما تراقب أيضا وجود الأشياء النادرة جدا أو الأشياء التى يمكن الحصول عليها ولكن فى أوقات متأخرة جدا كما تراعى أيضا توزيع السلع غير الموزعة توزيعا عادلا . فكلمة الوفرة لا تعبر فقط عن الوجود بل تعبر عن الكم وعن الموقع الجغرافى فالوفرة اذا تعكس درجة التنظيم العسكرى .

٦ ـ **امكانية التعرض للخطر** : يختلف هذا العنصر عن العناصر الأخرى من الجغرافية الاستراتيجية فى أنه لا يعبر عما يمكن أن يقوم به الانسان ولكن عما يمكن أن يتعرض له الانسان فهو يعبر عن نتيجة ما سوف تقوم به قوات العدو من حيث الوصول والحركة وهو يشمل حاجات الشعب وامكانيات الانتاج والتركيبات العسكرية وخطوط النقل من حيث الحماية . كما يشمل احتياجات الاسكان والاعاشة والمرافق العامة والكماليات وغير ذلك من الأمور اللازمة للمحافظة على الروح المعنوية للسكان وولائهم ويشمل الحاجة الى الحماية العسكرية ضد الهجوم المباشر وخاصة الحماية ضد الدعاية والتخريب والتدمير وكوارث الطبيعة .

ويتضح من خلال العرض السابق للجغرافية الاستراتيجية أن للجغرافيا آثارا قوية على سير شئون الحروب فعلى الأرض تتم العمليات العسكرية وان فقدان جزء من الأرض دليل على كسب المعركة وهو دليل أمام الرأى العام المحلى بأن الجيش المهزوم قد ترك أرضه لعدوه وهذا ما يؤثر على معنويات الشعوب فالأرض هى التى تمد الجيوش بكل ما تحتاجه من

موارد مائية وزراعية ومعدنية ومنها تستخرج مصادر الطاقة وعليها تقوم الصناعات وتمد الطرق وتقوم مسارح العمليات · والأرض هى التى تسهل أو تعرقل امكانية الوصول وسرعة الحركة أو بطئها وتتحكم فى مدى الرؤية وامكانية الاتصال بالاضافة الى آثارها فى الوفرة وامكانية التعرض للخطر وهى التى تعوق التقدم وهى التى تحجب الأنظار وهى التى تعطى الحماية وهى التى تسلبها · فطبيعة سطح الأرض وكثافة الغطاء النباتى ووجود المواقع الطبيعية فيها تؤثر على سير العمليات الحربية وعلى الاستراتيجية العسكرية والعمليات العسكرية اذا لابد أن تراعى مساحة الدولة ووجود محاور للمرور وقواعد للتموين وموانىء طبيعية يمكن بواسطتها نقل المؤن والعتاد للقوات المتحاربة · فلمساحة الدولة دور كبير فى استراتيجيتها اذ أن سعة الأرض تساعد على امكانية اجراء المناورات والانسحاب والالتفاف وتعطى الدولة مجالا حيويا يضمن لها أمنها واستقرارها ولقد قال هتلر بأنه كلما اتسع مجال المنطقة التى تتوافر للشعب ازدادت الوقاية الطبيعية له · ولقد كان من الممكن دائما فى سرعة ويسر تحقيق الانتصار العسكرى على الدول التى يزدحم سكانها فى مناطق صغيرة على خلاف الحال بالنسبة للدول كبيرة المساحة والتى تعطيها سعة الأرض وقاية ضد هجمات العدو فكلما توغل جيش العدو فى الأراضى واجه أخطارا عديدة ·

وتختلف الحروب حسب طبيعة الأرض فاذا كانت الأراضى سهلة فانها تستخدم للعمليات الكبيرة والتى تتبع فيها استراتيجية هجومية صاعقة أو ما تسمى باستراتيجية الافتاء حيث يمكن استخدام المعدات الثقيلة والخفيفة أمافى المناطق الجبلية الوعرة والغابات فيصعب استخدام الأسلحة الثقيلة ولذلك تستخدم الجيوش استراتيجية انهاك طويلة الأمد ونلاحظ أن الحروب بين العرب واسرائيل تعتبر من النوع الأول بينما تعتبر الحروب بين أمريكا وفيتنام الشمالية فى فيتنام الجنوبية من النوع الثانى · وتساعد الصحارى الشاسعة والبحيرات والمستنقعات على عملية الالتفاف والتطويق بينما تجبر الوديان والممرات الجبلية الجيوش على المرور بعنق الزجاجة كممرى متلا والجدى بسيناء وفى الوقت الذى تساعد السهول المهاجم على الحركة السريعة فان الجبال تعوقه وتساعد المدافع على تثبيت خطوط دفاعه المتتالية وعلى عمليات الاخفاء والتمويه مما يضع الجيش المهاجم فى كمائن لا يتوقعها ·

هــــذا من الناحية الطبيعية أما من الناحية البشرية فان الجغرافية الاستراتيجية للقوى البشرية لها دور فعال لا يمكن اغفاله · فالشـــعوب هى تصنع التاريخ وان حجم الشعب يعتبر من أهم عوامل القـــوى أو الضعف فالشعوب هى التى تثير الحروب وهى التى تنتصر فها والدولة المزدحمـة بالسكان لديها من القوى البشرية ما يحقـــق لها النصر لو استفادت من الاستراتيجية البشرية · وقد أشار كلاوزفيتز لما للقوى البشرية من أهمية كبرى بقوله أن القوة البشرية هى الخبز اليومى للاستراتيجية العسكرية » ولكن يجب أن نلاحظ أن العدد وحده لا يكفى « فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » فعلى سبيل المثال هناك الكثير من الفتوح الاسلامية والتى قامت بها أعداد قليلة من المسلمين وانتصرت على أعـــداد كبيرة من المشركين ·

وقد انهزم الشعب الصينى أمام الغزو اليابانى وانهزم الشعب الهنـدى أمام أعداد ضئيلة من الانجليز استطاعت أن تستعمرهم ولو جمعنا ما تستطيع أن تجهزه قوات العدو الاسرائيلى لوجدناها لا تزيد على ٣٠٠ر٠٠٠ جنـدى بينما تصل القوات المصرية وحدها حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ جندى يضاف اليهـم ١٣٢ر٠٠٠ جندى سورى ٧٣ر٠٠٠ جندى أردنى وبهذا تصبح قوات دول المواجهة حوالى ٥٠٥ر٠٠٠ جندى عربى يمكن أن يضاف اليهم ٧٦ر٠٠٠ جندى مغربى و ٦٠ر٠٠٠ جنـــدى جزائرى و ٣٧ر٠٠٠ جندى ســـودانى و ٧٠ر٠٠٠ جندى سعودى و ١٠١ر٠٠٠ جندى عراقى وبهذا يصبح عـــدد قوات الدول العربية الرئيسية حوالى ٨٤٩ر٠٠٠ أو ما يقرب من ٨٥٠ر٠٠٠ جندى عربى · ومن المحتمل أن ترجع هزيمة هذه الجيوش الصينية والهندية والعربية الى عدم تنظيمها وتلاحمها مع بعضها والى عدم استعدادها المـادى والمعنوى · فلم تعد الحروب فى العصر الحاضر حروب جيوش بقدر ما هى حروب أمم فلابد من خلق الأمة المسلحة والتى يساهم فيها جميع أفرادها رجالا ونساء كل فيما يخصه ويتقنه فلابد من « تحقيق وحدة الشعوب وتعبئة كـل طاقاتها واقامة جبهة وطنية متحدة تضم كل القوى العاملة ضد العدو (١) » فلا نصر الا اذا هب الشعب بجميع طبقاته وفئاته بغض النظر عن معتقداته أو عناصره · وان اشتراك كل فرد من أفراد الشعب فى المعركة يجعل كـل قرية وكل مزرعة وكل مصنع وكل حى قلعة قادرة على الثبات أمام العـدو

(١) اكرم ديرى المقدم والهيثم الايوبى « نحو استراتيجية عربية جديدة ص ٢٥ » ·

وتكبده خسائر جسيمة وهكذا تصبح البلاد محبطا مسلحا يبتلع أى جيش يغزوه • وهذا هو المبدأ الاسلامى والذى جعل الجهاد فريضة على كل رجل قادر على حمل السلاح وبهذه الروح العالية الراضية بأداء الواجب خرج الرجال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع غزواته • وقال الله تعالى فيهم « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » • وصدق القائل « اطلبوا الموت توهب لكم الحياة » غير أنه يجب ان يلاحظ أن القوة البشرية للامة لابد وأن يتم استنفارها وتعبئتها بشكل صحيح لأن الله سبحانه وتعالى علم الانسان ما لم يعلم وهداه الى اختراع أسلحة متقدمة ومتطورة ربما تفتك بالمئات من الناس فلم تعد الحرب منازلة بين بطل وبطل وانما بين سلاح وسلاح ومن اجل ذلك أصبحت الحروب تهتم بنوع الجندى أكثر من عدده ويا حبذا لو اجتمع النوع والكم وتسلحت الأمم بأحدث أنواع الأسلحة •

وحيث أن العالم الاستعمارى الغربى اخذ يقسم الأمم ويوزعها الى مجموعة شعوب صغيرة تختلف فى عددها بين الكبير والصغير لذلك ظهرت فكرة الجيوش المحترفة الصغيرة العدد التى تتمتع بالتدريب العالى والانضباط الكامل وتستخدم أقوى وأحدث الأسلحة والمعدات بكفاءة عالية وروح معنوية مرتفعة • وقد أدى صغر حجم الدول وقلة عدد سكانها الى دخول هذا العامل فى الحروب • وليس ذلك بجديد فان الفئة القليلة اذا تمتعت بروح معنوية عالية أمكنها التغلب والانتصار لأن النصر يعتمد اعتمادا كبيرا على الروح المعنوية لأولئك الذين فقدوا أرواحهم فى ساحة النضال • فمهما كانت الجيوش مسلحة بأحدث الأسلحة فان النصر مرهون بمدى ارتفاع روحها المعنوية وليس العدد هو الذى يحدد نتيجة القتال وانما الذى يحدد النصر قوة العزيمة والتقدم دون خوف أو تردد • فالذى يكسب المعركة هو ذلك الجيش الذى يهدد بالطعنات أو يوجهها أكثر من عدوه • والهزيمة تصبح من نصيب الجانب الذى تنهار معنوياته أولا • وتتلخص عوامل النصر فى وحدة الشعب وحماسه وتعوده على القتال من خلال التدريب المتواصل وصلابته وحميته وطاعته لقادته وشعوره الوطنى نحو بلده وتجسد الحقد والألم على عدوه ورغبته فى الثأر وذكاء قادته وقدرتهم على التصرف السليم فى اللحظات الحاسمة واتخاذ القرارات السليمةفى المواقف العصيبة •

ولما اصبح من الصعب تدريب الشعوب والأمم على حمل السلاح والاستعداد للحرب ظهرت فكرة جديدة وسط بين أولئك الذين يطالبون باشراك الشعب فى الحروب وأولئك الذين ينادون بانشاء وصيانة جيوش

محترفة متدربة . وتقوم هذه الفكرة على انشاء وصيانة جيش قوى يكون مستعدا لخوض المعركة فى اية لحظة من اللحظات وتدريب السكان لمدة محدودة تصل فى بعض الدول الى سنتين يقال لها انها سنو الخدمه العسكرية ثم يعود الأفراد الى حياتهم المدنية وان يكونوا مستعدون تمام الاستعداد للطلب اذا ما دعا الامر الى ذلك .

وقد لوحظ من خلال تجارب الشعوب ان شباب العصر الحاضر اخذ يتسم بصفات الميوعة واللين وخاصة وان المدنية الحديثة أخذت توفر للفرد جميع أسباب الراحة ، أما الشعوب التى لم تتبع نظام التجنيد الاجبارى فانه يصبح من الصعب استدعاء شبابها الى أداء الواجب المقدس وقت الغزو وهذا ما جعل أعداء الاسلام يدخلون أرض الاسلام ويهددون مقدساتها ، فكلما دخلوا قرية أو مدينة استسلم أهلها ولم يجدو مقاومة فى كل مكان دخلوه . وقد انخفضت روح المقاومة لدى العالم الاسلامى ورحم الله أيام الخلفاء الراشدين عندما كان المسلمون يخرجون للقاء الكفار فى عقر دارهم ويطلبون منهم الاسلام أو الجزية ويعلمونهم الاسلام حتى يفهموه . ان الآية قد انقلبت وأصبح أعداء الاسلام يهددون الاسلام فى مقدساته وفى أرضه وأخذ المسلمون يطلبون الحياة فيوهب لهم الموت وما ذلك الا لأنهم لم يؤدوا واجبهم ولم يعدوا لأعدائهم ما استطاعو من قوة بل وحتى لم يهيئوا أنفسهم للمقاومة فهتكت أعراض المسلمين وشردوا من ديارهم ، وقد انتقل النظام الاسلامى لأداء الواجب الحربى من المسلمين الى أعدائهم فحاربوهم بذلك السلاح الذى حارب به أجداد المسلمين ولكى يعود المسلمون الى مجدهم يعود الاسلام قويا لابد من اعداد المسلمين لهذه المهمة بما استطاعوا ، وهم يملكون ولله الحمد كل مقومات القوة ولديهم من الامكانيات البشرية والمادية والمعنوية ما يجعلهم ينتصرون على أعدائهم ، وهنا نتسائل ما هى الأسباب التى دعت الى تفكك المسلمين ؟ لماذا لا يتحدون مرة ثانية ؟ وأين شباب المسلمين ؟ ان النصر لا يأتى الا بالجد والاجتهاد والعمل . بالعزيمة الصادقة والروح المعنوية العالية والتدريب المتواصل . فأعداء الاسلام يعملون ليلا ونهارا فى الاستعداد لهزيمة المسلمين والمسلمون فى غفلة عنهم . أن التجنيد الاجبارى هو أول الواجبات . فالتجنيد يعلم الشباب النظام فى كل شىء فى الحياة العملية وفى التفكير وفى تدبير الأمور ويعلم الشباب حب الطاعة واحترام الكبير للصغير . ويعلمه تحمل المكاره وتحمل الصعاب . هذه هى الصفات التى تحلى بها أجداد المسلمين ، فلماذا لا نعود اليها « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » صدق الله العظيم .

رابعا : الاستراتيجية الاقتصادية

لا شك أن الجغرافيا توجه الاقتصاد وأن الاقتصاد يوجه السياسة ٠٠ والسياسة ما هى الا تعبير عن الرغبات الاقتصادية كالانتاج والنقل والاستهلاك ، أما من الناحية العسكرية فان التسليح والتنظيم والاستراتيجية والتكتيك كلها تتوقف على ما تنتجه المصانع من أجهزة ومعدات يستخدمها الجندى فى ميدان المعركة ، ولا يقتصر الأمر على ذلك وانما يشمل الناحية المالية التى تقوم بتمويل جميع العمليات الحربية ٠ وتتوقف طبيعة العمليات الواقع فى القتال وأن يكون منسجما مع المبدأ الاستراتيجى للقائد ومبدأ الحربية ونجاحها على مدى التقدم الذى احرزه الانتاج الحربى ٠ ولقد لخص الجنرال جياب دور الاقتصاد والتنظيم فى الحرب بأوله « ان الجيش ينظم من أجل هزيمة العدو » ٠ ولهذا فتكوين الجيش يجب أن يلبى مطالب الواقع فى القتال وأن يكون منسجما مع المبدأ الاستراتيجى للقائد ومبدأ القتال فى كل مرحلة من مراحل الحرب ويجب أن يكون التنظيم متوازيا مع امكانياتنا فى التجهيز والامداد ومعتمدا على الاقتصاد الوطنى ومنسجما مع الظروف العملية للمعركة (١) ٠

أما بالنسبة للانتاج الزراعى فان الدولة تعمل كل ما فى وسعها لتوفير الغذاء اللازم لسكانها ليس وقت الحرب فحسب وانما فى أوقات السلم ايضا فاذا كانت الدولة غنية فى امكانياتها الزراعية تصبح لديها فائض فى الانتاج يأخذ طريقة نحو الاسواق العالمية ٠ ويعتمد اقتصاد الدولة الى حد كبير على مردود صادراتها الزراعية فانها ولا شك سوف تواجه مشاكل فى الغذاء اللازم لسكانها ليس وقت الحرب فحسب وانما فى أوقات السلم أيضا أوقات الحروب لأن باب التصدير والاستيراد ربما يقفل بواسطة غواصات وسفن العدو التى تعمل جهدها للاضرار بالاقتصاد الوطنى للدولة ٠ هذا اذا كان الصادرات تنقل عن طريق البحار والمحيطات أما اذا كانت الصادرات تنقل عن طريق البرفان تأثرها بالحرب أقل وطأة اذا لم تمتد الحرب على الطرق الرئيسية والفرعية للتجارة ٠ فمثلا نتيجة للحرب العربية الاسرائيلية تكدست المواد الزراعية وخاصة الموالح فى الضفة الغربية بينما كانت هناك أعداد من الدول العربية فى حاجة اليها ٠ ونتيجة لاستيلاء العدو على الأراضى

---

(١) الجنرال جياب (حرب المقاومة الشعبية) ص ١٢٤ ٠

الزراعية فان الأسواق التى كانت تعتمد على ذلك الجزء فتتحول الى دول أخرى وبالتالى فان اقتصاد الدولة المحتلة قد يتعثر الى ان يجد أسواقا جديدة يصرف فيها موارده الزراعية · أما اذا كانت الدولة أو الدول المتحاربة يأخذ طريقه نحو الاسواق العالمية · ويعتمد اقتصاد الدولة الى حد كبير على مردود صادراتها الزراعية فانها ولا شك سوف تواجه مشاكل فى فان العدو يستغل هذا الضعف ويضيق الخناق على الدولة المعتمدة على الاستيراد بأن يمنع وصول السلع اليها حتى يضعها وشعبها فى ضائقة اقتصادية قد تجبرهم على الاستسلام ومن قبل ذلك حاولت الغواصات الألمانية منع البواخر التجارية من الاقتراب من السواحل الانجليزية خلال الحربين العالميتين معتمدة على أن الشعب البريطانى ليس لديه ما يكفيه من غذاء الا لفترة محدودة من السنة وأن الحصار سوف يؤدى الى نتائج ايجابية فى الحرب · من أجل ذلك تعمل الدول المستوردة للسلع الزراعية جهدها على ان يكون لديها اكتفاء ذاتى فى السلع الزراعية أو على الأقل تنتج ما يقرب من الاكتفاء الذاتى ليس فى جميع السلع الزراعية وانما فى السلع الضرورية على الأقل · ولقد أخذ الكثير من الدول فى انشاء صوامع للغلال الهدف منها تخزين السلع الغذائية الضرورية لأوقات الشدة ، فهناك دول تخزن استهلاكها لثلاثة أشهر وهناك دول أخرى تخزن استهلاكها لسنة وأخرى يصل مخزونها الى أكثر من سنة ·

أما بالنسبة للصناعة فانها تعتبر من أهم عناصر القوة غالبا ما تقاس الأمم حسب تطورها وتقدمها الصناعى والتقنى ولقد اثبتت حرب رمضان لعام ١٩٧٣ بأن التقدم العلمى للصواريخ المضادة للطائرات قد حمت القوات المسلحة من التعرض للاخطار الحتمية وخاصة قنابل النابالم · كما اثبتت حروب الدبابات والمدرعات بأن التقدم فى المعركة أصبح محدودا الا اذا استطاع أحد الجيشين الحصول على مدفعيات مداها أكبر من مدى المدفعية التى يمتلكها عدوه وفى هذه الحالة يمكن لنيران أحد الجيشين أن تصل الى الجيش الآخر بينما يتعذر على الجيش الثانى ايصال نيرانه الى أعدائه · لقد تدخل التصنيع فى جميع وسائل الحرب — ففى الحرب العالمية الأولى كان نصيب كل جندى فى ميدان القتال محركا قوته ثلث حصان · وتزايد هذا الرقم فى الحرب العالمية الثانية حتى غدا نصيب الجندى محركا قوته عشرون حصانا · كما تزايدت نسبة المصروفات على العتاد فقبل الحرب العالمية الأولى كان ٨٠٪

من المصروفات الدفاعية تصرف على أفراد القوات المسلحة على حين يصرف ١١ ـ ١٥٪ فقط للمعـدات ، أما الآن فلا تتجاوز مصروفات الأفراد ٣٣٪ على حين ترتفع مصروفات المعدات والدراسات والأبحاث الى ٦٧٪ (١) ٠

لقد تطورت الحروب فى العصر الحديث وأصبح من المتوقع أن تكون حروب صواريخ عابرة للقارات وحروب صواريخ تنطلق من خارج الفضاء محمولة على اقمار صناعية ، وتحولت الحروب الى حروب ذرية وأجهزة الكترونية وهذا ما جعل الصناعة تتقدم تقدما ملموسا ، فكل جـزء من أجـزاء الطـائرات وكل قطعـة فى الصـواريخ وكل قطعـة فى جميع الأسلحة المتطورة تقوم بها شركات متخصصة فى تصنيعها وتطـويرها وهكذا قامت صناعات حربية كبيرة وخاصة فى الدول المتطـورة وقـام تحالف بين التنظيم العسـكرى والصناعة الحـربية أطلق عليه الرئيس ايزنهاور « الشبكة العسكرية الصناعية » (١) هذا التحالف أو هذه المؤسسة هى التى تدير الشئون السياسية فى أمريكا وفى العالم لما لها من قوة سياسية فى الحكومة الأمريكية ٠ فبالرغم من الأضرار الكبيرة التى يواجهها الشعب الأمريكى من جراء الحروب فى كل مكان من العالم الا أن الحروب الأمريكية من الصعب ايقافها والا فان هذه الصناعات الكبيرة والتى يعيش عليها ملايين من البشر سوف نتوقف ويصبحون بلا عمل ٠

ويعتبر النقل عاملا هاما فى الاستراتيجية الاقتصادية فبواسطته تسهل حركة نقل الجيوش والعتاد الى ميدان المعركة ومن بين أهم مقومات الحرب وجود شبكة من الطرق المعبدة يستطيع الجيش أن يستخدمها بحيث لا يركز على طريق واحد لأن العدو سوف يعمل جهده على ضرب الطرق المؤدية الى ميدان المعركة وقطع تموين القوات المتحاربة فاذا ما تعددت الطرق صعب عليه ايقاف الزحف القادم من كل جهة كما انه كلما كثرت شبكة الطرق سهل نقـل الجيوش الى أى نقطة فى البلاد يقوم العدو باحتلالها ولهذا العـدو دائما على أجزاء من أراضى الدولة ليحطم بها معنويات القوات المحاربة والشعب ٠ وبسرعة فائقة أن يتوغل فى الداخل وأن يحرز انتصارات سريعة يحصل بها

---

(١) اكرم ديرى والقدم الهيثم الايوبى نحو استراتيجية عربية جديدة ٤٥ ٠

(٢) اكرم ديرى والهيثم الايوبى المرجع السابق ص ٤٥ ٠

أما اذا كانت الطرق ممهدة فان عملية الدفاع السريعة سوف تمنع العدو من تحقيق أهدافه وتحبط مخططاته ويجد مقاومة فى أى جزء من أجزاء الدولة يحاول الدخول منها ، ولقد أصبحت الحرب الحديثة حرب آليات ، هذه الآليات فى حاجة الى ذخائر ووقود وتموين مستمر ٠ وكلما كانت الطرق ممهدة انتظم سير العمليات الحربية فبالرغم من اختراع الآليات المجنزرة والتى بوسعها السير على الأراضى المرصوفة وغير المرصوفة الا أن سرعتها على الأراضى المرصوفة أكبر ٠

ولا يقتصر النقل على الطرق المعبدة وانما يتعداه الى النقل الجوى وبناء المطارات الحربية السرية والعلنية والاكثار منها فكلما كثرت المطارات توزعت القوات الجوية عليها وأصبح من المتعذر على العدو ضرب جميع المطارات ، علما بأن هذه المطارات الحربية لديها دائما وسائل للدفاع الجوى ضد أى هجوم عليها ٠ وكلما كانت المطارات محصنة أدى السلاح الجوى الحماية الكافية ولهذا نجد بعض الدول تنشأ مطاراتها تحت الأرض بحيث لو تعرضت لغزو جوى فان طائراتها تصبح فى مأمن ٠ وما قيل عن المطارات يمكن أن يقال عن الموانىء البحرية العسكرية والأسطول البحرى الحربى الذى يقوم بحماية الشواطىء ليمنع العدو من التسلل وقت الحرب والسلم أيضا ٠

خامسا : الاستراتيجية السياسية :

من الطبيعى أن تكون الاستراتيجية العسكرية خاضعة للاستراتيجية السياسية فالسياسة هى الفكر أما الحرب فهى الوسيلة ومن الطبيعى اخضاع وجهة النظر العسكرية الى وجهة النظر السياسية ٠ فالهدف السياسى هو الذى يحدد حجم الحرب فاذا كان الهدف كبيرا كانت الحرب كبيرة الهدف وأن جميع أفراد الشعب يشتركون فى عملية الدفاع أو الهجوم ، فمثلا الحرب العربية الأسرائيلية كبيرة على الجانب الاسرائيلى صغيرة على الجانب العربى لأن هزيمة الجيوش الاسرائيلية معناها نهاة الدولة الاسرائيلية كما أن عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم معناه اخراج المغتصب الذى احتل المنزل العربى واحلال العربى مكانه فهذه الحرب تهم كل فرد من أفراد الشعب الاسرائيلى أما بالنسبة للعرب فقد لا تؤخذ بهذا المعنى الكبير لأن فقدان جزء من الأراضى العربية لا يعنى بأى حال من الأحوال تهديد الشعب العربى

نظرا لاتساع مساحة أراضيه · وفى الوقت الذى يزداد فيه حماس الشعب الاسرائيلى فى الدفاع عن نفسه قد لا يصل حماس الشعب العربى الى هـذه الدرجة والى الحد الذى يوضع فيه كل عربى تحت السلاح · وهذا لا يعنى أن الحرب لا تمس كل فرد من أفراد الشعب أو الأمة غير الاستراتيجية العسكرية لم تؤمن بعد باتخاذ استراتيجية حرب شاملة (من الجانب العربى) وتحريك جميع أفراد الأمة العربية ·

فالاستراتيجية الاستعمارية كاستراتيجية اسرائيل تحاول دائما أن تصل الى أهدافها من خلال حرب سريعة خاطفة قبل أن يتحرك الرأى العام العالمى فاذا ما طالت الحرب كما حدث عام ١٩٧٣ فان أصوات الاحتجاج ترتفـع فى كل بقعة من بقاع الأرض وتطالب المعتدى بالانسحاب من الأراضى التى احتلتها بالقوة · أما استراتيجية اعادة الحقوق فهى استراتيجية عادلة فكلما طالت كسبت الرأى العام العالمى وكلما طالت الحرب التحم الشعب معالجيش فى عمليات الدفاع عن حقوقه المغتصبه · فمن الصعب فصل الاستراتيجية العسكرية عن الاستراتيجية السياسية لأن الاستراتيجية العسكرية ما هى الا عامل مكمل للاستراتيجية السياسية · ويقول كلاوزفتز « ليست الحرب عملا سياسيا فحسب ولكنها اداةمن أدوات السياسة واستمرار للعلاقات السياسية وتحقيق لهذه العلاقات بوسائل أخرى » فالحرب هى امتداد للسياسة ولكنها تأملبوسائل العنف والقـــوة واذا ما وصلت المشاكل الى باب مغلق أمـام السياسيين فانهم يحيلوها للعسكريين ليفتحوا لهم ما أغلق عليهم ولطوعوا لهم ما صعب عليهم ·

الفصل العـــاشر

الصراع الحضارى واثره على النشاط الاقتصارى للشــــعوب

الصراع الحضارى فى العالم الاسلامى :

ان الصراع على سطح هذا الكون قديم قدم الانسان على سطح الأرض. واول صراع سجله التاريخ بين الانسان واخيه الانسان كان فى عهد ادم عليه افضل الصلاة والسلام وعندما قتل ابنه قابيل اخيه هابيل . وعندما ارسل الله له غرابا ليريه كيف يوارى سوءة اخيه فكان من النادمين . منذ ذلك اليـوم والصراع قائم بين الانسان واخيه الانسان . يقتله لأتفه الأسباب ثم يواريه فى التراب ويكون أيضا من النادمين .

لقد قامت حضارات متعددة على سطح هذا الكوكب الذى نعيش عليه لم نعرف عنها الكثير سوى ما نجده من آثار . لقد كانت ضحية صراع مرير بينها وبين حضارات أخرى قتل قويها ضعيفها وازاله فسخر لها الله من يزيلها. وقد يطول بنا الكلام لو حاولنا استعراض جميع الحضارات القديمة وبينا أسباب سقوطها واندثارها . كما أن معلوماتنا محدودة للفترة التى سبقت الاسلام . لهذا لم نجد افضل من أن نبدأ بحثنا هذا بعهد محمد بن عبد الله عليهافضل الصلاة والسلام .

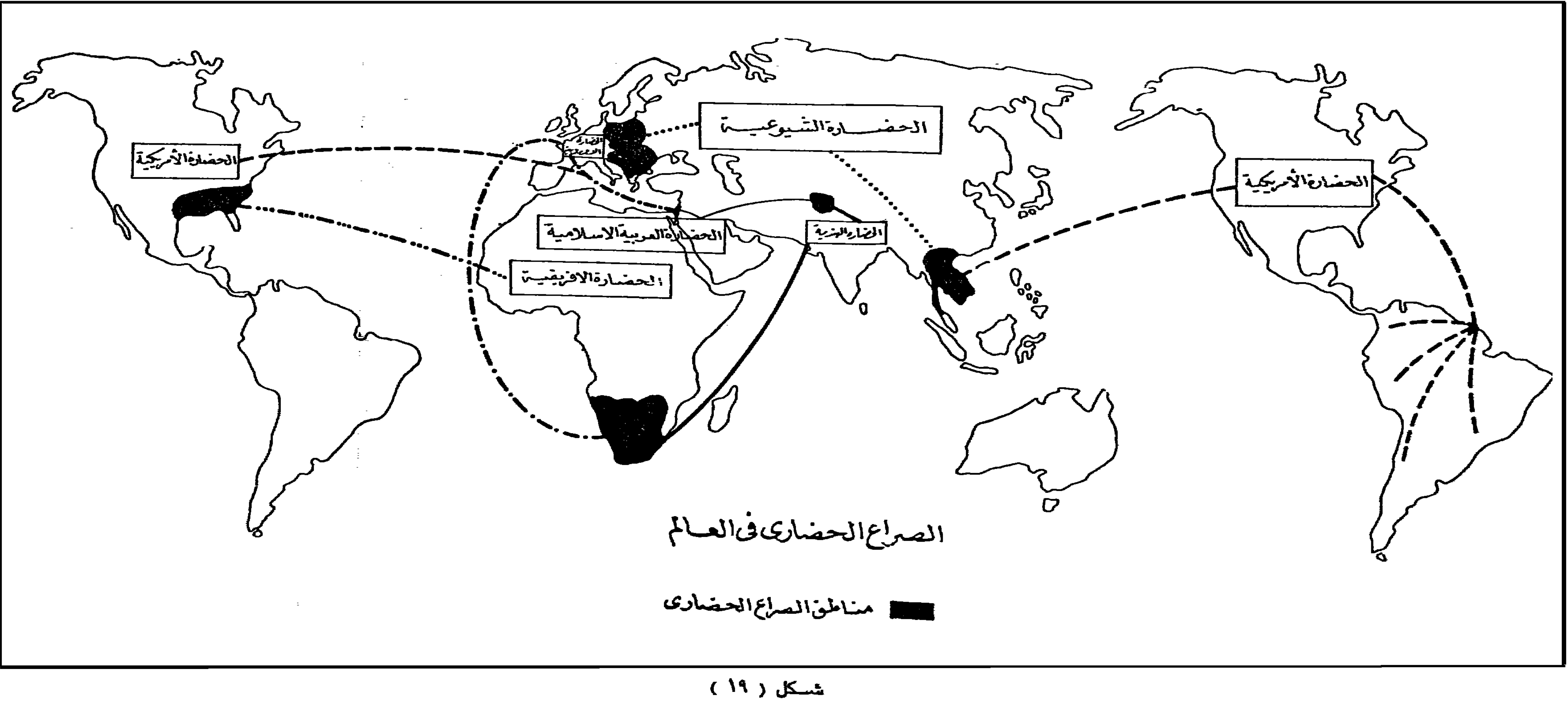
ولقد جاء الاسلام فى زمن كان فيه الصراع بين أبناء الجنس البشرى على أشده .. جاء الاسلام فوجد الصراع قائما بين الحق والباطل . بين الأسرة الواحدة يقتل الرجل أبناءه خشية املاق . صراع بين القبائل يأكل القوى منها الضعيف . يقتلون أبناءهم ويسلبون أموالهم ويستحيو نساءهم. صراع بين الحضارات . لقد جاء الاسلام والصراع بين الحضارة الفارسية والحضارةالرومانية قائم على قدم وساق. فجميع القبائل المتصارعة والمتطاحنة وخلق منها حضارة اسلامية قوية سادت العالم .

لقد وحد الاسلام عقيدة تلك الشعوب والقبائل المتفرقة المتنافرة . فعملوا

جميعا من أجل هدف واحد وهو اعلاء كلمة « لا اله الا الله محمد رسول الله » فكان لهم ما ارادو ٠ ومن شبه الجزيرة العربية انطلقوا نحو الغرب لينيروا العالم ٠ فقضوا على الحضارتين العملاقتين الحضارة الفارسية والحضارة الاسلامية عند هذا الحد بل أخذت تنتشر نحو الشرق حتى وصلت الى مشارف الصين ونحو الغرب حتى وسط فرنسا ٠

وهنا بدأ الصراع بين الحضارة الأوربية والحضارة الاسلامية ٠ ولسوء الحظ تراخى المسلمون وتهاونوا عن الهدف الذى أتوا الى تلك الديار الأوربية من أجله ٠ نسو أنهم ينزلون بأراضى حضارة غير حضارتهم ٠ فنعمت أظافر أولئك الفاتحين بعد أن استقر بهم المقام فى بيئتهم ٠ لقد انصرفوا نحو الملذات ونسوا الله فنسيهم ٠ وماذا كانت النتيجة ؟٠ لقد جمع الأوربيون شملهم ٠ ولموا شتاتهم ٠ وداهموا أولئك الذين انصرفوا الى الملذات ٠ وأبعدوهم عن قارتهم٠ وكانت أول نكسة فى تاريخ الحضارة الاسلامية فى القارة الأوربية ٠ وهكذا عاد الاسلام الى شمال افريقيا وتقلصت الحضارة الاسلامية فى اوربا ٠ ان ارادة الله فوق كل ارادة ٠ لقد قال الله تعالى فى محكم كتابه « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ٠ لقد تغيرت النفوس ٠ وانصرف المسلمون وراء أطماع دنيوية وابتعدوا عن مبدأ وحدتهم وقوتهم فتفرقوا الى دويلات وضعفت الحضارة الاسلامية ٠ غير أن الاسلام لم يضعف حيث استبدل الله العرب بقوم غيرهم اعتنقوا الاسلام وحملوا رايته الى أوربا مرة ثانية وكانت الجولة الثانية بين الحضارة الاسلامية والحضارة الأوربية الغربية ٠ انتصر فيها الاسلام ووصل الى أبواب فيينا عاصمة النمسا على يد العثمانيين بعد أن وصل الى مشارف باريس فى جولته الأولى ٠

وهكذا أصبحت شبه جزيرة البلقان شبه جزيرة اسلامية ٠ فعاد الاسلام الى أوربا من الشرق عن طريق تركيا بعد خـــروجه من الأندلس ٠ وبعودة الاسلام الى قلب العالم لابد وأن يتكالب الغرب مرة ثانية لابعاده عن القارة الأوربية ٠ مستغلين ظروف الحرب العالمية الأولى ٠ وضعف المسلمين لقد خدع الغربيون المسلمين بوعود لم يحققوها وهذه طبيعتهم بالرغم من أن المسلمين تضافروا معهم وحاربوا الأتراك وأبعدو الدولة العثمانية عن بلاد العرب ٠ وماذا كانت النتيجة ؟ هل حقق الغربيون آمال المسلمين فى انشاء دولة اسلامية تتكون من الجزيرة العربية ومنطقة الشام كما كانوا يحلمون ؟ الاجابة لا بد



الحضارة الشيوعية
الحضارة الأمريكية
الحضارة العربية الإسلامية
الحضارة الهندية
الحضارة الافريقية
الحضارة الأمريكية
الصراع الحضارى فى العالم
مناطق الصراع الحضارى

شكل (١٩)

وأن تكون بالمنفى لقد تآمر الغربيون واليهود على أن يعيدوا المسلمين الى عهد التفرقة والانقسام ٠ أى قبل تجمعهم تحت راية امبراطورية اسلامية واحدة٠ لقد خانوا الوعود التى التزموا بها القادة العرب قبيل الحرب العالمية الأولى٠ وأعادوا العالم العربى والاسلامى الى دويلات مثل سوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين ولم يكتفوا بهذا القدر من التقسيم والتفكك بل اتبعوا السياسة القائلة بأن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم ٠ فشجعوا قيام دولة تكثر فيها المسيحية فى لبنان ٠ ثم دولة يهودية فى فلسطين ٠ بعد أن طردوا سكانها الأصليين خالقين من مشكلة الأقليات المسيحية مشكلة سياسية لم يكن لها وجود قبل ضعف الدولة العثمانية ٠ وتدخل الغرب فى شئون الأقليات المسيحية فى العالم الاسلامى أما الأقليات اليهودية فلم يكن لها مشاكل على الاطلاق ٠ وانما خلقوها بجلبهم يهود العالم وهم يعلمون علم اليقين أن كلا الدولتين المسيحية واليهودية لا ضرورة لوجودهما لأنه لم يحصل فى التاريخ أن اضطهد المسلمين الأقليات التى تعيش معه وبالتالى لا يمكن أن يبقيا ما لم يؤازرهم الغرب فى أوربا وأمريكا : لقد رأينا الجيش الأمريكى ينزل الى لبنان عام ١٩٥٨ بدعوى حماية لبنان من الشيوعية ٠ ورأينا تدخل كل من بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل عام ١٩٥٦ ٠ وما كانت قد أظهرته الولايات المتحدة الأمريكية من مؤازرة غير معقولة لبقاء اسرائيل فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والحربية ٠

لقد عرف الغربيون قوة العرب والمسلمين الاقتصادية٠فأخذوا يحاربونها بها ٠ لقد كانت قوة المسلمين مبنية على التجارة التى كانوا ينقلونها من الهند والصين وجنوب شرق اسيا الى أوربا ٠ وأن التجارة والمكاسب التجارية أعطتهم قوة اقتصادية وحربية واستطاعوا بها أن يهاجموا الغرب فى عقر داره ٠ فحاول الغرب أن يحرمهم من تلك المصادر ٠ وبالتالى فقد قام بالدوران حول رأس الرجاء الصالح وأخذ يحول التجارة من العبور خلال العالم العربى والاسلامى ٠ وبالتالى أضعف قوة العرب والمسلمين وأخذوا فى التفكك والضعف ٠

أما اليوم وبعد أن عادت للعرب قوتهم الاقتصادية وذلك بفتح قناة السويس فان شغل اليهود الشاغل هو قفل القناة ٠ ولقد رأينا القناة تقفل أمام الملاحة الدولية عام ١٩٥٦ ثم عام ١٩٦٧ وفى كلا الحالتين تتحول التجارة نحو رأس الرجاء الصالح وفى ذلك مصالح للحكومة الغربية العنصرية فى

جنوب أفريقيا . لقد عرف أعداء الاسلام أن قوة العرب والمسلمين السياسية أصبحت تعتمد على البترول والأموال الضخمة التى تأتى الى العالم الاسلامى من البترول فأخذوا يدبرون المؤامرات ضد الأموال العربية الاسلامية بعدة وجوه أما أن يخفضوا عملاتهم فيخسر أصحاب الأموال المودعين أموالهم فى البنوك الأوربية والأمريكية . وأما أن ينصبوا أنفسهم أوصياء على الأموال الفائضة باقتراحهم مشاريع لتصريفها مثل ايداعها فى البنك الدولى للانشاء والتعمير ليمولوا بها مشاريع التنمية فى الدول النامية فى جميع أنحاء العالم متجاهلين أن دول العالم العربى والاسلامى هى دول نامية وفى حاجة الى أموال طائلة لنموها وتطورها .

هذا من جانب . ومن جانب آخر فلقد خلقوا للعالم العربى والاسلامى صراعا حضاريا بجلبهم أقواما كاليهود لا ينتمون الى جسم هذا العالم الاسلامى . وبالتالى فان العالم الاسلامى العربى والاسلامى لا يملك ويتجه نحو سباق التسليح . وحيث أن العالم العربى والاسلامى لا يملك الوسائل العلمية لانتاج أحدث اسلحة فانه ولا بد من أن يستوردها من الدول الغربية وبهذا تحصل تلك الدول على معظم أموال العالم العربى والاسلامى عن طريقين . أما عن طريق مشاركتهم فى استخراج الثروات الطبيعية كالبترول مثلا وبنسب مرتفعة تصل فى بعض الدول الى ٥٠٪ وأما بحصولهم على الأموال عن طريق شراء الأسلحة والتى تصل الى حوالى ٤٠٪ من ميزانية بعض الدول الاسلامية فى بعض السنين . وحيث أن الأسلحة تتطور يوما بعد يوم فان الأسلحة القديمة لا تصلح الا أن تودع فى المتاحف وأن تشترى الدول الاسلامية أسلحة جديدة ومتطورة . وبهذا فان وصول الأموال الاسلامية اليهم أصبح مضمونا .

فاذا نظرنا الى الأموال التى تصل الى الغرب والى الحضارة الغربية من العالم العربى والاسلامى لوجدنا أنها تفوق ٨٠٪ من ثرواتهم الطبيعية عن طريق استخراج الثروات الطبيعية وعن طريق سباق التسلح بالاضافة الى أن معظم السلع الاستهلاكية كالسيارات والثلاجات والغسالات والمكيفات تستورد من الغرب وكذلك المواد الغذائية . وبهذا لا يصبح لدى الدول الغربية والاسلامية فائض للادخار والتطور السريع . ولم تكتف الحضارة الغربية بهذا القدر بل أنها كلما رأت هناك فائضا قد تجمع وأن العرب والمسلمين قد تطوروا فانها توعز الى الجيش الغربى والذى وضعته فى قلب العالم

الاسلامى ممثلا فى دولة اسرائيل بتدمير كل ما بنى كالمصانع والمنشآت الاقتصادية ومصافى البترول • بالاضافة الى انها تحتل اراضيهم المنتجة كالضفة الغربية ومرتفعات الجولان وابار البترول فى سيناء فتضطر الدول المتضررة الى طلب المساعدة من الدول الغنية وبذلك تتوزع الأموال المتجمعة وتتشتت ولا يبقى منها ما يدفعهم الى التطور والرقى والمنافسة •

فاذا دققنا النظر فى المبالغ التى يدفعها الغرب كمساعدات اقتصادية وعسكرية للجيش الغربى الاسرائيلى فهى لا تزيد عن ربع المبالغ التى يحصل عليها الغرب من العالم الاسلامى • وبهذا فان وجود الجيش الغربى اليهودى فى اسرائيل يصبح ضروريا لضمان استنزاف أموال العرب والمسلمين وضمانا لبقائهم مفككين مشتتين لا تقوم لهم قائمة ينهبون أموال كل دولة على حدة • قد يطول بحثنا لو حاولنا التوسع فى الأضرار التى تلحق العالم الاسلامى من قيام المعسكر الصهيونى اليهودى فى قلب العالم الاسلامى •

لم يكتف الغرب بهذا القدر من الهجوم بل قام بجيوش من الرهبان المبشرين ليوقفوا تيار المد الاسلامى فى جنوب الصحراء الأفريقية حتى انهم استقروا وحكموا الدول الأفريقية والتى سوف نناقشها بشىء من التفصيل عند كلامنا عن الصراع الحضارى الغربى الأفريقى فيما بعد •

هناك صراع آخر بين الغربيين والمسلمين يدور رحاه فوق شبه القارة الهندية حيث أخذ الغرب يحارب الاسلام ويضع حدا لامتداده فى اتجاه الشرق • ومع أن الدين الاسلامى دين منطقى متطور يصلح لكل زمان ومكان الا أنه بلغ من عنصرية الغربيين انهم حينما وجدوا الكثير من الهنود يدخلون فى الاسلام وأن الاسلام يتمشى مع تطور التعليم بين الهندوس حاولوا ايقافه وذلك بفصل المسلمين عن الهندوس فأثاروا مشاكل اقليمية بسيطة ليفصلوا المسلمين عن الهندوس وليخلقوا دولة باكستان بشكل شاذ نصفها شرقى ونصفها غربى بينهما ما يزيد عن الألف ميل من الأراضى الهندية • ولم يكتفوا بهذا الفصل بل شجعوا الهند بأن تفصل الدولة الاسلامية الى دولتين هى دولة بنقلادش ودولة الباكستان ووقف الغرب يتفرج على ذلك الانفصال ويرحب به •

هذه لمحة عن الصراع الغربى الاسلامى وهو فى الحقيقة يحتاج الى

تفاصيل كثيرة راجين الله عز وجل أن نجعله موضوع بحث مطول فى المستقبل باذن الله ٠

الصراع الحضارى فى أفريقيا :

أما الصراع الثانى فهو ما نشأ بين الحضارة الغربية والحضـــارة الأفريقية فقد قام فوق القارة الأفريقية جنوب الصـــحراء الكبرى وسنعطى نموذجا لهذا الصراع من جمهورية جنوب أفريقيـــا ٠ حيث قام صراع بين حضارتين مختلفتين فى اللون والقيم والمستويات الاقتصادية (شكل ١٩) ٠

لقد وصل الهولنديون الى جنوب أفريقيا فى القرن الســـادس عشر الميلادى ليقوموا بوظائف وخدمات خاصة تتطلب مهارات فنيـــة كالأطباء والمدرسين والفنيين ٠ استقر الأوربيون عموما على السواحل وكان هدفهم انشاء مراكز لتموين السفن القادمة من أوربا وفى طريقها الى الهنـــد أو العكس ٠ غير أن الأوربيين لم يكتفوا بالسواحل فقط بل تعمقوا فى الداخل٠ فغزوا المناطق الداخلية فى حوالى أوائل القرن التاسع عشر ٠ وبمـــا أن الأوربيين قد ارتقوا فى سلم الحضارة وأصبحوا يعرفون الزراعة الراقيـــة ووجدوا فى جنوب أفريقيا كثيرا من الأراضى الخصبة والتى لم تستغل بعد ٠ بينما الأفريقيون سكان البلاد الأصليين هم من قبائل البانتو والذين يزاولون مهنة الرعى وهذه الحرفة كما هو معروف لا تعرف الحدود الثابتة للأرض كما هو الحال بالنسبة للزراعة ٠

وهكذا أخذ الأوربيون يستولون على الأراضى الخصبة المنتجة ويبعدون عنها الأفريقيين ٠ وهنا لا بد وأن يحدث الالتقاء بين الحضارتين فالأوربيـــون أخذوا يوسعون دائرة مزارعهم على حساب الأراضى الأفريقية ٠ وكان من الطبيعى أن تمارس دائرتا الحضارتين ثم تتقاطعا ٠ ومن هنا بدأ التضارب فى المصالح الاقتصادية وبدأ النزاع بين العنصرين فامتـــدت الحروب بين المجموعتين البشريتين المختلفتين حضاريا وانتهت بانحدار شجاعة السود أمام أسلحة البيض الحديثة والتى لم يألفوها ٠ وبدأت حواجز اللون توضع وترتفع ويعلو بناؤها ٠

لقد كان الدافع القوى لوضع هذه الحواجز هو خوف الأقلية البيضاء

من الأكثرية السوداء · اذ أن النسبة فيما بينهما كنسبة واحد الى تسعة · ولم يكن خوف الأقلية البيضاء فى جنوب أفريقيا من الأكثرية السوداء فى جنوب أفريقيا فحسب بل كان خوفهم أعظم من أغلبية سكان القارة الأفريقية السوداء والتى تحمى ظهر الأكثرية السوداء · لذا قامت سياسة جمهورية جنوب أفريقيا على أساس احتلال الأراضى الصالحة للزراعة واعطائها للبيض وطرد قبائل البانتو الى جهات خصصت لهم تمتاز بقلة خصوبتها وانتاجها · ولم يكتفوا بهذا القدر بل انهم منعوا مغادرة الأفريقين من تلك المناطق التى خصصت لها الا بتصريح خاص لا يعطى الا لمن يعمل فى خدمة الرجل الأبيض وبأجور زهيدة يذهب معظمها الى الضرائب الموضوعة عليهم ·

كانت نظرة الأوربيون تتركز فى استغلال السود الأفريقيين حيث كانوا يستبعدونهم للعمل فى الحقول كرقيق أولا · غير أن الرقيق قد ألغى فى جميع انحاء العالم وعوض أولئك البيض الذين كانوا يمتلكون الرقيق فى جنوب افريقيا عام ١٨٣٢ م · أن الغاء الرق كان موضوع خلاف بين البيض أنفسهم ·· بين الهولنديين والبريطانيين مما دفع بالهولنديين البوير الى الهجرة الى الداخل والى منطقة هضبة القلد ، غير أن الانجليز لم يتركوهم بل تبعـوهم وبهذا كان البوير يلاقون هجوما من البانتو والانجليز · وفى هضـــبة القلد اسس البوير دولتى الأورنج الحرة والترنسفال · الا أن الانجليز هزموا البوير بين عام ١٨٩٩ م وعام ١٩٠٢ م وأخضعوهم الى حكمهم · وفى عام ١٩١٠ تاسست دولة اتحاد جنوب أفريقيا والتى تكونت من دولتى البوير وهمـــا الأورنج الحرة والترنسفال ودولتى الانجليز وهمـــا رأس الرجاء الصـالح وناتال ·

وقد تأسس الاتحاد على أن يسير على النظام الفــدرالى غير أنه فى الحقيقة يتبع النظام المركزى فى الحكم · أن مشكلة البيض فى جنوب أفريقيا هى أن أعداد البوير تفوق أعداد الانجليز بحيث تجعلهم يسيطرون على الاتحاد سياسيا · فعدد البيض يصل الى حوالى ثلاثة ملايين أوربى منهم مليونان من البوير · أما قبائل البانتو الأفريقية فان عددها يصل حوالى عشرة ملايين نسمة · هذا بالاضافة الى مليونين من الملونين الأسيويين · وبهذا يصبح عدد سكان جنوب أفريقيا حوالى خمسة عشر مليونا ·

وأهم ما يميز سياسة جنوب افريقيا هو التفرقة العنصرية · حيث

قامت الحكومة باعمال رهيبة ضد كل من يناصر الأفريقيين أو يؤمن بالمساواة بين الأجناس • ولهذا فان التوتر يسود البلاد وتسير سياسة جنوب افريقيا نحو فصل المجموعات الجنسية كلا على حدة • حيث تعطى الحكومة كل مجموعة نوعا من الاستقلال الداخلى وهذا يعنى أن الأفريقيين سوف يفقدون ما يقرب من ٨٧٪ من اراضيهم • مقابل الحصول على ١٣٪ من الأراضى التى خصصت لهم • وهذه هى الأراضى الغير منتجة فى البلاد • لقد قامت بالفعل حكومة جنوب افريقيا باعطاء اقليم ترانسكى Transki (١) وهو احد المعازل المخصصة للأفريقيين والذى يقع الى الشمال الشرقى من اقليم الكاب استقلالا داخليا حيث تبلغ مساحته ١٦ر٣٥٥ ميلا مربعا ويضم حوالى مليونين من الأفريقيين • وتدعى حكومة جنوب أفريقيا بأن هذه هى الخطوة الأولى نحو انشاء دولة بانتوستان فى المعازل الأفريقية مدعية أن الأوربيين قد وصلوا الى جنوب افريقيا قبل وصول قبائل البانتو الأفريقية وبهذا ليس لها حق فى الأراضى • وهذا الادعاء يدحضه علماء التاريخ ويقولون أن القوانين التى اصدرها البيض حينما نزلوا جنوب افريقيا تمنع السود من الاستيلاء على الأراضى الغنية • وأن الأوربيين أصدروا قوانين متعددة ضد الرجل الأسود منذ نزولهم الى ارضيه لابعاده الى المناطق النائية • وقد عارضها الرجل الأسود بشدة • غير أن مقدرته على مقاومة الأسلحة الحديثة كانت محدودة •

أما طريقة الحكم الذاتى فتتلخص فى أن يقوم الأفريقيون داخل المعزل باختيار خمسة من الوزراء يكونون مسئولين عن المالية _ والعدل _ والتعليم _ والداخلية _ والزراعة والغابات _ والأشغال العامة ، وأن ينشا مجلس تشريعى يتكون من اربعة رؤساء للقبائل الكبيرة وستين من رؤساء للقبائل الصغيرة وخمسة وأربعين من رجال القبائل ومن حق المجلس التشريعى أن يصدر القوانين الخاصة بالضرائب والتعليم وتطور الزراعة والمحاكم المحلية ويسجل الأملاك والشئون العامة والمرور وشئون العمال والاحصاءات العامة والانتخابات المحلية القبلية والأسواق ورخص التجارة • على أن تكون جميع القوانين عرضة لموافقة أو رفض رئيس جمهورية جنوب افريقيا •

---

1. Arthur C. Turner and Freedman ed "Tension Areas in the World" Wedsworth Puplishing Company Inc. Belmont California 1964 p.166.

أما الأمور التى لم تمنح للمجلس التشريعى فهى :

١ - انشاء الجيوش ٠

٢ - تصنيع الأسلحة ٠

٣ - الاعتراف بأى دولة أجنبية أو تعيين ممثلين لها ٠

٤ - معارضة البوليس الخاص بالجمهورية فى أى عمل يقوم به داخل المعازل ٠

٥ - من حق الجمهورية أن تسير البريد وخطوط السكك الحديدية وأن تبنى الموانىء - والطرق العامة وأن تدير شئون الطيران المدنى وأن تصك النقود وأن تفرض الجمارك ٠

من التوزيع السابق للسلطات نلاحظ أن الهدف من الحكم الذاتى هو عدم مشاركة الأفريقيين أو اعطائهم أصواتا فى برلمان الجمهورية ٠ وأن يفصلوا الجيش الأسود عن الجيش الأبيض حتى لا يتمرن على استخدام الأسلحة الحديثة ٠ وأن يحرم الأفريقيون من حقوقهم فى ما يزيد عن تسعة أعشار الدولة ٠

هذا النوع من الحكم الذاتى فرض على الأفريقيين فرضا دون ارادتهم وأن كل من يعارض هذا النظام من قادة الافريقيين سيؤول مصيره الى السجن وبهذا فان النظام سوف يمنع الأفريقيين من المطالبة بمبدأ المساواة مع البيض٠ علما بأن المعازل الأفريقية ليست لديها المقومات الاقتصادية التى يعتمد عليها الحكم الذاتى وأن الاعتماد الوحيد للأفريقيين هو تصدير اليد العاملة الرخيصة الى مناطق البيض ٠ فمشروع الحكم الذاتى لا يعنى أكثر من زيادة سيطرة وسيادة الرجل الأبيض على الأفريقى ٠

هذا بالنسبة للأفريقيين الذين يعيشون داخل المعازل أما الذين يعيشون خارج المعازل فان بقاؤهم مرهون بمحافظتهم على أعمالهم لدى الرجل الأبيض وأن الرجل أو المرأة يبقى خارج المعزل مادام الرجل الأبيض فى حاجة اليه ٠ أما اذا استغنى عنه فانه يعود الى معزله فورا ٠ فخروج الرجل الأسود من المعازل منظم بشكل دقيق بحيث لا يستطيع الرجل أو المرأة البقاء خارج المعزل بدون عمل ٠

ان الصراع الحضارى فى جنوب أفريقيا لم يقتصر على الرجل الأبيض والرجل الأسود بل تعداه الى الأوربيين والآسيويين ٠ لقد صدرت عدة قرارات من حكومة جنوب أفريقيا البيضاء لاجلاء آلاف العوائل من منازلهم والتى كانوا قد عاشوا فيها منذ عهد أجدادهم كان آخرها القرار الصادر عام ١٩٥٠ والذى أجبر بموجبه خمسة آلاف عائلة فى منطقة باقفيو Pagview من الهنود والماليزيين والصينيين من أن يتروا المنطقة الى مناطق أخرى ٠ كما أجلوا حوالى ستة آلاف ملون من مدينة ساوث اند South End ومدينة اليزابيث ٠ ان الصراع الحضارى يدفع الأوربيون بعد تمكين الأفريقيين والآسيويين من الاستقرار فى مكان واحد لمدة طويلة وهذا ما يثير عدم الراحة والاطمئنان ٠ وبهذه الطريقة تستطيع الحضارة الأوربية أن تزيد من اعدادها وذلك باجلاء السكان واعطاء الأراضى للأوربيين القادمين أو تحجزها لأبناء الأوربيين المستعمرين ٠ وبهذه السياسة فان الحكومة تحجز الأراضى التى لم تحتل بعد للأجيال القادمة المتزايدة من أبناء البيض ٠ بعد أن تدفع بالافريقيين الى المعازل ٠ لقد صدرت القوانين التى تحد من حركة كل أفريقى وفى أى مكان كان فى جنوب أفريقيا ولهذا فان العقوبات الشديدة تنزل بالافريقى اذا قبض عليه وهو لا يحمل مرجعه أو اقامته لأن البطاقات لا تعطى الا للمواطنين الأوربيين أما الافريقيون فلا يعتبرون مواطنين ٠ لذلك لا بد لهم من حمل اقامة أو تصريح خاص يسمى مرجع Refrence يبين فيه السماح للأفريقى بمغادرة معزله والعيش فى المدينة ٠

كما يوضح فى المرجع ما اذا كان الأفريقى دفع الضرائب أم لا ٠ أما اذا قبض على أفريقى وهو لا يحمل مرجعه فيؤخذ فورا الى المحكمة لتحكم عليه اما بغرامة مالية عالية تسلبه كل ما يملك اذا وجد لديه مال ٠ أو أن يسجن٠ أو أن يجلد ، وقد تطبق عليه جميع العقوبات يؤخذ ماله ويسجن ويجلد ٠ واذا كانت امرأة فتؤخذ فورا الى معزل أهلها والذى قد يختلف عن معزل زوجها وأطفالها فلا رحمة فى فصل الرجل عن زوجته أو فصل الأبناء عن والدهم ووالدتهم ٠ قد يسمح للمرأة أن تخرج من المعزل لتعمل فى المدن ولا يسمح لها بأن تأخذ أطفالها معها ٠

أما أثر الصراع الحضارى فى جنوب أفريقيا على النشاط الاقتصادى فانه يظهر جليا فى ارتفاع أجور اليد العاملة الماهرة وبهذا فان دخل الرجل الأبيض فى جنوب أفريقيا يعتبر من أعلى المستويات فى العالم ٠ أما بقيـة

السكان فان أجورهم زهيدة للغاية ٠ ويرجع السبب فى قلة الخبرة الفنية العالية الى العراقيل التى وضعت فى جقل التعليم وخاصة أن الحكومة تسيطر على التعليم بحيث تفصل الناس كل حسب لونه ٠ وبهذا فان كل فرد يحصل على التعليم الذى يسمح به لونه ٠ هناك مدارس تبشيرية لا تشرف عليها الحكومة غير أنها عرضة للضرائب التى لا يمكن ان تتحملها ٠ علما بأن الحكومة لا تدفع مصاريف التعليم وانما تحصل عليها من الضرائب الخاصة بالتعليم ممن يريد أن يتعلم ٠

أما بالنسبة للتعليم العالى فانه مقصور على الرجل الأبيض ولا مجال للرجل الأسود فى المجتمع الأبيض لأكثر من عامل ٠ فاذا وضع تعليم عال للافريقيين فهو منفصل عن البيض ولا يستفاد منه فى العمل ٠ بهذه التفرقة حصل الرجل الأبيض على مستويات الدخل العالى بينما ترك غيره فى أدنى مستويات للدخل ويقدر أن نسبة دخل الرجل الأبيض بالنسبة لدخل الرجل الأسود هى خمسة الى واحد ٠ فحسب احصائية عام ١٩٦٠ وزع الدخل على النحو التالى (١) :

العنصر	نسبتهم الى عدد السكان	نسبة الدخل القومى	دخل الفرد بالجنية الاسترلينى
أبيض	١٩ر٢	٧٧٪	٤٢٥ جك
أسود	٦٨ر٤	٢٦ر٥٪	٣٩ جك
ملونين	١٢ر٤	٠٦ر٥٪	٥٤ جك

لقد بذلت كل الجهود لتضع العراقيل أمام الأفريقيين وخاصة بالنسبة للتعليم والحصول على وظائف لها مهارات خاصة ٠ ولا يوجد مكان على سطح الأرض يسود فيه الأبيض على الأسود مثل جنوب أفريقيا ٠ حتى أن الحكومة قد أصدرت القوانين التى تعاقب كل من يعارض سياسة التفرقة العنصرية ٠ فمنعت المنظمات السياسية والاجتماعات العامة والنشاطات السياسية ٠ وأن كل من يناصر الأفريقيين يتهم بالشيوعية ويقدم للمحاكمة على أنه شيوعى ٠ هذا بالاضافة الى أن للدولة الحق فى أن تسجن كل من

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٦ ٠

يعارض سياسة التفرقة العنصرية وبدون محاكمة على اعتبـــار أن هؤلاء المعارضين من المشاغبين ضد أمن الدولة بالاعدام ٠

لقد رفضت الحكومة مشـــاركة غير البيض فى الحكم وبأى شكل من الأشكال واعتبرته خطر على كيان الدولة ٠ من أجل ذلك ســـاد التوتر بين الأفريقيين والملونين وبين جانب البيض من جانب آخر ٠ ويلاحظ أن حركة التوتر والاحتجاجات التى تقوم حاليا قد تتحول الى مقاومة عنيفة فى المستقبل من أجل ذلك أخذت الحكومة تستعد بالجيش الأبيض الخاص ٠ وفرق الدفاع المدنى الخاصة وأخذت تمرن البيض على استخدامات أحدث الأسلحة لتحارب بها الأفريقيين ٠ لقد زادت ميزانية كل من الدفاع والبوليس ليقابلوا العنف المرتقب ٠

وبهذا يتطور الصراع الحضارى فى جنوب أفريقيا الى حيث ما بدأ بين أسلحة البيض الحديثة وشجاعة السود ٠ من أجل ذلك أوصت منظمة الأمم المتحدة بعدم بيع السلاح لحكومة جنوب أفريقيا ٠ لأن تلك الأسلحة ســوف تستخدم ضد الضعفاء سكان البلاد الأصليين ٠

أن الاتجاه فى جميع أنحاء العالم ما عدا جنوب أفريقيا لا يسير نحــو التفرقة العنصرية المتطرفة واستعباد الانسان لأخيه الانسان على أســـاس الفروق الجنسية واللونية ٠ وهنا نتساءل الى متى ستستمر هذه التفــرقة وخاصة وأنها أصبحت تقاوم من جميع شعوب العالم المحبة للسلام ٠

أن سياسة جنوب أفريقيا العنصرية قد أضعفت قوة الدولة المحليـــة والدولية فالدولة لا تتمتع بالثقة وأحترام شعبها وشعوب العـــالم أجمع ٠ وبالتالى فانه لم يصبح لها وزن سياسى فى الأمور الدولية ٠ بل أنها أثارت شعوب العالم ضدها وخاصة بقية الشعوب الأفريقية ٠ وأخذت الدول تقطع علاقاتها مع جنوب أفريقيا أو أن لا تنشأ معها علاقات سياسية ٠ حقا أن سياسة جنوب أفريقيا تثير شعور الشعب الأفريقى فى جميع القارة الأفريقية وتدفعهم الى اتخاذ اجراءات عملية ضد حكومة جنوب أفريقيا لازالة العبودية عن اخوانهم ٠ وهذا ما قد يدفع بالقارة الأفريقية نحو حروب أهلية لا يعلم الا الله مدى خطورتها ٠

من الملاحظ أن سياسة الصراع الحضارى فى جنوب أفريقيا تشبه الى حد كبير الصراع الحضارى فى العالم العربى • ففى كلا المنطقتين ينزل بها قوم من قارة أخرى ومن حضارة مختلفة ويريدون أن يستعبدوا السكان الأصليين • وأنهم يعدون العدة لاستقصائهم من أراضيهم أو استخدامهم كعمال وخدام بأجور زهيدة • من أجل ذلك تلاحظ التقارب بين كل من حكومة جنوب أفريقيا وحكومة دولة الاحتلال الصهيونى فى فلسطين وذلك لما بينهم من مصالح اقتصادية مشتركة فكلما استطاعت اسرائيل قفل قناة السويس فان التجارة الدولية سوف تتحول الى رأس الرجاء الصالح فتزداد الحركة التجارية وتزدهر جنوب أفريقيا مقابل ذلك فان مصادر الثروة فى جنوب أفريقيا وأهمها الذهب يصبح تحت تصرف الحكومة الاسرائيلية • وبهذا يتحول ذهب جنوب افريقيا الى اسرائيل لتصنيعه هناك •

الصراع الحضارى فى الولايات المتحدة الأمريكية :

أن مشكلة الصراع الحضارى بين البيض والسود فى الولايات المتحدة ظهر بشكل يختلف عن الصراع فى جنوب أفريقيا • فبعد أن اكتشف العالم الجديد وتسارع الأوربيون الى أمريكا طالبا للثراء وجدوا أن القارة بها من الأراضى الزراعية المنتجة أكثر مما يستطيعون استغلاله فذهبوا الى القارة الأفريقية وأحضروا الزنوج كرقيق ليعملوا فى المزارع وخاصة مزارع القطن فى جنوب الولايات المتحدة • ولم يمض وقت طويل حتى جاءت حركة تحرير الرق وقامت الحرب الأهلية بين الجنوب والشمال نظرا لاختلافهم على تحرير رقيقهم وأخيرا انتصر الشمال على الجنوب وأعاد توحيد الدولة بعد أن أوشكت على الانهيار والتفكك • وهكذا حصل الزنوج على حريتهم • وكان أمامهم الخيار بين العمل فى المزارع بأجور مرضية لهم أو الانتقال بحرية تامة الى أى مكان داخل الولايات المتحدة للعمل فى الصناعة والمناجم والحرف الأخرى • لقد انتقل الكثير منهم نحو الشمال • والى المدن الصناعية والمدن الكبرى حتى أصبحت أعدادهم تفوق عدد البيض فى بعض المدن مثل مدينة واشنطن العاصمة والتى تبلغ نسبة الزنوج بها ١ر٧١٪ من عدد سكانها وسانت لويس وتبلغ نسبة الزنوج بها ٥ر٦٩٪ وغيرهما علما بأن نسبة الزنوج مرتفعة فى معظم المدن الرئيسية •

أما أولئك الذين فضلوا البقـــاء والعمل فى المزارع فقد اتفقوا مع أصحاب المزارع بأن يستأجروا الأراضى ويقوموا بزراعتها مقابل الحصـــول على ما يزيد عن نصف المحصول اذا قدم صاحب الأرض جميع مستلزمات الزراعة أو الحصول على ربع المحصول اذا قدم صـــاحب الأرض البذور والسماد والآلات الزراعية ٠

وبالرغم من حصولهم على الحرية فان لونهم لا زال عائقا أمام اندماجهم مع بقية الشعب الأمريكى ٠

لقد ظلت العناصر السوداء أقلية فى وسط محيط أبيض وهكذا أخذت العناصر البيضاء تقيم حواجز اللون بدافع اقتصادى ٠ فالرجل الأسود يقبل العمل بأرخص الأجور بينما لا يستطيع زميله الأبيض أن يحاربه فى الأجور المنخفضة والعيش بمستوى اقتصادى متواضع وحيث أن صاحب العمل يهمه تخفيض تكاليف الانتاج فانه ولا شك سوف يقبل العامل الذى يؤدى نفس العمل أن لم يكن أفضل ويتقاضى أجرا أقل من أجل ذلك وضع البيض العراقيل أمام الزنوج حتى لا يستطيعوا الحصول على الوظائف التى تستوجب مهارات فنية وخبرات عالية ٠ فكان أول عمل يقومون به هو منع الزنوج من التعليم العالى ٠ وبما أن الدستور الأمريكى ينص على المساواة بين المواطنين (١) بالرغم من اختلاف أجناسهم وألوانهم وأشكالهم وحيث أن التعليم الابتدائى اجبارى لكل طفل وطفلة لذا قام البيض وقسمو المدن الى أحياء مدرســية School District وبما أن الأقلية السوداء .نى معظم المدن تفضل العيش مع بعضها لعدة عوامل أهمها عامل الحماية والتآزر والتكاتف ضد الاضطهاد ٠ فان القوانين التعليمية منعت دخول الطالب فى غير المدرســة التى أقيمت فى الحى الذى يعيش فيه ٠

وبهذا أصبح للبيض مدارسهم الخاصة وللزنوج مدارسهم الخاصة ٠ ومن الطبيعى أن تختلف نوعين التعليم فى مدارس الزنوج ٠ وبما أن العراقيل قد وضعت أمام الزنوج فى سبيل الحصول على التعليم العالى فمن البديهى أن لا يكون مستوى أعضاء هيئة التدريس فى مدارس البيض ٠ وبالتالى فان المستويات التعليمية سوف تختلف ٠ وبما أن المستويات التعليمية مختلفـــة فان اختبارات قبول الطلاب عند دخولهم الى الجامعات سوف توضع وهذا

ينعكس على عدم قبول الجامعات للزنوج · وبالتالى فان عوائق اللون ستظل قائمة أمام حصول الزنوج على المؤهلات العليا ·

لقد حاول الزنوج الوصول الى مراكز الحكم والتشريع فى الولايات التى يتكاثرون فيها ليحدوا أو ليغيروا من النظم التى تقف أمامهم عن طريق الانتخابات · غير أن الرجل الأبيض يقف لهم دائما بالمرصاد · ويضع لهم العراقيل الكفيلة بعدم وصولهم الى مراكز القيادة · لقد صـدرت القوانين الخاصة بأن كل من يرغب أن ينتخب أو يرشح نفسه فى الانتخابات لا بد وأن يجتاز اختبارا وضع لهذا الغرض · ومن الطبيعى أن توضع الأسئلة بحيث يصعب اجتيازها ولو كان الزنجى حاملا لشهادات عليا · وبهذا منعوا من دخول الانتخابات حتى جاء الرئيس لندن ب جونسون وفى أواخر الستينات أصدر مجموعة من القوانين المدنية أزيلت بموجبها الاختبارات الخاصـــة بالانتخابات · فهل يحاول الزنوج الآن الوصول الى مراكز القيادة عن طريق الانتخابات ؟ هذا ما سنراقبه فى السنين القادمة ·

لقد وصل حتى الآن الى حكم المدن زنجيـــان هما حاكم مدينة جيرى انديانا وحاكم مدينة واشنطن العاصمة الفدرالية للولايات المتحدة الأمريكية·

ونتيجة للاضطهار الذى يلاقيه الزنوج الأمريكيون فلقد أخذوا يطالبون بالمساواة التامة بينهم وبين البيض بطرق سلمية أولا · وكان رائدهم الدكتور مارتن لوثر كنج غير أن البيض لم يتركوا حركة المطالبة السلمية تسير بهدوء فاغتالوا الدكتور مارتن لوثر كنج تحولت بعدها المطالبة بالمساواة الى اتبـاع وسائل العنف فحرقوا المدن وكان أهمها مدينة ديترويت واستخدموا السـلاح ضد رجال البوليس وأخذوا يرددون بأننا قدمنا الى القارة الأمريكية فى نفس الوقت الذى قدم فيه الرجل الأبيض ومن حقنا أن نعيش فيها مثلهم · وأن الحضارة الأمريكية قد نبيت على أكتافهم وبسواعدنا ومن حقنا أن نهدم كل ما بنيناه · ونتيجة لهذه الثورة الزنجية والمطالبة العنيفة بحقوقهم المدنيـة وبالمساواة وحيث أن الشعب الأمريكى منذ أن وطئت قدماه أرض القـارة الأمريكية لا يؤمن الا بالقوى ويتبع الفلسفة القائلة بأن الحقوق تؤخذ ولا تعطى نتيجة لكل ذلك فلقد بدأت الأجيال الحالية تفكر فى اعطاء الزنوج بعضا من حقوقهم المغتصبة · غير أن الصراع الحضارى بين الرجل الأبيض والرجل

الأسود لا زال قائما وسيظل الى اجيال قادمة والله يعلم كيف تكون النهاية لأن دمج الحضارتين فى مكان واحد أمر يصعب تحقيقه ٠

الصراع الحضارى فى جنوب شرق آسيا :

يمكن أن نرجع الحروب التى تدور رحاها فى كل من كوريا وفيتنـــام ولاوس وكمبوديا الى الصراع الحضارى حيث أن الحضارة الغربيـــة نزلت بأراضى الحضارة الشرقية الآسيوية فمن الطبيعى أن تحاول كل منهما القضاء على الحضارة المناوئة وهكذا قامت الحروب فى كل من كوريا وفيتنام ولاوس وكمبوديا ولا زالت جيوش الحضارة الأمريكية تحتل الأراضى الكورية ولا زال الكوريون يعملون لاجلائها أما الجيوش الفرنسية فى فيتنـــام فلم تستطع مقاومة الحضارة الشرقية الآسيوية فانسحبت لتحل محلها جيوش أمريكية وهكذا استمر الصراع بين الحضارة الشرقية الآسيوية والحضارة الغربيـة فترة طويلة تزيد على عشر سنوات انتهت باجلاء الجيـــوش الأمريكية من الأراضى الفيتنـــامية غير أن الصراع انتقل الى كمبوديا ولاوس ولا زالت الحضارة الأمريكية تتخذ لنفســها قواعد فى تايلاند والفلبين وعلى ظهور السفن الحربية لتدمر الحضارة الشرقية فى منطقة الصراع الحضارى فى جنوب شرق آســيا ٠ وربما يرجع السبب فى هذا الصراع الى الخــوف الاقتصادى من زحف الحضارة الشرقية على الأراضى المجاورة والتى احتلها الغرب وهى الأراضى المنتجة فى استراليا والتى تمد الحضارة الغربية بحاجتها من الغذاء والمواد الخام اللازمة للصناعة ٠ومن المحتمل أن ينتهى هذا الصراع وتنتهى هذه الحروب لو استطاع الغرب أن يوقف زحف الحضارة الشرقيـة الآسيوية ٠

من هذا العرض السريع عن الصراع الحضارى فى كل جزء من أجزاء العالم نستطيع أن نستنتج أن العالم لا يهدأ له بال الا اذا سادت فيه القناعة وبقيت كل حضارة فى مكانها لا تحاول أن تعتدى على غيرها وبهذا يعم السلام العالمى ويتحول الصراع بين الانسان وأخيه الانسان الى صراع بين الانسان واستغلال مصادر ثروته الطبيعية ورفع مستواه الاقتصادى فى كل جزء من أجزاء العالم ٠ وبهذا يتحول الصراع الى محاربة أعداء الانسانية وهى الجهل والفقر والمرض ٠

الفصل الحادى عشر

الجغرافية والاحلاف العسكرية

ان الخلافات العالمية لم تنته بعد واذا كانت هناك فترة من فترات الهدوء النسبى فانما هى فترة تم فيها اتفاق او توازن بين الدول بواســـطة أحلاف دفاعية وهذا يقودنا الى نظرية البقاء للأصلح والدولة عبارة عن كائن حى يولد وينمو ويموت ، فالدولة فى أول عهدها وخاصـــة فى فترة النضج أو الشباب تنشط فى التوسع والانتشار واذا ما هرمت طمع فيها جيرانها وخاصة أولئك الذين فى مرحلة النمو فيقتطعون اجزاء منها وهنا يأتى دور الخلافات فبقاء الدولة ليس مرتبطا فقط بقوتها وازدهارها وانما يرتبط أيضا بتعاونها مع غيرها فى الدفاع عن نفسها ولولا التعاون الأوربى بعد الحرب العالميـة الثانية وخاصة أوربا الغربية لما عادت أوربا قارة قوية اليوم ولولا تحرك الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة وأثناء الحرب البـاردة لتكسب صداقة وولاء دول أوربا الغربية وتكون قوة كبرى فى العالم لما كان للولايات المتحدة مركز الصدارة اليوم ولولا التعاون الأمريكى الأوربى وخاصة مشروع وزير الخارجية الأمريكية الجنرال جورج مارشال لعام ١٩٤٧ بمساعدة دول أوربا الغربية ماليا لتستعيد قواها بعد الحرب لما كان للغرب قوته الفائقة اليوم ، فالتحالفات تضعف قوة العدو لأنها تبعد عنه صديقا يحتمل أن يرتبط معه بعلاقات دفاعية فى المستقبل وتعتبر اسلوبا فنيا واستراتيجيا للدفاع عن الدولة على اساس المصلحة المتبادلة مثل استكمال الموارد المادية والبشرية بشكل يكفل تحقيق النجاح الأكيد لأى هجوم ، أو تحقيق القضاء المبرم على أى خطر يواجه الدول المتحالفة ٠ كما أن التحالفات ما هى الا اجراءات تقوم بها الدول لتوفر الأمن أو لتجنب دولة من الدول الحرب أثناء وجود نزاع مع دولة أخرى ومثال ذلك عقدت المانيا والاتحاد السوفيتى معاهدة تحالف عام ١٨٨٢ كان نصها اذا ما تعرضت المانيا وحلفاؤها لهجوم فان على الاتحـاد السوفيتى أن يلتزم الحياد على الأقل ٠ أما المعاهدة الفرنسية السوفيتية لعام ١٩٣٩ فكانت تنص على أنه اذا تعرضت فرنسا لهجوم من المانيا أو ايطاليا التى تساندها المانيا فان على الاتحاد الســـوفيتى أن يستخدم كافة قواته للهجوم على المانيا ، واذا تعرض الاتحاد السوفيتى للهجوم من المانيا أو من النمسا التى تساندها المانيا فان على فرنسا أن تستخدم كافة قواتها للهجوم على المانيا ٠

وتتعدد الآثار الجغرافية للأحلاف وأهمها اقامة قواعد استراتيجية تقيمها الدولة الأكبر والأقوى فى أراضى الدولة الأصغر والأضعف كما هو الحال بالنسبة للقواعد الأمريكية المنتشرة فى جميع أنحاء العالم كألمانيا واليونان وتركيا وايران وتايلاند وقد يترتب على اقامة القواعد انشاء المطارات وتعبيد الطرق ونمو وازدهار المناطق المحيطة بالقواعد اقتصاديا نتيجة لما تصرفه الدولة صاحبة القواعد فى تلك الدولة من مشتريات لتأمين حاجة قواتها • وهذا له مساوئه اذ أنه سوف تنتج عنه نتائج سيئة اذا ما فك التحالف وازيلت القواعد كما حدث بالنسبة لسكان سنغافورة عندما ألغت بريطانيا قاعدتها هناك وحيث كان يعمل حوالى ١٠٪ من سكان الجزيرة فى القاعدة وكثيرا ما تنتج التحالفات العسكرية عن ارتباطات اقتصادية بين الدول المتحالفة • من الصعب فكها حتى بعد فك التحالف •

وكانت ألمانيا هى الدولة التى تخشاها أوربا والاتحاد السوفيتى ، ولهذا كانت معظم التحالفات قبل الحرب العالمية تقوم ضد ألمانيا • وقد تمكنت الأحلاف التى تمت قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية القضاء على ألمانيا كدولة عظمى • وبالرغم من تحالف كل من دول أوربا الغربية والولايات المتحدة من جهة والاتحاد السوفيتى من جهة أخرى ضد المانيا الا أن المصالح المشتركة أنذاك كانت تمنع ظهور الخلافات العميقة بينهما وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية • بدأ بعدها التوتر بين الاتحاد السوفيتى وحلفائه الغربيين • وتغيرت نظرة الصداقة القديمة الى نظرة عداء مستحكم وتغيرت نظرة الغرب الى العدو القديم وتحولت ألمانيا الى حليف وصديق حميم • وتغيرت موازين القوى فى أوربا فبعد أن كانت بريطانيا الدولة العظمى أصبحت بريطانيا الصغرى وأطلق عليها الرجل المريض فى أوربا وظهرت قوتان عالميتان أطلق عليهما القوى الخارقة Super Power هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى وأخذ كل منهما يعزز مركزه ويقوى نفسه أكثر وأكثر وذلك بتجميع عدد من الدول حوله ضد القوى المناوئة الأخرى وبدأت الحرب الباردة بعقد سلسلة من الاتفاقيات العسكرية بدأت بمعاهدة ريودى جافيرو• لعام ١٩٤٧ أى بعد عامين من نهاية الحرب العالمية الثانية • هذه المعاهدة كانت بين الولايات المتحدة الأمريكية من جهة وبين دول أمريكا اللاتينية من جهة أخرى تقوم بموجبها الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة أية دولة تهاجم من دول أمريكا اللاتينية • ولم يمضى عامان على توقيع معاهدة ريو حتى رأينا الولايات المتحدة تتعاون مع دول أوربا الغربية لتوقيع معاهدة أمن جماعى

لدول المحيط الأطلنطى الشمالى والمعروفة بمعاهدة حلف شمال الأطلنطى لعام ١٩٤٩ · ولم يمض عامان آخران حتى رأينا الولايات المتحدة تحتفل بتوقيع معاهدة أمن ثالثة بينها وبين استراليا ونيوزيلندا عرفت بمعـــاهدة أنزوس Anzus عام ١٩٥١ · ثم توالت بعدها المعاهدات حيث وقعت معـــاهدة جنوب شرق آسيا الدفاعية سيتو Seato عام ١٩٥٤ · تلتها معاهدة بغداد لعام ١٩٥٩ ·

هذا بالنسبة لدول أوربا الغربية أما بالنسبة للاتحاد السوفيتى فلقد وجد نفسه محاطا بأحلاف عسكرية من كل جهة فقام بعقد معاهدة صداقة ودفاع مع الصين الشعبية عام ١٩٥٠ عرفت باسم معاهدة الصداقة الصينية الروسية للدفاع والتعاون · ثم تبعها بمعاهدة أخرى مع سبع من دول أوربا الشرقية عام ١٩٥٥ عرفت باسم معاهدة حلف وارسو ·

انضمت الى حلف وارسو الدولة الثامنة وهى البـــانيا عام ١٩٦١ · ونتيجة لهذه التكتلات بين الغرب والشرق وجـــدت بقية دول العالم نفسها لا تستطيع الصمود أمام هذه التكتلات الشرقية والغربية فأخذت تتقارب من بعضها وتوقع معاهدات صداقة وعدم اعتداء ودفاع مشترك بينها وبين بعضها أهم هذه التجمعات اتفاقية الجامعة العربية لعام ١٩٥٠ وهى عبارة عن معاهدة اقتصادية وسياسية ودفاعية أما دول افريقيا فلم تستكمل وحدتها قبـل عام ١٩٦٣ حيث وقعت فى ذلك العام معاهدة منظمة الوحدة الافريقية ·

وهى اتفاقية شبيهة باتفاقية جامعة الدول العربية · هذه الأحـــلاف والاتفاقيات ارتبطت بمنطقة معينة وزمن معين ثم أخذت تنهار بعد مرور فترة زمنية عليها نتيجة لتغير الظروف فمثلا العلاقات الصينية ـ الروسية أخذت تسوء وتضمحل وأصبح تأثير المعاهدة السابقة ضعيف جدا من حيث التنفيذ واجهت معاهدة بغداد مشكلة انسحاب بغداد أو الدولة العراقية ثم أعيد صياغة المعاهدة من جديد وسميت باسم معاهدة الحلف المركزى سنتو Cento

وفى عام ١٩٦٥ تم انسحاب فرنسا من جنوب شرق آسيا وخروجهـا من معاهدة جنوب شرق آسيا الدفاعية وبعد عام واحـد أى عام ١٩٦٦ انسحبت فرنسا من معاهدة حلف شمال الأطلسى لأن تلك المعاهدة لم تعد تساير العصر وفى العام التالى ١٩٦٧ فكت الباكستان ارتباطها بحلف جنوب شرق آسيا وفى

عام ١٩٧١ فكت بريطانيا ارتباطاتها من جميع الأحلاف العسكرية وسحبت قواتها من الأراضي الواقعة الى الشرق من قناة السويس وهذا يعنى انفكاكها من حلف جنوب شرق آسيا ٠

ان تصدع الأحلاف يجعلنا نعيد النظر فى مفهومها لقد قامت الأحلاف نتيجة للحرب الباردة التى سادت بعد الحرب العالمية الثانية لتعكس الرغبة الخفية فى نفوس الدول للحروب فالحروب لا تقوم دفعة واحدة وانما تقوم من أيام السلم وذلك بالتجمعات والاستعدادات لأيام الحرب فالتحالفات ما هى الا علاقات دولية توطد العلاقة مع بعض الدول وتقود الى الحرب مع دول أخرى وخاصة اذا اختل ميزان القوى وشعرت احدى المجموعتين المتحالفتين أنها أكثر قوة من المجموعة الثانية وأن بمقدورها تحطيم عدوها فالأحلاف ما هى الا ترابط عسكرى وسياسى واقتصادى وعلمى وحضرى وسنبين فيما يلى عرضا موجزا لأهم الأحلاف فى العالم فى الوقت الحاضر ٠

١ ـ حلف شمال الأطلنطى :

كان من الصعب أن تقوم دولة من الدول بوضع ثقتها فى الاتحاد السوفيتى بعد الحرب العالمية الثانية بعد التجربة التى مرت بها المانيا بعد ان كانتا حليفتين فى بداية الحرب العالمية الثانية وعقدتا مع بعضهما اتفاقيات عدم اعتداء شهر الاتحاد السوفيتى سلاحه فى وجه المانيا عام ١٩٤١ هذا الحادث جعل دول أوربا الغربية لا تثق فى معاهدات ومواثيق الاتحاد السوفيتى غير ان المصالح المشتركة أثناء الحرب العالمية الثانية فى القضاء على المانيا كدولة توسعية جعل الغرب يتحالف مع روسيا مع بعض التحفظات وكتمان عدم الثقة المتبادلة وحتى انتهت الحرب فظهرت أزمة الثقة بين الجانبين فالجانب السوفيتى أخذ يبرم العديد من الاتفاقيات مع دول أوربا الشرقية بل ان الاتحاد السوفيتى أخذ يفرض الضغوط على دول أوربا الشرقية ليسود حكم الحزب الشيوعى كما أن القوات الروسية تدخلت فى ٢٥ فبراير عام ١٩٤٨ من اجل ان يستقيل الوزراء غير الشيوعيين فى تشيكوسلوفاكيا وهكذا سادت قبضة الشيوعيين بينما لم يحصل الحزب الشيوعى على أكثر من ٣٨٪ من الأصوات كما قام فى شهر ابريل من عام ١٩٤٨ باغلاق برلين الشرقية ومنعوا عن الاتصال بالمعسكر الغربى ٠

كل هذه الحوادث جعلت الغرب يعتقد بأن السوفيت لديهم نوايا عدوانية نتيجة لذلك الخوف صوت مجلس الشيوخ الأمريكي يوم ١١ يونيو على قرار قدمه فاندنبرج Vandenberg يخول الحكومة الأمريكية بعقد أحلاف دفاعية نظرا لأن مجلس الأمن والأمم المتحدة ليس لديها القوة بأن تمنع المعتدى اذا ما اعتدى . وهكذا بدأت الولايات المتحدة المفاوضات مع دول أوربا الغربية لتكوين حلف شمال الأطلنطى يوم ١٣ يونيو عام ١٩٤٨ وخاصة مع سفراء كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج وكندا . وانتهت المفاوضات بوضع الاتفاقية فى ١٨ مارس من عام ١٩٤٩ وقد تم التوقيع الرسمى للاتفاقية فى يوم ٤ ابريل فى مدينة واشنطن عاصمة الولايات المتحدة وقد وقعتها اثنتا عشرة دولة هى : الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والدنمرك وايسلندا وايطاليا ولكسمبرج وهولندا والنرويج والبرتغال ونصت الاتفاقية على أنه يمكن ضم أى دولة أوربية ترغب فى الانضمام اذا دعيت الى ذلك . وهكذا ارتفع عدد الدول الى خمس عشرة دولة بعد أن انضمت كل من تركيا واليونان فى ٢٢ أكتوبر عام ١٩٥١ وألمانيا الغربية فى ٢٣ أكتوبر عام ١٩٥٤ . وقد اقتصرت الاتفاقية على الدول الأوربية فقط . أما الدول الأوربية الأخرى والتى لم تنضم الى معاهدة حلف شمال الأطلنطى فانها قد التزمت الحياد الايجابى مثل السويد وسويسرا وفنلندا والنمسا .

لقد أخذ أعضاء حلف شمال الأطلنطى على أنفسهم عهدا أن يطوروا قواتهم كدول منفردة وكمجموعة مترابطة وأن يقاوموا جميعا أى اعتداء ضد أية دولة أوربية واقعة فى دائرة المحيط الأطلنطى وقرروا أن أى اعتداء على احداها يعتبر اعتداء عليهم جميعا ويجب أن يقفوا بجانب الدولة المعتدى عليها اذا ما دعت الضرورة الى ذلك وهنا يكمن ضعف المعاهدة حيث وضعت الولايات المتحدة هذا التحفظ ويقول الأمريكيون أن هذا التحفظ وضع لأن اشعال الحرب يعتبر من مسئولية الكونجرس وانه ربما تقوم دولة من الدول بشن حرب مع دولة أخرى كما حدث فى حرب السويس عام ١٩٥٦ وتجبر دولة كبرى الدول الكبرى الأخرى على التدخل فتنشب حرب عالمية فى الوقت الذى لا توافق بقية دول الحلف على الاعتداء !.

أما بالنسبة لمهام حلف شمال الأطلنطى فهى عسكرية فى المرتبة

الأولى واقليمية فى المرتبة الثانية ومن مهام الحلف تكوين القوات المسلحة الضرورية للدفاع وقد قسمت القوات الى قسمين احداهما قوات مسلحة تابعة للحلف والأخرى قوات مسلحة تابعة للدول الأعضاء وشكل مجلس أعلى للحلف يدعى « القيادة العليا لحلف شمال الأطلنطى فى أوربا » بالاشراف على قوات الحلف أما الجزء الثانى من القوات المسلحة والتابعة للدول الأعضاء فانه يظل تحت القيادة الوطنية وتقوم بضمان الدفاع الاقليمى للدولة علما بأن القوات الموضوعة تحت تصرف حلف شمال الأطلنطى من الناحية العسكرية تظل تابعة للسلطات الوطنية فى المسائل الادارية والنظامية وتقع على الدول الأعضاء مسئولية تجهيز وتموين قواتها الا أن قيادة الحلف تحاول التنسيق بين الدول فى عمليات البحث والانتاج والصيانة بحيث يكون هناك انتاج مشترك للمواد الحربية فى بعض الأحيان ٠ وللحلف الحق فى اقامة قواعد ومنشآت عسكرية فى جميع الدول الأعضاء للقيام بتدريب قواته ومن بين هذه المنشآت المطارات وقواعد الصواريخ وخطوط مواصلات سلكية ولاسلكية كما يتدخل الحلف فى وقت الحرب بتنظيم الدفاع المدنى فى الدول الأعضاء وتقوم الدول الأعضاء بتنسيق سياستها الخارجية وذلك عن طريق المشاورات وتبادل المعلومات التى تهدف الى اتخاذ القرارات والأعمال المشتركة فى الأمور التى تهم الحلف والأمن المشترك كما أن على أعضاء الحلف أن يقوموا بحل مشاكلهم ومنازعاتهم وخلافاتهم بالطرق السلمية وعلى الأعضاء أن يقبلوا وساطة سكرتير عام الحلف وأن يسمح له باجراء التحقيقات اللازمة والتوفيق أو التحكيم لوضع حل سلمى لأى نزاع ينشأ بين أعضاء الحلف ٠ وعلى الدول الأعضاء أن تتعاون فى جميع المجالات الاقتصادية والفنية والعلمية والثقافية ٠ وقد أنشأت لهذا الغرض لجنتين احداهما اقتصادية والأخرى علمية وعين لدى السكرتير العام مستشار علمى ثم أصبح فيما بعد سكرتيرا عاما مساعدا للشئون العلمية مهمته تنسيق التعاون العلمى فى شئون الفضاء وحركة المرور الجوية وتشجيع البحوث العلمية ٠

وهناك أيضا تنظيم ادارى لحلف شمال الأطلنطى يبدأ بمجلس الحلف والمعروف باسم The Council مجلس حلف شمال الأطلنطى ويمثل جميع أعضاء الحلف ونظم بحيث يمكن عقده فى أية لحظة من اللحظات

وعلى ان يكون أعضاؤه على اتصال ببعضهم البعض فى أية وقت وحيث أن وزراء خارجية الدول الأعضاء مشغولون دائما فلقد تقرر فى ١٨ مايو عام ١٩٥٠ بأن ينوب عنهم نواب يمثلونهم حتى يصبح الاتصال متكررا بين الدول الأعضاء غير أن هذا النظام عدل بعض الشىء فى المؤتمر المنعقد فى لشبونة ٢١ فبراير عام ١٩٥٢ وذلك بأن تقوم كل دولة بتعيين عضو دائم فى المجلس ولديه نفس صلاحيات وزير الخارجية ويعتبر سفيرا لدولته لدى الحلف على أن يجتمع وزراء الخارجية مرتين فى العام أما السفراء فانهم يجتمعون مرة أو مرتين كل أسبوع ٠ وعلى أن يجتمع رؤساء الدول الأعضاء من وقت لآخر كلما دعت الضرورة الى ذلك وقد كان أول اجتماع لهم فى شهر ديسمبر عام ١٩٥٧ واستمرت بعدها الاجتماعات الدورية ٠ أما بالنسبة لرئاسة المجلس فلقد أجريت عليها عدة تعديلات اذ كانت لوزراء الخارجية بالتناوب حتى عام ١٩٥٢ ثم تقرر انشاء وظيفة سكرتير عام للحلف يعهد اليه برئاسة جلسات المجلس على مستوى ممثلين الدول أما اجتماعات وزراء الخارجية فقد جعلت الرئاسة للوزراء لمدة سنة لكل منهم ثم عدل هذا النظام فى ١٤ ديسمبر عام ١٩٥٦ واذ عهد لسكرتير عام الحزب برئاسة المجلس حتى على مستوى الوزراء وتدور المناقشات باللغتين الانجليزية والفرنسية وتأخذ القرارات بالاجماع ولهذا فان المجلس لا تصبح قراراته نافذة الا باجماع جميع الدول ٠

بالاضافة الى السكرتيرية العامة لحلف شمال الأطلنطى هناك ادارات مدنية وادارات عسكرية أما بالنسبة للادارات المدنية فانها تتكون برئاسة سكرتير عام للشئون الدولية وعدد من السكرتيرين العامين المساعدين والذين يرأسون عددا من الأقسام المتعددة والمتخصصة مثل لجنة الاستشارات السياسية ولجنة الاستشارات الاقتصادية ولجنة المراجعة السنوية ولجنة الانتاج الحربى ولجنة الدفاع المدنى ولجنة التخطيط الحربى ولجنة التخطيط الذرى ولجنة المراجعة الدفاعية ، واللجنة العلمية واللجنة العليا لتخطيط الطوارىء ٠ ولجنة المعلومات والعلاقات الثقافية ، ولجنة الميزانية المدنية ولجنة الميزانية العسكرية واللجنة الادارية لتنسيق الفضاء ٠ ولجنة خطوط الأنابيب ، وغيرها ٠ هذه اللجان لها الصبغة الاستشارية والتخطيطية ٠

أما بالنسبة للشئون العسكرية فتتكون من اللجنة العسكرية كأعلى هيئة

عسكرية لحلف شمال الأطلنطى وهذه تضم رؤساء أركان حرب الدول الأعضاء وحيث أن أركان حـــرب الدول مشغولون دائما فان اللجنــــة العســـكرية لا تجتمع سوى مرتين فى العـــام ونظرا لحاجة الحلف الى الاجتمـــاع باستمرار يعين أركان حـــرب الدول ممثلين عســـكريين جتمعون بصـــفة دائمة فى واشنطن ويتفـــرع من اللجنة العسكرية اللجنــــة التنفيذية وتتكون من أركان حرب ثلاث دول هى الولايات المتحـــدة وبريطـــانيا (وفرنسا سابقا) وللجنة التنفيذية صـــلاحية ادارة الاستراتيجية العليا للحلف وتوحيد خطط الدفاع التى تضعها القيـــادات فى اللجنة العســـكرية وتقـــوم بتنفيـــذ توصيات اللجنة العســـكرية ومجلس حلف شمال الأطلنطى ويمثل اللجنة التنفيذية ضباط برتب « ضابط جنرال » يجتمعـــــون فى (باريس سابقا) بروكسل حاليا ومن مهمة اللجنة التنفيذية أو الجماعات الدائمة (كما يسمون أحيانا) التنسيق مع الادارة المدنية ٠

يلى اللجنة التنفيذية قيادات اقليمية أهمها القيادة العليا لحلف شمال الأطلنطى فى أوربا ومركزها منز ببلجيكا والقيادة العليا لشـــمال الأطلنطى ومركزها نورفولك بولاية فرجينيا بالولايات المتحـــدة الأمريكية ، والقيـــادة العليا للقناة الانجليزية وبحر المانش والتى تشترك فيها كل مذ بريطانيا وبلجيكا وفرنسا سابقا وهولندا بواسطة مجموعة من القادة البحريين وتشترك كل من الولايات المتحدة وكندا كمخططين للدفاع عن هذا الجزء من العالم وتحت هذه القيادات الثلاث شبكة من القيادات الجوية والبحرية والبرية والتى تتوزع على أجزاء عديدة من شمال أوربا ووسط أوربا وجنوب أوربا والبحر المتوســـط ٠ وهناك تعاون بين هذه القيادات وكلية الدفاع ومكتب توحيد مستويات السلاح ومؤسسات الصيانة والاصلاح والجماعات الاستشارية للبحث والتنمية ومركز البحوث لمقاومة الغواصات ومنظمة البيئة الأرضية للدفاع الجوى ومركز حلف شمال الأطلنطى للصيانة والامداد ٠

أما من الناحية المادية فتساهم جميع الدول الأعضاء فى ميزانية المنظمة بنسب مختلفة ونظرا لسرية الأعمال العسكرية فان الميزانية لا تعلن ولـــكن الولايات المتحدة تتحمل الجزء الأكبر من الميزانية حيث تساهم بحوالى ٣٣٪٠ تليها جمهورية ألمانيا الفيدرالية بحوالى ٢٠٪ ٠ وفرنسا سابقا بحوالى ١٢٪، وبريطانيا ١١٪ ، وايطـــاليا ٦٪ ٠ وكنـــدا ٥٪ وبلجيكا ٤٪ ٠ وهولندا

٤٪ ٠ الدنمـــــرك ٣٪ ٠ والنـــــرويج ٢٪ ٠ وتركيـــا ١٪ ٠ واليـــونان ٥ر٠٪ ٠ والبرتغـــال ٥ر٠٪ ٠

اذا دققنا النظر فى مستقبل حلف شمال الأطلنطى نجد أن هناك اختلافات جوهرية بين أعضائه لقد اختلفت الفلسفات حول الأمن الأوربى وحـول من يحمل لواء الأمن نظرا لاختلاف الظروف التى تكون فيها الحلف ٠ لقد تكون الحلف كما أسلفنا سابقا تحت ضغوط الحرب الباردة أما اليوم وبعد أن خف أثر التهديد الروسى نحو التوسع والانتشار وبعد تطور قوة أوربا الغربية حتى كادت تتقارب من قوة الاتحاد السوفيتى وبعد أن تقـاربت كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠ هذه التطورات جعلت كل دولة أوربية تنظـر الى مستقبلها والى مصالحها الخاصة والتى قد تتعارض مع مصالح الدول الأخرى الأعضاء فى الحلف وتحاول أن تتحرر من عبودية الدفاع المشترك والتى تضعها تحت رحمة دولة من الدول نتيجة لامتلاكها للسلاح النووى ٠ لقد أدركت دول أوربا الغربية أن مواجهة الاتحاد السوفيتى لم تعـد كما كانت الحروب فى الماضى بواسطة الأسلحة التقليدية ونتيجة لذلك فان قيمـــة الأسلحة التقليدية بدأت تقل شيئا فشيئا ولهذا فان الدول الأوربية ترغب فى أن يكون الدفـاع الأوربى معتمدا على الردع النووى وهنا يبدأ الخلاف فبعض الدول الأوربية وعلى رأسها فرنسا ترى أن القوات الأمريكية أو الوجود الأمريكى فى أوربا متسلحا بالأسلحة التقليدية ليس له لزوم على الاطلاق بل أنه يسبب ضررا لأوربا اذ يجعلها ميدانا للمعارك واذا كان الدفاع عن أوربا فى حاجة الى أسلحة نووية فلماذا تحتكر الولايات المتحدة الأسلحة النووية ؟ لمـاذا لا تتعاون مع دول أوربا الغربية لانتاج الأسلحة النووية وبهذا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفســـهم اذا ما دعت الضرورة الى ذلك لمـاذا ينتظـــرون الولايات المتحدة حتى تاتى وتدافع عنهم وماذا يحـــدث لو جـاء الى أمريكا رئيس دولة يرفض دخول حرب نووية مع الاتحاد السوفيتى فى حالة هجـوم روسى على أوربا ؟ هل تصبح أوربا لقمة سائغة فى يد الروس ؟ ولو افترضنا أن الاتحاد السوفيتى لم يهاجم أوربا فان امتلاك القوة النووية هو عبارة عن تأثير نفسى وسياسى أن مفاوضات الأوربيين لكل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة القوتين النوويتين لا يصبح على قدم المســاواة طالما أن أوربا لا تملك نفس السلاح ويمكنها ان تدافع عن نفسها بنفس السلاح الذى تهاجم به وماذا لو اتفقت القوتان العالميتان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على تقسيم العالم بينهما من سيعارضهما فى ذلك الوقت ٠ لقد رأت فرنســـا أن الولايات

المتحدة أصبحت متحكمة فى مصير أوربا فأرادت التحرر من ذلك الاستعما
بواسطة حلف شمال الأطلنطى فقررت تطوير بحوثها الذرية وانتـــاج أسلح
ذرية والاعتماد على نفسها فى الدفاع لقد رات فرنسا ان الاستراتيجية الدفاعي
لها لا يمكن أن تكون فى مامن الا اذا امتلكت الاسلحة النووية وترى أن أورب
يجب أن تطور اسلحة دفاعها ويعتقد الفرنسيون انه اذا ما نشبت حـــرب
ذرية فليس هناك من يكسب وليس هناك من يخسر ولهذا فان وجود السلا
النووى فى يد اوربا يمنع عنها الهجوم لان من يريد ان يهاجمها سوف يراع
أنه سوف يتدمر أيضا وهنا يظهر العامل النفسى فمنطق الدولة العســكرى
مرتبط تمام الارتباط بمنطقها السياسى والنفسى فاذا كانت الدولة لا تمتلك القو
النووية فان منطقها يصبح ضعيفا ٠

أما بالنسبة لبريطانيا فانها مرتبطة بالولايات المتحدة الأمريكية حتى
كادت تصبح جزءا منها وبالتالى فانها مرتبطة بحلف شمال الأطلنطى ففلسفة
بريطانيا هو التعاون مع أمريكا بحيث يتشاركان فى القرارات المتصلة بالأسلح
النووية أما ألمانيا فانها لم تحدد موقفها بعد فهناك اختــلافات جوهرية فى
السياسة الألمانية حيث ينادى الديمقراطيون المسيحيون بأن تمتلك ألمانيا دفاعا
نوويا وأن تشترك مع بقية الدول الأوربية فىتطوير سلاح نووى مشترك للدفا
عن أوربا ويؤيد هذا الرأى رجال فرنسا وخاصة الرئيس الراحل الجنــرا
شارل ديجول غير أن هناك رأيا آخر معارضا لهذا الرأى تدفعه الولايات
المتحدة الأمريكية وبريطانيا وذلك بأن يكون الدفاع النووى مشتركا ضمن
حلف شمال الأطلنطى وتحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا يظهو
الخلاف الفرنسى الامريكى فأوربا بقيادة فرنسا تريد امتلاك الأسلحة النوو
بحيث تستطيع استخدامها متى أرادت لتعاقب بها من يعتدى عليها بينما تنظ
الولايات المتحدة الى المشكلة من زاوية مخالفة فهى ترى أن الحرب النوو
لن تحدث ولهذا لم يبق سوى الدفاع عن أوربا بواسطة الأسلحة التقليد
لحلف شمال الأطلنطى وأن القوة النووية ما هى الا لمجـــرد الردع وليس
للاستخدام الفعلى وبهذا يصبح الخلاف بين حيوية الأسلحة النووية لأور
وعدم حيوية الأسلحة النووية للولايات المتحدة ٠

فالسؤالان الهامان هما (١) أن الولايات المتحدة تقول لحلفائها فى أور
اذا كنتم تثقون بنا فلماذا تحتفظون بسلاح نووى لديكم ؟ (٢) ويقول الأوربيو

لحليفتهم الولايات المتحدة اذا كنتم تثقون بنا فماذا يضيركم اذا احتفظنا بسلاح نووى خاص بنا ؟ ٠

وللاجابة على هذين السؤالين لابد من أن نبحث وجهة النظر الأمريكية حيث يقول وزير خارجية الولايات المتحدة هنرى كسينجر (١) أن الجـدل الدائر بين أوربا وأمريكا حول النظرية الاستراتيجية بين الولايات المتحـدة وحليفاتها الأوربيات بسبب اختلاف التفسير والنظرة للامور ففى حين تؤكد الولايات المتحدة أن اراءها بشأن الاستراتيجية كاملة وتقديراتها الاستراتيجية تتسم بالدقة التحليلية فان منتقدى هذه السياسة من الحلفاء الأوربيين يركزون على الاطار السياسى والسيكولوجى الذى تتخذ فى ظله هذه القرارات ٠ وذلك انه تولد لديهم احساس بعدم الأمان نتيجة للوضع العسكرى ٠ ويحمل كيسنجر المسئولين الأمريكيين بعض الذنب ويذكر أنه فى حين حـرصت السـياسة الأمريكية فى مجـال المسـاعدات الاقتصادية لأوربا بعـد الحرب العالمية الثانية ٠٠ فانها لم تشجع فى المجال العسكرى نشؤ وجهة نظر أوربية محددة واصبحت استراتيجية حلف الأطلنطى تستند تقريبا على المفاهيم الأمريكية ، وأصبح الدور الاستشارى للحلفـاء الأوربيين يقتصر على تنفيذ ما تراه الولايات المتحدة ٠ ولم يتم تطوير مفهوم أوربى للدفاع لأنه لم يتـم تطوير احساس حقيقى أوربى بالمسئولية (٢)٠ أما أسباب هذا الوضع فيعزوه كيسنجر لعدة عوامل منها أن الحلفاء الأوربيين شجعوا الولايات المتحدة لاتخـاذ دور قيادى وحتى يخـرجوها من عزلتها وحملوها مسئولية الدفاع عن أوربا وحتى لا يتحملوا نفقات الدفاع الباهظة ومسئولة الدفاع الصعبة ٠ وحيث أن الولايات المتحدة قد ابتكرت وطورت الأسلحة النووية فانهـا ولابد من أن تحتكرها كما أن الولايات المتحدة أخذت تطور التكنولوجيا الحديثة للحروب بينما بقى الأوربيون فى مكانهم ولم يحتـج الأوربيين مبكرا عنـدما كان الأمريكيين يقومون باعطائهم فكرة عما يدور حولهم دون استشارتهم أو اشتراكهم فى القرارات ٠ هذا من جانب ومن جانب اخر لم يعارضوا المخطط الذى عرض عليهم عام ١٩٥٧ والمعروف بخطة رادفور Radford Plan

---

(١) هنرى كيسنجر (مفهوم السياسة الخارجية الامريكية) كتاب الساعة ، القاهرة ١٩٧٤ ، صفحة ٧٥ ٠

(٢) هنرى كيسنجر (مفهوم السياسة الخارجية الامريكية) اعداد حسين شريف كتاب الساعة ص ١٩٠ ٠

والتى ملخصها أنه لا سبيل للتغلب على الاتحاد السوفيتى سوى بالردع النووى فأى هجوم على أوربا قد يؤدى الى حرب نووية شاملة وأن الهدف من الأسلحة التقليدية هو تعطيل تقدم القوات السوفيتية الى أوربا وحتى تصيب الأسلحة النووية أهدافها وبناء على ذلك قامت الولايات المتحدة بتزويد أوربا بأسلحة نووية وأسلحة تقليدية واتبعت فى نظام استخدام الأسلحة النووية الفيتو المزدوج والذى ينص على موافقة كل من الولايات المتحدة والدولة التى يوجد بها السلاح النووى على استخدامه قبل اطلاقه · وشرحت الولايات المتحدة موقفها فى ذلك الوقت بأن أى هجوم على أوربا سوف يسبقه أو يتبعه هجوم شامل على الولايات المتحدة ولهذا فلقد وضعت الأسلحة النووية متوسط المدى IBBMS فى كل من بريطانيا وايطاليا وتركيا ولقد طورت الولايات المتحدة استراتيجيتها عام ١٩٦١ م فى عهد جون كيندى وحددتها بأربع فقط وهى :

١ ـ الرد المرن وهو تدمير جميع الأهداف العسكرية السوفيتية دون المدنية ·

٢ ـ معارضة وجود قوات نووية قومية وقد عارض كيندى البرامج الفرنسية لتطوير الأسلحة النووية ووصفها بأنها خطيرة وباهظة التكاليف والهدف من توحيد القوات النووية هو السيطرة عليها والتحكم فيها حتى لا تقود العالم الى الهاوية فاذا ما امتلكتها الدول القومية فقد تستخدمها ضد دولة واحدة فتضطر جميع الدول المالكة لها الى استخدامها وهذا ما يجلب الدمار للعالم ·

٣ ـ سحب الأسلحة النووية من بريطانيا وايطاليا وتركيا عام ١٩٦٣ نظرا لأن وجودها هناك سيجعل تلك الدول أهدافا نووية ويصعب معها التحكم والاشراف المركزى ونظرا لأن الصواريخ الجديدة « بولاريس » أكثر فاعلية وبالامكان توجيهها نحو الاتحاد السوفيتى من الولايات المتحدة الأمريكية ·

٤ ـ الدفاع التقليدى لأوربا وأن تكون الأسلحة النووية مجرد ردع بينما تكون الأسلحة التقليدية سيف الحلف وعلى هذا الأساس تمركزت القوات الأمريكية الكبيرة فى أوربا وطلبت أمريكا من حليفاتها الأوربيات

الاسهام بنصيب اكبر فى القوات البرية فى أوربا فالمشكلة تكمن فى الحاجة الى التحكم فى العمليات العسكرية وخاصة النووية ورغبة الدول الحليفة فى أن يكون لها دور كبير فى القرارات والتمتع بالقوة والرهبة السياسية التى تنتج عن التحكم فى الأسلحة النووية ٠

٢ - حلف وارسو

نتيجة للنشاط السياسى والعسكرى الذى قامت به الدول الغربية بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة أو الذى أسفر عن عقد عدد من الأحلاف العسكرية والاقتصادية ونتيجة لانضمام جمهورية ألمانيا الفيدرالية الى حلف شمال الأطلنطى ورغبة من الاتحاد السوفيتى أن يسيطر سيطرة تامة على دول أوربا الشرقية وأن يعطى نفسه الصفة الشرعية بأن تبقى قواته فى أوربا الشرقية فلقد قام بتوقيع معاهدة حلف وارسو وفى ١٤ مايو عام ١٩٥٥ غير أنه قبل توقيع الاتفاق عقد الاتحاد السوفيتى مؤتمرا لمناقشة مشاكل الأمر الأوروبى فى موسكو برئاسة وزير الخارجية السوفيتية مولوتوف وكان الموضوع الرئيسى فى ذلك المؤتمر هو تسليح ألمانيا الغربية والسماح لها بالانضمام الى عضوية حلف شمال الأطلنطى ٠ هذا من ناحية الأسباب الظاهرة أمام العالم ٠ أما بالنسبة للاسباب الخفية فيمكن أن نرجعها الى الاتحاد السوفيتى أراد أن يستبدل الاتفاقيات الثنائية بين دول أوربا الشرقية باتفاقيات جماعية بحيث تبقى كل دولة مرتبطة ببقية دول أوربا الشرقية فى مصيرها وبهذا يصبح من الصعب لأى دولة من دول أوربا الشرقية أن تنسحب من الحلف لأن ذلك سوف يقابل بمقاومة القوة المجتمعة لدول الحلف كما حدث بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ م وبهذا حول الاتفاقيات الثنائية والتى بلغت ٢٤ اتفاقا الى حلف جماعى خاصة أن قوات الاتحاد السوفيتى لا زالت على أرض دول أوربا الشرقية ٠ ومن جانب آخر فان الاتحاد السوفيتى أراد أن يكون حلف وارسو أداة يستخدمها فى مفاوضاته مع دول أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تقرر عقد مؤتمر للاقطاب فى شهر يوليو عام ١٩٥٥ فى جنيف ٠ وقيام حلف وارسو كان ولابد من أن يدعم مركز الاتحاد السوفيتى فى المفاوضات٠ وهنا يجب ملاحظة أن الاتحاد السوفيتى لم يستغن عن الأحلاف الثنائية والتى تثبت مركزه ٠ فى دول حلف وارسو ولقد عقد عدة اتفاقيات بعد ذلك مع بولندا فى ديسمبر عام ١٩٥٦ وجمهورية ألمانيا الديمقراطية فى مارس عام

١٩٥٧ ورومانيا فى أبريل عام ١٩٥٧ والمجر فى مايو عام ١٩٥٧ وفى جميع هذه الاتفاقيات حاول الاتحاد السوفيتى أن يوطد قوة الجيش الروسى فى دول أوربا الشرقية وأن يعمل على شرعية تواجد القوات السوفيتية وأسر الأفراد العاملين فى القوات السوفيتية والموظفين المدنيين وشرعية امتلاك منشآت عسكرية على أراضى الدول المضيفة وشرعية تبادل المجرمين ٠ ولقد ذهبت الاتفاقية الثنائية مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية الى أبعد من ذلك حيث نصت على أن القوات العسكرية المرابطة فى ألمانيا الشرقية الحق فى التدخل فى الشئون الداخلية بعد المشاورات مع السلطات الألمانية اذا ما دعى الأمر الى تهديد أمن وسلامة الاتحاد السوفيتى بينما لم يحصل الاتحاد السوفيتى على مثل هذه الشروط مع بولندا والمجر اذ تنص الاتفاقيات الثنائية الى أن أى تحرك للقوات السوفيتية من مواقعها يجب أن تتم به اتفـــاقيات مسبقة بين الدولتين ٠

أما بالنسبة لأعضاء حلف وارسو فهم الاتحاد السوفيتى ـ بولندا ـ جمهورية ألمانيا الديمقراطية ـ تشيكوسلوفاكيا ـ المجر ـ رومانيا ـ بلغاريا ـ ألبانيا ٠ ولم تشترك الصين فى معاهدة حلف وارسو بالرغم من أنها كانت ممثلة بواسطة وزير دفاعها عند ابرام المعاهدة وقد أعلنت الصين تأييدها لحلف وارسو عند توقيع الاتفاقية ٠

ويهدف حلف وارسو الى حق الدول الأعضـــاء فى الدفاع الفــردى والجماعى ضد أى اعتداء وفقا لأحكام ميثاق الأمم المتحدة وحل مشـــاكلهم بالطرق السلمية دون استخدام القوة فى حل المنازعات وأن ينمى أعضاء الحلف علاقاتهم الاقتصادية والثقافية على أساس من الاحترام المتبادل لسيادتهم وعدم التدخل فى شئون بعضهم الداخلية وأن يتخذ الأعضاء كافة التدابير لتدعيـم قدراتهم الدفاعية ، ولضمان سلامتهم فانهم يضعون جزءا من قواتهم المسلحة تحت قيادة موحدة وفى حالة الاعتداء المسلح على أية دولة من أعضـــاء الحلف أو مجموعة من الدول فان على جميع الدول الموقعة على معاهدة حلف وارسو أن تقدم للدولة أو الدول المعتدى عليها العـون والمساعدة بصـــفة منفردة أو بصفة جماعية بعـد الاتفـــاق مع بقيـة أعضاء الحلف وأن تضع الدول كل امكانياتها بما فى ذلك قواتها المسلحة فى سبيل الدفاع عن الدولة أو الدولة المعتدى عليها ٠ وقد فسرت المعاهدة الاعتـــداء ليس بالهجـــوم الخارجى فقط وانمـــا أيضـــا الحـــركات المســلحة التى تقوم داخـــل

تلك الدول وبناء على ذلك قام الاتحاد السوفيتى بالتدخل فى المجر عام ١٩٥٦ وفى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ٠

أما الهيئات التى يتكون منها الحلف فهى اللجنة الاستشارية السياسية وتتكون من سكرتير الحزب الشيوعى ورؤساء الدول الأعضاء ومساعدوهم ووزراء الخارجية ووزراء الدفاع فى الدول الأعضاء ولقد تقرر بأن ترسل الصين مراقبين فى اللجنة الاستشادية السياسية لحضور الجلسات وتجتمع اللجنة مرتين على الأقل فى العام اذا ما دعت الضرورة الى ذلك كحلف شمال الأطلنطى أنشأت « اللجنة الاستشارية السياسية » لجنة دائمة مقرها موسكو وذلك لتتابع الشئون السياسية الدولية اما عن أعضاء هذه اللجنة فغير معروف ومن مهمة اللجنة الدائمة تقديم توصياتها الى اللجنة الاستشارية السياسية والى جانب اللجنة الدائمة هناك « سكرتارية للحلف » مقرها أيضا موسكو وتتمثل فيها جميع الدول الأعضاء وعلى رأسها سكرتير عام الحلف ٠ وبالاضافة الى اللجنة الدائمة والسكرتارية هناك هيئة أخرى هامة وهى « القيادة المشتركة للقوات المسلحة » وتتكون من ممثلين عسكريين للدول الأعضاء من وزراء الدفاع أو وكلائهم أركان حرب الدول الأعضاء وجنرالات General Staff الجيوش المشتركة فى الحلف مع وضع القيادة الموحدة فى موسكو ٠

أما بالنسبة للاهمية الاستراتيجية لحلف وارسو فتتلخص فى أربع نقاط رئيسية وهى :

١ _ تبرير شرعية الوجود العسكرى فى شرق أوربا دون الارتكاز على المواثيق الثنائية ٠ ولقد واجه الاتحاد السوفيتى صعوبات فى بعض دول أوربا الشرقية وظهر ذلك فى اعلانه يوم ٢٠ أكتوبر عام ١٩٥٦ عن استعداده لبحث مشكلة وجود القوات السوفيتية مع الدول المعنية وقد نتج عن تلك المباحثات انسحاب القوات السوفيفية من رومانيا عام ١٩٥٨ وتخفيض حجم القوات فى المجر وهو بهذا أنهى مشكلة وجود القوات السوفيتية فى الوقت الحاضر بعد أن تم الاتفاق بين دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى كل على حدة ٠

٢ _ الفعالية الدبلوماسية لحلف وارسو كعامل توازن مضاد لحلف شمال الأطلنطى فى دائرة المفاوضات التى جرت بين الكتلتين

الغربية والسوفيتية ولقد أثبتت الوقائع والأحداث الدولية القيمة العملية للحلف حيث رفع الحلف من قدرة الدبلوماسية السوفيتيـة على المساومة فى المفاوضات وخاصـــة فى تسوية المشكلات المتعلقـة بالأمن الأوربى والسلام الدولى اذ أن الاتحاد السوفيتى عندما يتحدث لا يتحدث باسمه فقط وانما باسم الدول الحليفة أيضا فى حلف وارسو وقد ترتب على ذلك النظر الى حلف وارسو كحلف مساو فى الأهمية لحلف شـــمال الأطلنطى وخاصة فى مباحثات نزع السلاح ٠ وبالنسبة لمشكلة الامن الأوربى أصـــــدر حلف وارسو عدة قرارات عن اللجنة الاستشارية السياسية يدعو فيها دول حلف الأطلنطى الى اقامة نظام شامل للامن الجماعى الأوربى ٠ كما شارك أعضاء حلف وارسو فى لجـــان نزع السلاح قد قدمت دول حلف وارسو مقترحات مختلفة لحل مشـــكلة نزع السلاح ومن بين المقترحات التى تقدمت بها دول حلف وارسو اعلان وسط أوربا منطقة خالية من الأسلحة النووية وعقد ميثاق عدم اعتداء بين حلف وارسو وحلف شمال الأطلنطى ٠

٣ - دور حلف وارسو فى تدعيم العلاقات بين الاتحـــاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية على أساس من التكافؤ ٠ غير أن هذا الهدف لم يتحقق بشكل دقيق اذ اضطرت ألبانيا الى الانسحاب من الحلف أدبيا وذلك بعدم حضور جلساته وبالرغم من أن معاهدة الحلف الموقعة عليها ألبانيا تنص أنه لا يجوز انسحاب الدول الأعضاء قبل انتهاء مدة سريان المعاهدة وهى عشرون عاما ومن الغريب أن الاتحاد السوفيتى لم يتخذ اجراءا عنيفـا ضد ألبانيا مثلما اتخذه مع كل من المجر عام ١٩٥٦ وتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ بالرغم من أن تمرد ألبانيا يعتبر على درجـــة كبيرة من الخطورة السياسية وشجع دولا أخـــرى مثل رومانيا فيما بعد على معارضة الاتحاد السوفيتى فى كثير من مشاريعه وبهذا فان مساهمة حلف وارسو فى دعم أواصر التضامن السياسى بين دول شرق أوربا والاتحاد السوفيتى كانت محدودة نوعا ما ٠

٤ - الأهمية الاستراتيجية للحلف فى دعم دفاعه ضد حلف الأطلنطى لقـد انعكس ذلك فى أيام الأزمات التى مرت بالحلف مثل مشكلة برلين وأزمة كوريا وبالرغم من أن الأزمات التى مرت به والتى وضع فيها الحلف

فى حالة استنفار قصوى الا أن أهميته لم تظهر نظرا لعدم احتكاك حلف وارسو بحلف شمال الأطلنطى عسكريا حتى الآن ٠

لقد حاول الحلف أن يصنع تعاونا اقتصاديا بجانب التعاون الدفاعى ولكن يبدو أنه لم ينجح نجاحا كبيرا فى هذا المضمار اذ أنه اصدم بالنزعات القومية ليس فى المجال الاقتصادى فحسب بل وفى المجال السياسى فاذا كانت فرنسا قد أحدثت تصدعا سياسيا وعسكريا فى حلف شمال الأطلنطى فان رومانيا قد أحدثت تصدعا سياسيا فقط حيث قامت بعض دول أوربا الشرقية باقامة علاقات مع دول الغرب كوسيلة للتخفيف من اعتمادها السياسى على الاتحاد السوفيتى وقد وضح ذلك فى زيارة الرئيس الفرنسى السابق ديجول لكل من رومانيا وبولندا وزيارة كل من الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد لرومانيا تصريحاتهما هناك بأن الولايات المتحدة لن تقف مكتوفة الأيدى اذا ما وقع اعتداء على رومانيا مثل الاعتداء الذى وقع على تشيكوسلوفاكيا وحيث أن الحرب الباردة بين الشرق والغرب قد انتهت وأن هذا قد اوجد شعورا بالأمن بين دول أوربا الشرقية ودول أوربا الغربية وجعلهم يتقاربون من بعضهم البعض أكثر وأكثر ٠ مما أدى الى عقد معاهدة أمن أوربى فى أغسطس عام ١٩٧٥ ٠

بل ان حلف وارسو تهدد بالانهيار عندما قامت بعض دول أوربا الشرقية باقامة علاقات سياسية مع ألمانيا الغربية وخاصة رومانيا وبلغاريا والمجر وتشيكوسلوفاكيا بينما كان الاتحاد السوفيتى وبولندا وألمانيا الشرقية يعارضون ذلك الاعتراف وكان هذا فى منتصف الستينيات أما اليوم وبعد أن اعترفت كل من الدولتين الألمانيتين ببعضهما وقامت بينهما علاقات سياسية ودخلتا منظمة الأمم المتحدة فلم يثر الاعتراف بألمانيا الغربية أو الشرقية أى مشكلة كما حدث سابقا غير أن خروج رومانيا عن دول شرق أوربا فى حلف وارسو حملها على عدم مؤازرة العرب فى حربهم مع اسرائيل مما كان له أسوأ الأثر فى علاقات رومانيا بدول حلف وارسو والعالم العربى كما أن موقف رومانيا فى معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية غير مقبول لدى حلف وارسو اذ طالبت بالاستفادة من التطبيقات الاقتصادية للطاقة النووية وهذا الاتجاه يتشابه مع الاتجاه الذى كانت تطالب به الدول الغربية وعارضها الاتحاد السوفيتى كما عارضت حظر انتشار الأسلحة النووية ٠

أما بالنسبة لازمة تشيكوسلوفاكيا فانه نتيجة لميول دوبشيك نحو الغرب التى أخافت دول حلف وارسو فعقدوا اجتماعا فى درسدن فى أواخر شهر مارس عام ١٩٦٨ م تخلفت عن حضوره رومانيا ، وبالرغم من أن تشيكوسلوفاكيا أكدت لدول حلف وارسو أهمية الروابط التى تربطها ببعضها الا أن تلك التأكيدات لم تكن كافية لازالت الشعور بالخطر من جانب الاتحاد السوفيتى وبقية دول حلف وارسو باستثناء رومانيا حيث استدعى الأمر عقد مؤتمر آخر لقادة دول حلف وارسو فى شهر مايو عام ١٩٦٨ ولم يحضر هذا الاجتماع كل من رومانيا وتشيكوسلوفاكيا ثم عقد بعد ذلك اجتماعين بين قادة الاتحاد السوفيتى وقادة تشيكوسلوفاكيا فى كل من شهر أغسطس فى كل من تشيرنا وبراتسيلافا ويبدو أن القادة السوفييت فشلوا فى اقناع دوبشيك بالعدول عن ميله نحو الغرب فاضطر الاتحاد السوفيتى وبقية أعضاء حلف وارسو الى التدخل العسكرى فى تشيكوسلوفاكيا وذلك لينذروا للعالم الغربى بعدم التدخل وتهديد كيان الحلف وتمزيق وحدته وقد تلى ذلك عودة رومانيا الى جميع اجتماعات الحلف وأعلنت موافقتها على الاشتراك فى المناورات التى يجريها الحلف داخل أراضيها بعد أن كانت ممتنعة ٠ وتعكس هذه الاجراءات تصميم الاتحاد السوفيتى على الاحتفاظ بوحدة الحلف بأى ثمن وتحت أية ظروف ٠

الحلف المركزى

لقد بدأ الحلف بمعاهدة بغداد عام ١٩٥٥ والتى وقعتها كل من تركيا والعراق ثم تبعتها فى نفس العام ايران وباكستان والمملكة المتحدة ٠ أما دور الولايات المتحدة من الحلف المركزى فانها قد وقعت معاهدات ثنائية بينها وبين تركيا وايران وباكستان كل على حدة ٠ وحيث أن العالم العربى قد تعرض للغزو البريطانى ـ الفرنسى ـ الاسرائيلى عام ١٩٥٦ فلقد وضعت الدول العربية وخاصة مصر ضغوطا على العراق وغيرها من الدول التى بها قواعد أوربية وأمريكية لتصفيتها وجعل العالم العربى منطقة بعيدة عن الاضطرابات العالمية ونتيجة للضغوط العربية انسحبت العراق من معاهدة حلف بغداد عام ١٩٥٩ وترتب على ذلك نقل المركز الرئيسى لحلف بغداد الى أنقرة وتغيير اسمه ليصبح الحلف المركزى وتنص الاتفاقية على التعاون الوثيق بين الأعضاء فى الدفاع عن المنطقة متمسكين بالبند ٥١ من لوائح الأمم

المتحدة والتى تنص على أن الأعضاء يقررون مجتمعين وسائل الأمن والدفاع ضد أى اعتداء سواء كان مباشرا أو غير مباشر · وحيث أن الولايات المتحدة قد أخذت على عاتقها سيادة الأمن والسلام فى العالم فلقد وافقت على أن تتعاون مع الدول الموقعة على المعاهدة لتساعدهم على صيانة أمنهم ودفاعهم غير أنها لم تف بوعدها اذ تنص الاتفاقية المبرمة بينها وبين باكستان فى يوم ٥ مارس من عام ١٩٥٦ المادة (١) على أن تقوم الولايات المتحدة باتخاذ العمل المناسب بما فى ذلك استخدام القوات المسلحة اذا ما حدث اعتداء على باكستان غير أن ذلك لم يحدث عندما اعتدت الهند على باكستان وقسمتها الى دولتين ·

أما بالنسبة للتنظيم الادارى للحلف فلقد اتفق على أن يكون هناك مجلس لوزراء الخارجية أو وكلائهم يكون على اتصال دائم لمناقشة المسائل السياسية والاقتصادية والعسكرية على أن يجتمع المجلس الوزارى مرة أو مرتين فى السنة وتحت رئاسة السكرتير العام وأن لا تصدر القرارات الا بالاجماع ، وحيث أن الولايات المتحدة ليست عضوا فى الحلف المركزى فانها تحضر كمراقب فقط بالرغم من أنها اشتركت فى اللجنة العسكرية كعضو فعال وقد شكل الحلف أربع لجان رئيسية هم اللجنة العسكرية وتتفرع منها اللجنة العسكرية الدائمة للوكلاء ويتفرع من الأخيرة أيضا اللجنة العسكرية للتخطيط ويمثل هذه اللجان قادة عسكريون على مستوى رؤساء هيئة الأركان العامة Commanderin Chief, Chief of Staff أما اللجان الأخرى فهى لجنة مقاومة التدمير Subversion ولجنة الاتصالات Ltaison واللجنة الاقتصادية ويتفرع من اللجنة الأخيرة عدد من اللجان الفرعية · كاللجنة الادارية ولجنة الخبراء والتى تتفرع منها لجان متعددة للشئون الصحية والتعليمية والفنية والزراعية وشئون التعدين وشئون المواصلات فلجنة الخبراء مسئولة عن جميع أعمال اللجان الفرعية والتى بدورها تقدم نتائج بحوثها الى اللجنة الاقتصادية ومن بين لجان اللجنة الاقتصادية اللجنة العلمية والمسئولة عن البحوث النووية ومركزها طهران بايران · وهناك سكرتارية عامة يرأسها السكرتير العام للحلف ·

وهنا نتساءل عن الأهداف الرئيسية للحلف المركزى ؟ فنجد أن الاتحاد السوفيتى دائما يهدد كل من تركيا وايران بشكل مباشر والعراق وباكستان بشكل غير مباشر اذ تقف هذه الدول حائلا بين الاتحاد السوفيتى وبين

الوصول الى البحار والمحيطات الدفيئة والمفتوحة للملاحة طوال العـام ويعتبر الهدف الرئيسى للحلف المركزى هو أن تقوم الولايات المتحـدة وبريطانيـا بمساعدة الدول المهددة من الاتحاد السوفيتى لمقاومة أى اعتداء عليها فاذا ما هاجم الاتحاد السوفيتى كل دولة على حدة فانها ولا شك لا تستطيع المقاومة فمثلا القوة البرية للدول الرئيسية الثلاث تصل الى ٩٢٥ر٠٠٠ جنـدى موزعة بين تركيا ٤٢٥ر٠٠٠ ، وايران ٢٠٠ر٠٠٠ ، وباكستان ٣٠٠ر٠٠٠ جندى أما السلاح الجوى مجتمع فيصل الى ٣٥ر٠٠٠ جندى موزعين على النحو الآتى : تركيا ٥٠ر٠٠٠ ، وايران ١٥ر٠٠٠ ، وباكستان ١٥ر٠٠٠ جنـدى ٠

وحيث أن الدول الثلاث تطل على بحار هامة فان القوى البحرية مجتمعة تصل الى ٥٤ر٠٠٠ موزعة على تركيا ٣٩ر٠٠٠ ، وايران ٦ر٠٠٠ وباكستان ٩ر٠٠٠ جندى حسب تقارير المعهد الاستراتيجى بلندن لعام ١٩٦٨ ٠ وبهذا فان اجتماع هذه القوى بالاضافة الى مساهمة كل من الولايات المتحـدة وبريطانيا يجعل المنطقة قادرة على الدفاع عن نفسها ضد الغزو الشـيوعى ٠

٤ ـ حلف جنوب شرق آسـيا

فى اليوم الثامن من سبتمبر عام ١٩٥٤ وفى مانيلا عاصمة الفلبين وقعت ثلاث دول آسيوية وهى الباكستان وتايلاند والفلبين وثلاث دول غربية هى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودولتان اقيانوسيتان وهما استراليا ونيوزيلندا وقعوا جميعا معاهدة عدم اعتداء على بعضها ومساندة بعضها البعض ضد أى اعتداء وأن تعمل هذه الدول مجتمعة على مقاومة الاعتداءات الشيوعية وقـد حـددت الحـدود الجغـرافية للمعاهدة واضيفت اليها حماية كل من كمبوديا ولاوس وفيتنام الجنوبية (سابقا) مستبعدين جزيرة تايوان (فرموزا) ولقد اعتبرت اتفاقية جنـوب شرق آسيا فى أهميتها مثل حلف شمال الأطلنطى من وجهة نظر الدول الغـربية حيث تعتبر تكمـلة لسلسلة الأحلاف التى عقدت ابتداء من حلف شمال الأطلنطى غربا الى الحلف المركزى فى الوسط ثم حلف جنوب شرق آسيا أما من وجهة نظر الدول الشيوعية وخاصـة الاتحـاد السـوفيتى فلقـد اعتبـرت الاتفـاقية بأنهـا اعتداء وضع على شكل أحلاف تحيط بالاتحـاد السـوفيتى من كل جانب

ولم تشترك فى الحلف جميع دول جنوب شرق آسيا على اعتبار أنها لا ترغب فى الانضمام الى أى من الكتلتين المتصارعتين ودون أن تدخل فى الحـــرب السائرة فى ذلك الوقت وترك الحلف الفرصـــة لأى دولة من الدول التى لم توقع على الاتفاقية بأن تدخل متى شاءت كما فتح البـــاب لأى دولة تريد الانسحاب من حلف جنوب شرق آسيا بعد أن تعطى فرصة عام كامل لبقية الأعضاء ليسحبوا قواتهم اذا وجـــدت • فهى بهـــذا عبـــارة عن حلف دفاعى مشترك ضد الاعتداء من قبل أى دولة حسب البند ٥١ من لائحـــة الأمم المتحدة والتى تتيح لبعض الدول مساعدة الدول المعتدى عليهـا ضـــد أى دولة تجعل سلم وأمن المنطقة فى خطر غير أن التزام الدول الأعضاء فى الاستجابة للعدوان الذى يقع على أى دولة من دول الحلف ضعيف جـــدا اذ تنص المعاهدة على عدم الزام الدول بمساعدة الدول المعتدى عليهـــــا وانما يصبح من حقها أن تساعدها اذا لم يتعارض ذلك مع دستورها ورغبتها فى المساندة •

أما من حيث التركيب الادارى لحلف جنـــوب شرق آسيا فهناك مجلس أعلى للحلف يجتمع سنويا ويتفرع عنه مجلس للنواب يجتمع حسب الحاجة بين اجتماعات المجلس الأعلى ويتفرع من مجلس النواب أو الوكلاء لجنـــة عسكرية دائمة ولجنة استشارية اقتصادية ولجنة للمعلومات ولجنة لشئون الثقافة والتعليم وشئون العمال • أما بالنسبة لمواعيد الاجتماعات فهى غير محـــددة مثل حلف شـــمال الاطلنطى وانما تجتمـــع اللجـان من وقت لآخر وأهم اللجـــان التى أبدت نشاطات فعـــالة هى اللجنة الاقتصـــادية واللجنة الثقافية •

والله يهدى الى سواء السبيل ••


المراجع

المصادر والمراجع العـربية

١ ـ ابراهيم احمد زرقانة · الجغرافية السياسية · دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧ م ·

٢ ـ ١٠٩ ـ مودى ترجمة روفائيل جرجس · الجغرافيا وراء السياسة · مجموعة الألف كتاب دار الهلال · القاهرة ·

٣ ـ أحمد عسه · معجزة فوق الرمال · المطابع الاهلية اللبنانية · الطبعة الثالثة · بيروت ١٩٧١ م ·

٤ ـ أمين سعيد · تاريخ الدولة السعودية · دار الكتاب العربى · بيروت·

٥ ـ أمين محمود عبد الله · دراسات فى الجغرافيا السياسية للعالم المعاصر مكتبة النهضة المصرية · القاهرة ١٩٦٩ ·

٦ ـ جمال حمدان ، العالم الاسلامى المعاصر · عالم الكتاب · القاهرة ١٩٦٧ م ·

٧ ـ جيمس فرجيريف · ترجمة محمد عبد المنعم الشرقاوى · الجغرافيا والسيادة العالمية مكتبة النهضة المصرية · القاهرة ١٩٥٦ م ·

٨ ـ صلاح الدين على الشامى · دراسات فى الجغرافيا السياسية · منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٠ م ·

٩ ـ عبد العزيز طريح شرف · الأسس والمشكلات فى الجغرافيا السياسية· مؤسسة الثقافة الجامعية · الاسكندرية ١٩٦٣ م ·

١٠ ـ فؤاد حمزة · البلاد العربية السعودية · مكتبة النصر الحـــديثة · الرياض ، ١٩٦٨ م ·

١١ ـ محمد سطيحة · محاضرات فى جغرافية الاسلام · معهد الدراســات الاسلامية ، القاهرة ١٩٧٠ ·

١٢ ـ محمد فاتح عقيل • مشكلات الحدود السياسية • منشأة المعارف • الاسكندرية ، ١٩٦٧ م •

١٣ ـ محمد متولى • الجغرافية السياسية • مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية • القاهرة ، ١٩٥٨ •

١٤ ـ دولت أحمد صـــــادق ومحمد عبـــد الرحمن الشرنوبى • الأسس الديموجرافية لجغرافية السكان • مكتبة الانجلو المصرية • القاهرة ١٩٦٩ •

١٥ ـ ترجمة محمد السيد غلاب تأليف ت• لين سميث • اساسـيات علم السكان • المكتب المصرى الحديث • الاسكندرية ١٩٧١ •

١٦ ـ ألبرت نوردن ، ترجمة أكرم ديرى والمقـــدم الهيثم الأيوبى ، أسرار **الحروب** دار البلاغة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٧٠ •

١٧ ـ اسماعيل صبرى مقلد **العلاقات السياسية الدولية** جامعة الكويت ، الكويت ١٩٧١ •

١٨ ـ أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى **نحو استراتيجية عربية جديدة** دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ •

١٩ ـ المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية ترجمة بيار عقل ومراجعة ناجى علوش **المسح الاستراتيجى** المؤسسة العربية للدراســـات والنشر ، بيروت ١٩٧٢ •

٢٠ ـ الجنرال اميل وانتى ، ترجمة أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى ، **فن الحرب** دار القلم ، بيروت ١٩٧٣ •

٢١ ـ الجنرال أندريه بوفر ، ترجمة أكرم ديرى **الردع والاستراتيجية** دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٠ •

٢٢ ـ الجنرال أندريه بوفر ، ترجمة المقدم الهيثم الأيوبى **استراتيجية العمـل** دار الطليعة • بيروت ، ١٩٧٠ •

٢٣ ـ الجنرال اندريه بوفر ، ترجمة أكرم ديرى والمقدم الهيثم الأيوبى **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢٤ ـ بول كارل ترجمة كمال شريف **ثعالب الصحراء** مكتبة الأنجلو المصرية القــاهرة .

٢٥ ـ ب.هـ. ليدل هارت ، ترجمة فتحى عبد الله النمر **مذكرات رومل** مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٥ .

٢٦ ـ ج.ل. ليدل هارت ، ترجمة أكرم ديرى **الاختيـار الصعب بين الهجوم والدفاع** دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٢٧ ـ ج.ل. ليدل هارت ، ترجمة الهيثم الأيوبى **الاستراتيجية وتاريخها فى العالم** دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٧ .

٢٨ ـ جمال حمدان **جغرافية المدن** عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٢ .

٢٩ ـ جوزيف فرانكل ، ترجمة غازى القصيبى **العلاقات الدولية** غير مطبوع الرياض ١٩٧٥ .

٣٠ ـ حسين حمزة بندقجى الدولة . دراسة تحليلية فى مبادىء الجغرافية السياسية الجزء الأول مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة الطبعة الثانية ١٩٧٥ .

٣١ ـ الفريق الركن صالح مهــــدى عماش **الوحدة عسكريا : المضمون العسكرى للوحدة العربية** دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٧٠ .

٣٢ ـ عائشة راتب **مذكرات فى العلاقات الدولية العربية** دار النهضة العربية القاهرة ، ١٩٦٥ .

٣٣ ـ عباس الحسينى **علم النفس العسكرى** مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٦٨ جــــزأين .

٣٤ ـ مقدم فتحى عبد الله النمر **التاريخ العسكرى فى مائة سؤال** دار ومطابع الشرق ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٣٥ ـ كمال عصمت الشريف **الحرب الخاطفة** دار الطليعة ، بيروت ١٩٧٠ ·

٣٦ ـ لويس سى بلتير ، ج أرزل بيرسى ترجمـــة حسين حمـــزة بندقجى **الجغرافية العسكرية** غير مطبوع ، الرياض ١٩٧٥ ·

٣٧ ـ محمد بشير الشـــافعى **المنظمات الدولية** ، **الكتب القومية** ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٣ ·

٣٨ ـ محمد عاطف السعيد **الشخصية العسكرية** دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢

٣٩ ـ محمد عبد الحليم ابو غزالة **تاريخ فن الحرب** دار النشر للجامعات المصرية ، القاهرة ·

٤٠ ـ فيلد مارشال مونتجومرى ، ترجمة مقدم فتحى عبد الله النمر **الحرب عبر التاريخ** مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧١ ·

٤١ ـ نبيل صبيحى **الأسلحة الكيماوية والجرثومية** مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٧١ ·

٤٢ ـ هانون و· بالدوين ، ترجمة محمود خيرى بنونة **استراتيجية الغــد** مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٧٢ ·

٤٣ ـ هنرى · كيسنجر **مفهوم السياسة الخارجية الامريكية** كتاب الساعة القاهرة ، ١٩٧٤ ·

المصادر والمراجع الاجنبية

1. Charles O. Lerche & Margret E. Lerech ed. **Reading in International Politics : Concept and Issues.** Oxford University Press. New York. 1958.

2. Halford J. Machinder. **Democratic Ideals and Reality.** Norton & Company. Inc. New York 1962.

3. Lewis M. Alexander. **World Political Patterns.** Rand McNally & Company. Chicago, 1963.

4. Norman D. Palmer & Howard C. Perkins. **International Relations The World Community In Transition.** Houghton Mifflin Company Boston. 1969.

5. Norman J.G. Pounds. **Political Geography.** Mc Grow-Hill Company Inc. New York. 1963.

6. Sammuel Van Valkanburg. **Element of Political Geography.** Prentice Hall, Inc. Englewood Chiff. New Jersey. 1957.

7. Turner and Freedman ed. **Tension Areas in the World.** Wedsworth Publishing Co. Inc. Belmont, California 1964.

8. W.A. Douglas Jackson. **Politics and Geography. Relation** Prentic-Hall Englewood Cliffs., New Jersey 1971.

9. Stephen K. Bailey and Others. **Government in America.** Holt Rinehart and Winston New York. 1957.

10. Wilbur Zelinsky. **Oprlogoe to Population Geography.** Prentice-Hall Inc. Englewood Cliffs. N.J. 1966.

11. Ronald Freedman. **Population : The Vital Revolution.** Anchor Books Doubleday & Co. Inc. Garden City New York 1964.

12. John I. Clarke. **Population Geography.** Pergaman Press. Oxford. 1965.

13. Elton Atwater, Kent Forster, and Jan S.Prybyla, **World Tensions Conflict and Accommodation** Apleton-Century Crafts New York 1972.

14. Francis A. Beer **Allianees : Latent War Communities in theContemporary World, Holt,** Rinehart and Winston, Inc. New York 1970.

15. James A. Bill and Carl Leiden, **The Middle East : Polities and Power** Allyn and Bacon Inc. Boston 1974.

16. D.W. Bowett **The Law of International Institutions** Prager University Series New York 1963.

17. Saul Bernard Cohen, **Geography and Politics in a World Divided,** Oxford University Press, New York 1973.

18. T.W. Freeman, **Geography of Planning.** Hutchinson University Library, London 1968.

19. Charles O. Lerche, JR. and Margaret E. Lerche. **International Politics, Concept and Issues.** New Oxford University Press, New York 1961.

20. Louis C. Peltier and C. Dtzel Pearcy, **Military Geography Avan Nostrand Searchlight Book** 30 Princeton, 1966.

21. Norman J.G. Pounds **Political Geography** Mc Graw-Hill Book Company, Inc. New York 1963.

22. J.R.V. Prescott, **The Geography of State Policies.** Hutchinson University Lidrary 1968.

23. Seymour M. Hersh. **Chemical and Biological Warfare** Panther Modern Society, London 1970.

24. Rrthur C. Turner and Leonard Freedman, **Tension Area of The World,** Western Publishing Company Inc, Beymont, California 1963.

محتويات الكتاب

فهـــرس الموضوعات

الفصـل الثامن

الفصـل التاسع

الفصـل العـــاشر

فهرس الأشكال

المطبعة الفنية الحديثة
٢٠ شارع الأصبغ بالزيتون ت ٨٦٤٨٧١

THE STATE

ANALYTICAL STUDY IN THE PRINCIPLES OF POLITICAL GEOGRAPHY

By

HUSSEIN H. BINDAGJI

King Abd-El-Aziz University
Jeddah, Saudi Arabia

THIRD EDITION

1401 — 1981

THE STATE

ANALYTICAL STUDY IN THE PRINCIPLES OF POLITICAL GEOGRAPHY

By
HUSSEIN H. BINDAGJI
King Abd-El-Aziz University
Jeddah, Saudi Arabia

THIRD EDITION
1401 — 1981